الموعود

مجلة تخصصية تعنى بالمهدوية

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

الانتظار و سبر مدياته لدي أبناء العامّه

الدكتور حسين إلهي نجاد[1]

ملخّص

تتّفق الفِرَق الإسلامية كلّها و منها أبناء العامّة على مسألة (الانتظار) باعتبارها عقيدة شاملة، بل و قد نُقِل الكثير من الروايات في مصادر الحديث لدى أبناء العامّة التي تتعلّق بقضية الانتظار، منها ما تناول هذه القضية بشكل صريح و منها ما أشارَ إليها ضمناً، إلّا أنّ التفاوت بين الروايات التي صرّحت بمسألة الانتظار و تلك التي أشارت إليها بشكل ضمنيّ يكمن في كون المجموعة الأولى من الروايات تناولت هذه القضية بشكل عامّ بينما تطرّقت المجموعة الثانية من روايات الانتظار إلى هذا الموضوع و حاولت بيانه و تفسيره على نحو خاصّ؛ أي أنّ مصادر الحديث لدى أبناء العامّة بيّنت الانتظار بشكل عامّ بدلالة المنطوق و المطابقة ثمّ تناولته بشكل خاصّ و ذلك بدلالة المفهوم و الضّمنية. و من هنا، نلحظ أنّ مصادر الحديث لدى أبناء العامّة و فيما يتعلّق بالتصريح بقضية الانتظار، أوّلاً، لم تنقل لنا سوى القليل من الروايات الخاصة بذلك، و ثانياً، و حتى هذا النزر اليسير من الروايات في الحقيقة تناول موضوع الانتظار بشكله العامّ لا الخاصّ. و رغم ذلك فإنّ المصادر المذكورة و فيما يتعلّق بالتلويح بالانتظار قد ضمّت أوّلاً روايات كثيرة كتلك التي تشير إلى عبارات مثل (الممهّدون للمهدي) و (الرايات السّود) و (ظهور المجدّدين) و (السيّد الخراساني) و غير ذلك، و ثانياً فإنّ جميع تلك الروايات يتمّ تفسيرها وفق النظرة الخاصّة لموضوع الانتظار و ليس النظرة العامّة.

الكلمات المفتاحيه: انتظار، الممهدون، الرايات السود، ظهور المجددين، السيد الخراسانى

---

١. أستاذ مساعد في أكاديمية العلوم و الثقافة الإسلامية قم (hosainelahi1212@gmail.com).

www.noormags.ir

يمكن الوصول إلى النتيجة المطلوبة من هذا البحث و ذلك من خلال الإشارة إلى بعض الأهداف المُقرّرة، و منها:

١. الفصل بين الانتظار العامّ و الانتظار الخاصّ؛

٢. التمييز بين روايات الانتظار التي تصرّح بموضوع الانتظار و روايات الانتظار التي تلوّح بالموضوع المذكور؛

٣. عطف روايات الانتظار المُصرِّحة بقضية الانتظار على النظرة العامّة؛

٤. عطف روايات الانتظار الملوّحة إلى موضوع الانتظار على النظرة الخاصّة؛

٥. تسليط الضوء على موضوع الانتظار الخاصّ و التركيز عليه لدى أبناء العامّة؛

٦. بيان مبدأ الانتظار الخاصّ و أبعاده عند أبناء العامّة.

الكلمات المفتاحية: الانتظار؛ أبناء العامّة؛ روايات الانتظار؛ الانتظار العامّ؛ الانتظار الخاصّ؛ الرايات السود؛ الدجّال.

مقدّمة

بالاستناد إلى فكرة المُنجي و الإيمان به فإنّ قضيّة (الانتظار) تُعدّ عقيدة مهمّة و شاملة يتّفق بشأنها جميع أتباع الأديان الإبراهيمية و غير الإبراهيمية، كما احتلّ موضوع الانتظار و ما زال مكانة مهمّة و خطيرة للغاية في العقيدة المهدوية، فدوره المؤثّر في منح المجتمع الغاية و الهدف و النظام المطلوب لا يمكن تجاهله أو التغاضي عنه على الإطلاق. و وفق الوثائق و المصادر الإسلامية و المراجع التاريخية فإنّ جميع الفِرَق و المذاهب الإسلامية تؤمن بفكرة الانتظار بشكل أو بآخر و تلتزم بمبادئه و أصوله، بل وضعته في مصافّ عقائدها الدينية المهمّة الأخرى.

ولم يكن الشيعة و أبناء العامّة _ باعتبارهما أكبر فرقتيْن إسلاميّتيْن _ بمنأى عن هذه القاعدة فهم يؤمنون بهذه القضية و يدركون دورها الرئيس في التأثير فيهم، و قد اهتمّت مصادرهما - سواء التاريخية أو الحديثية أو المصادر الأخرى - بهذا الموضوع إلى حدّ كبير. و بالنظر إلى شمولية عقيدة الانتظار و عموميّتها بين مختلف الفِرق و النّحل الإسلامية و كذلك بالنظر إلى قبول هذه الفكرة و الإجماع عليها من قِبل جميع المسلمين، فإنّنا سنشير في هذه المقالة إلى عقيدة أبناء العامّة و إيمانهم بموضوع الانتظار فقط و خلال ذلك سنبحث في مصادر الحديث و نسلّط الضوء عليها من أجل بيان قضيّة الانتظار و توضيح تفاصيلها عند أبناء العامّة بشكل دقيق.

ذكرنا آنفاً أنّ أبناء العامّة تناولوا في مصادرهم موضوع الانتظار بشكل صريح

www.noormags.ir

و تلويحي، فورد النوع الأوّل في روايات تلك المصادر تحت عنوان (التصريح بالانتظار) بينما أُشير في رواياتهم إلى النوع الثاني باسم (التلويح بالانتظار). و فيما يتعلّق بالنوع الأوّل سنشير إلى الروايات و الأحاديث التي ورد فيها مفهوم الانتظار و المفاهيم المشابهة الأخرى بشكل صريح و واضح؛ أمّا ما يخصّ النوع الثاني من الانتظار فسوف نتطرّق إلى الروايات و الأحاديث التي تناولت موضوع الانتظار بواسطة المفهوم أو المضمون و إن لم تُشر إلى الموضوع المذكور بدلالة المنطوق. و الخلاصة، فإنّنا سنبحث عن فكرة الانتظار في مصادر أبناء العامّة عَبر اتّجاهيْن اثنيْن: المطابق و الضمنيّ، و عليه، يمكن إيجاز سَير هذا البحث و تنظيمه و الوصول إلى النتيجة المطلوبة بالشكل التالي:

١. سنعمد إلى بحث مقالة الانتظار لدى أبناء العامّة فقط دون أن نشير إلى آراء الفِرق الإسلامية الأخرى بهذا الشأن.

٢. سنبحث في موضوع الانتظار في مصادر أبناء العامّة المَعنية بهذا الموضوع فقط و ليس الخوض في جميع مؤلّفاتهم و كُتبهم.

٣. سيقتصر بحثنا هذا على المصادر الحديثية لدى أبناء العامّة و ليس جميع مصادرهم الدينية.

٤. سيكون موضوع بحثنا محدوداً بنَوعَيْ الانتظار المذكوريْن، أي الخاصّ و العامّ، و بيان مراتبه و تقسيماته دون الإشارة إلى تنوّعات الانتظار المختلفة الأخرى.

٥. سنتناول في هذه المقالة بشكل عامّ النوع الصريح و النوع التلويحيّ للانتظار فقط

مفاهيم الكلمات

الانتظار

كلمة (انتظار) مشتقّة من الجذر الأصلي و هو (نَظَرَ)، فهي على وزن (افتعال)، و من معاني هذه الكلمة المألوفة (التأنّي) و (الترقُّب)[١] و في اللغة يعني (الانتظار) الترقُّب و الترصُّد و التوقُّع و التأمُّل و الترجّي و ما شابه ذلك.[٢] و ممّا يميّز هذه الكلمة عن مترادفاتها الأخرى اشتمال معناها على خاصيّة (المطاوعة) و هو ما يُعدّ من خصائص باب الافتعال بشكل عامّ، فالمطاوعة تعني التأثُّر، و لذلك عُرف معنى

١. أنظر: سعيد الخوري الشرتونيّ، أقرب الموارد، ج٢، مادة (نظر)؛ كذلك: فرهنگ بزرگ جامع نوين.
٢. ابن منظور، ١٤١٦: ج٥، ٢١٩؛ دهخدا، ١٣٣٤: ج٨، ٢٩٤.

www.noormags.ir

الانتظار في الغالب على أنّه (الترقُّب) و (التأمُّل).

ونستنتج ممّا ذكرنا أنّ (الانتظار) حالة و وصف تَفرض على الشخص المتأثّر سلسلة من الأمور و المسائل فتوجِد بينه و بين ما ينتظره نوعاً من علاقة التأثّر و التأثير. و هكذا، فإنّه لا شكّ في أنّ (الانتظار) الذي يمكن تفسيره وفق المعنى العامّ و الخاصّ يتضمّن كلا المعنيين في الاصطلاح كذلك، و عليه، فإنّ الانتظار العامّ في الاصطلاح يعني الأمل و التأمُّل لأجل الفرج و الفُسحة في شؤون الحياة من حيث العمل إذ يمكن تقسيم تلك الشؤون إلى فردية و اجتماعية، فالشؤون الاجتماعية تشمل جميع تلك الأبعاد مثل المشاكل الاقتصادية و السياسية و غيرها. و بعبارات أخرى، فإنّ متعلّق الانتظار اصطلاح عامّ يتضمّن مطلق المشاكل و المُعضلات في جميع الأبعاد و الاتّجاهات الاجتماعية و الفردية على اختلافها.

ويُقابل الانتظار العامّ الانتظار الخاصّ و متعلّقه جميع المشاكل و المُعضلات الخاصّة؛ لكنّ الانتظار الخاصّ الذي نروم شرحه و بيانه في هذا البحث نقصد به انتظار ظهور إمام العصر(عج)؛ وعلى هذا الأساس فإنّ الانتظار الخاصّ الاصطلاحيّ يُراد به الأمل والرّجاء في تحقّق ظهور المُنجي السماويّ ومجيئه باسم الإمام المهديّ(عج)؛ أي، الترقُّب والتأمُّل لوصول ذلك اليوم الموعود العالميّ حيث تَسعد الأرض وسكّانها بمجيئه وتتوفّر به لأبناء البشر جميعًا الحياة السعيدة و الكريمة. و بعبارة أخرى، فإنّ انتظار الفرج يعني التهيّؤ و الترقُّب[1] أو التحضير الروحيّ و العمليّ لمناسبة ظهور إمام العصر(عج) و ذلك للتعجيل في خروجه و نصرته على أعدائه، و لذلك، ينبغي لكلّ أحد الابتعاد عن كلّ ما يتنافى و هذا الحَدث[2].

ومن مجموعة التعاريف و المفاهيم الاصطلاحية التي تمّ ذكرها نصل إلى التحليل الآتي: يتضمّن الانتظار الخاصّ _ الذي يعني انتظار الإمام المهدي(عج) بالذات _ ثلاثة عناصر رئيسة هي: عدم الرّضا عن الوضع القائم؛ و الأمل في مجيء المستقبل الزاهر المطلوب؛ و أخيراً التحرّك و السّير باتّجاه الوضع المنشود، و من خلال هذه العناصر الثلاثة المذكورة يمكن تحديد ملامح الانتظار الخاصّ و تصوّره.

ولا ريب في أنّ تحليل عناصر الانتظار المذكورة مرهون على الأرجح بماهية الإنسان الوجودية و بُعده النفسيّ فعندما يواجه الإنسان ببُعده الروحيّ و النفسيّ

---

١. أنظر: الحراني، ١٣٦٣: ١٠٦.

٢. راجع: الخوئي، ١٤١٣: ج٥، ٣١٩.

www.noormags.ir

حقيقة غياب القائد و الإمام في مجتمعه فإنّه سيتعرّض للكثير من المشاكل بما فيها المشاكل الفردية و الاجتماعية و المادية و المعنوية و الدينية و العقائدية، و لا شكّ كذلك في أنّ هذه المشاكل و المُعضلات في الحقيقة هي التي تخلق حالة من عدم الرّضا عند ذلك الشخص إزاء الوضع القائم؛ فالإنسان _ و بسبب ماهيّته الوجودية _ كائن يمتلك عدداً من الخصائص الفطرية كالتّوق إلى الوصول إلى الكمال و بلوغ المكانة المطلوبة و المنزلة المنشودة إلى جانب رغبته في النّجاة و الخلاص. و بالاستناد إلى الخصائص الفطرية المذكورة يصبح الإنسان، أوّلاً، متفائلاً و مُفعماً بالأمل تجاه المستقبل المنشود، و ثانياً، يبدأ بالتحرّك الجريء و السّير السريع بعزم راسخ و إرادة قويّة نحو المستقبل المثالي الذي يتوق إليه. من الواضح أنّ العناصر الثلاثة المذكورة و الأساس التحليليّ لكلّ منها تُعدّ الأسباب الحقيقية للانتظار الخاصّ و الواقعيّ.

الانتظار العامّ

الانتظار العامّ هو الانتظار الكليّ و المطلق الذي يشتمل على الأمل و التفاؤل بحلّ كلّ أنواع المُعضلات و المشاكل الموجودة؛ و بعبارات أخرى، فإنّ الانتظار العامّ انتظار يكون متعلّقه عامّاً و مطلقاً يتضمّن معنى الأمل و التفاؤل إزاء كلّ أنواع المشاكل و المُعضلات بما فيها المشاكل المادية و المعنوية و الدنيوية و الأُخروية و الفردية و الاجتماعية و غيرها.

سأل أحد الناس أمير المؤمنين علي(ع): «فَأَيُّ الْمَصَائِبِ أَشَدُّ؟» فأجاب الإمام علي(ع) قائلاً: «الْمُصِيبَةُ بِالدِّينِ»، فقال: «فَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ و جَلَّ؟» قال(ع): «انْتِظَارُ الْفَرَجِ»، فقال: «فَأَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوجَلَّ؟» قال(ع): «أَخْوَفُهُمْ لِلهِ و أَعْمَلُهُمْ بِالتَّقْوَى و أَزْهَدُهُمْ فِي الدُّنْيَا».[1] و نُقِل عن رسول الله(ص) قوله: «أَفْضَلُ العِبادَةِ انْتِظارُ الفَرَج».[2]

وإلى جانب الروايات الكثيرة فقد أشار القرآن الكريم كذلك إلى موضوع انتظار الفرج بشكله العامّ و ذلك في قوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}.[3]

إنّ الأمثلة المذكورة أعلاه هي مجرّد شواهد بسيطة على ما قلناه و سوف نأتي على تقديم شواهد أخرى أكثر تفصيلاً خلال بحثنا هذا.

---

١. أنظر: الشيخ الصدوق، ١٤٠٠: ٣٩٥؛ القضاعي، بدون تاريخ: ١٠٣.
٢. الهيثمي، ١٤٠٨: ج١٠، ١٤٧؛ السيوطي، ١٤٠١: ١٩٢.
٣. سورة الانشراح، الآيتان ٥ و ٦.

www.noormags.ir

يقول ابن قيّم الجوزية في كتابه المعروف (مدارج السالكين) حول المعنى الاصطلاحيّ للانتظار العامّ: «انْتِظَارُ رُوحِ الْفَرَجِ يَعْنِي رَاحَتَهُ و نَسِيمَهُ و لَذَّتَهُ ؛ فَإِنَّ انْتِظَارَهُ و مُطَالَعَتَهُ و تَرَقُّبَهُ يُخَفِّفُ حَمْلَ الْمَشَقَّةِ و لَا سِيَّمَا عِنْدَ قُوَّةِ الرَّجَاءِ أَوِ الْقَطْعِ بِالْفَرَجِ، فَإِنَّهُ يَجِدُ فِي حَشْوِ الْبَلَاءِ مِنْ رُوحِ الْفَرَجِ و نَسِيمِهِ و رَاحَتِهِ مَا هُوَ مِنْ خَفِيِّ الْأَلْطَافِ، و مَا هُوَ فَرَجٌ مُعَجَّلٌ».[١]

الانتظار الخاصّ

الانتظار الخاصّ (أو المُقيّد) هو الانتظار المتعلّق أو المُقيّد بأمر ما أو بعض الأمور الخاصّة و هو مَعنيّ بالحلّ و التفاؤل و الأمل ضمن دائرة محدودة فقط نعم، تارة نجد الانتظار العامّ هو الموضوع على طاولة الحوار و الذي لا يكون متعلّقه أمر أو أمور خاصّة و أهمّ خصائصه عدم التقيّد و عدم تحديد المتعلّق، و تارةً أخرى نجد الانتظار الخاصّ هو الموضوع للحوار و هذا النوع من الانتظار يكون في مقابل النوع الأول (الانتظار العامّ) و هو من حيث المتعلّق يكون مُقيّداً و محدوداً؛ و مع ذلك فإنّ محدودية الانتظار الخاصّ و تقييده هو أمر نسبيّ، بمعنى أنّ متعلّق هذا النوع من الانتظار قد يكون في بعض الأحيان أمر واحداً مُعيّناً مثل ظهور إمام العصر(عج) و قد يكون في أحيان أخرى عنواناً كليّاً لعدد من الأمور مثل انتظار الفرج لحلّ أمور مادية أو معنوية، أو انتظار الفرج في المسائل و الأمور الدنيوية أو الأُخروية و ما شابهها و التي تتّصف في الحقيقة بعمومية واضحة، إلّا أنّها تكون نسبية و خاصّة و محدودة فيما يتعلّق بالانتظار المطلق. فالانتظار الخاصّ الذي نروم الخوض فيه في هذه المقالة و تحليله و بيانه و تحديد مكانته و منزلته عند أبناء العامّة من خلال تسليط الضوء عليه، هو انتظار الإمام المهديّ(عج).

روايات الانتظار في مصادر أبناء العامّة

تشتمل مصادر الحديث لدى أبناء العامّة على الكثير من الروايات و الأحاديث المنقولة عن النبيّ(ص) و الصحابة و قد تناولت تلك الأحاديث و الروايات التي لا تُعدّ و لا تُحصى العديد من الموضوعات و المسائل المتنوّعة و منها موضوع الانتظار الذي نحن بصدد بيانه و تحليله. و رغم ذلك فإنّ عدد هذه الروايات محدود للغاية بالمقارنة مع الروايات الأخرى، و يمكن تقسيم روايات الانتظار في مصادر أبناء العامّة الحديثية و تقصّيها إلى روايات منطوقة و أخرى مفهومية، ففيما يتعلّق

١. محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية، مدارج السالكين، ١٤١٦: ج٢، ١٦٦.

www.noormags.ir

بالروايات المنطوقة فإنّ المقصود هو معنى استعمال كلمة (الانتظار) نفسها في تلك الروايات، أي أنّها تشمل الروايات التي تمّ فيها استعمال كلمة (انتظار) و المترادفات أو الكلمات المشابهة لها بشكل صريح لا لَبس فيه؛ أمّا الروايات المفهومية فإنّها تركّز على المضمون و المحتوى اللذيْن تشتمل عليهما هذه الروايات، بمعنى أنّها روايات لا تشير إلى موضوع الانتظار في الظاهر و بدلالة المنطوق، إلّا أنّها _ و من حيث المفهوم _ تدلّ دلالة واضحة على مسألة الانتظار، و عليه فهي تُعدّ من ضمن الروايات الخاصّة بالانتظار. و من هنا، فإنّ البحث الذي أمامنا سيتناول موضوع الانتظار بشكله الصريح و التلويحي كما ورد في مصادر أبناء العامّة.

التصريح بالانتظار في روايات الانتظار

قليلة و شحيحة هي الروايات التي تتناول موضوع الانتظار الواردة في مصادر الحديث لدى أبناء العامّة بما فيها الصحيحيْن و المسانيد المعروفة و الجوامع و المصادر الأخرى عندهم، و قد لا يتجاوز عدد تلك الروايات أربعاً، بل و قد يكون العدد الحقيقيّ روايتيْن اثنتيْن فقط إذا ما أمعنا النظر فيها جيداً. فكلّ مصدر من مصادر الحديث لدى أبناء العامّة يضمّ الكثير من الروايات إلّا أنّ الروايات الخاصّة بالانتظار و التي تحمل كلمة (الانتظار) و المفاهيم المتشابهة لها لا تتجاوز روايتيْن فقط، و حتى هاتين الروايتين لا تشيران إلى الانتظار الخاصّ بأيّ شكل من الأشكال بل تشيران بمجموعهما إلى معنى الانتظار العامّ، أي الأمل و التفاؤل في رفع المشاكل و حلّ المُعضلات الدنيوية و التحلّي بالصبر في مواجهة تلك المشاكل و المعضلات.

فأمّا الرواية الأولى فمنقولة عن رسول الله(ص) و هي قوله: «سَلُوا اللَّهَ مِن فَضلهِ فإنّ اللّه يُحبّ أن يُسأَلَ و أفْضَل العِبادَة انتظارُ الفَرَج».[1] و يُذكر أنّ العديد من المحدّثين و المصنّفين من أبناء العامّة أوردوا هذه الرواية في كُتبهم و مصادرهم، كما وردت أيضاً في بعض مصادر الحديث الشيعية و إن بشكل مختلف[2] مثل: «أفضلُ العِبادة انتظارُ الفرج».

وأوّل مصدر من مصادر أبناء العامّة تطرّق إلى الحديث المذكور هو (سُنن الترمذي)[3] ثمّ ورد في مصدر آخر بعده و هو (مُسند الشهاب)[1] ثمّ كتاب (الدعاء)[2]

---

١. راجع: الترمذي، ١٤٠٣: ج٥، ٢٢٦.

٢. أنظر: الشيخ الصدوق، ١٣٩٥: ج١، ٢٨٧.

٣. المصدر السابق.

www.noormags.ir

ثمّ (مجمع الزوائد)[٣] و (الجامع الصغير)[٤] و غيرها من مصادر الحديث الأخرى. كما وردت الرواية المذكور بشكل مجتزأ في كلّ من كتاب (مسند القضاعي)[٥] و (شعب البيهقيّ):[٦] «أفضلُ العِبادة انتظارُ الفرج».

وأمّا الرواية الثانية فهي الأخرى منقولة عن الرسول الأعظم(ص) و تتناول موضوع الانتظار و علاقته بالصّبر، قال(ص): «انْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَة».[٧]

والحقيقة أنّ الرواية أعلاه نُقلت لأوّل مرّة في مصادر أبناء العامّة عن كتاب (مسند الشهاب) للقضاعي[٨] ثمّ في كُتب حديثية أخرى مثل كتاب (شُعب الإيمان)[٩] و (الجامع الصغير)[١٠] و (ميزان الاعتدال)[١١] و (كنز العمّال)[١٢] و غيرها من المصادر الأخرى.

الروايتان الثالثة و الرابعة: جاء في روايتيْن اثنتيْن قول الرسول الأعظم(ص): «انْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللهِ عِبَادَة»[١٣] و قوله(ص): «انْتِظَارُ الْفَرَجِ عِبَادَة».[١٤]

من الواضح أنّ الروايات الثلاث الأخيرة المنقولة في مصادر أبناء العامّة المتعدّدة عن رسول الله(ص) مع بعض التفاوت في الكلمات و العبارات، تعود جميعها إلى رواية واحدة من حيث السياق و الأسلوب، و على هذا الأساس يمكن القول إنّ الروايات المتعلّقة بموضوع الانتظار في مصادر الحديث عند أبناء العامّة محدودة و قليلة لا تتجاوز روايتيْن اثنتيْن فقط، و تجدر الإشارة إلى أنّ كتاب (الفرج بعد الشدّة) للتنوخي الذي يُحتمل أن يكون من مؤلّفي أبناء العامّة و الذي عاش في القرن الهجريّ الرابع، اشتمل على روايات أخرى في هذا الموضوع مرفوعة إلى أميرالمؤمنين علي(ع) و منها قوله: «أفْضلُ ما يَعمَله المُمْتَحَن انْتظارُ

---

١. القضاعي، ١۴٠۵: ج٢، ٢۴۵.
٢. الطبراني، ١۴١٣: ٢٩.
٣. الهيثمي، ١۴٠٨: ج١، ١۴٧.
۴. السيوطي، ١۴٠١: ج٣، ٢٧۵.
۵. ١۴٠۵: ج۴، ۴٣۶.
۶. ١۴١٠: ج٧، ٢٠۴.
٧. القضاعي، ١۴٠۵: ج٢، ۶٢.
٨. المصدر نفسه.
٩. البيهقي، ١۴١٠: ج٧، ٢٩۴.
١٠. السيوطي، ١۴٠١: ج١، ۴١٧.
١١. الذهبي، بدون تاريخ: ج٣، ٢۵۶.
١٢. المتقي الهندي، ١۴٠٩: ج٣، ٢٧٢.
١٣. البيهقي، ١۴١٠: ج٧، ٢٠۵.
١۴. الجرجاني، ١۴٠٩: ج٢، ٧۶.

www.noormags.ir

الفَرَج».[1]

وجدير بالذكر هنا أنّ الرواية المُشار إليها منقولة عن مصدر واحد فقط و هو كتاب (الفرج بعد الشدّة) و لم يَرد ذكرها في أيّ مصدر آخر - لا عند الشيعة و لا عند أبناء العامّة - كما لم يتناولها بالحديث و التفسير أيّ عالم أو مؤلّف من الشيعة أو أبناء العامّة، و بناءً على ذلك فإنّه لا يمكن اعتبار الرواية المذكورة من ضمن روايات الانتظار التي نحن بصددها، أو وضعها في إطار روايات الانتظار الأربعة المذكورة آنفاً. و الآن، لا بدّ لنا من بيان كيفية تفسير روايات الانتظار و تبريرها مع قلّتها و بالنظر إلى محدوديّتها من حيث العدد و كثرتها من حيث النّقل بالنسبة لمكانتها و مصدر صدورها و استعمالاتها.

قبل الخوض في استعمالات روايات الانتظار و مصدرها و مكانتها، ينبغي لنا الإشارة إلى أربع نقاط مهمّة، هي:

١. أنّ الروايات الأربع المذكورة كلّها منقولة عن رسول الله(ص).

٢. اقتصرت مصادر الحديث لدى أبناء العامّة على نقل روايات الانتظار تلك من دون أن تتطرّق إلى تحليلها و بيان تفاصيلها.

٣. لم يَرد ذكر الروايات الأربع المُشار إليها لا في (صحيح مسلم) و لا في (صحيح البخاريّ) لا من قريب و لا من بعيد.

٤. بناءً على ذلك كلّه يمكن تقليص عدد الروايات المذكورة أعلاه إلى روايتيْن اثنتيْن فقط.

وممّا لا شكّ فيه أنّ روايات الانتظار الأربع التي تمّ تقليصها إلى روايتيْن فقط لا تتضمّن أيّ أسئلة مُعيّنة فيما يتعلّق بالصدور بحيث تؤدّي إلى تقييد و تحديد مجال الانتظار من حيث المفهوم، كما أنّها لا تتضمّن أيّ كلمات أو عبارات خاصّة بحيث تقود الانتظار العامّ نحو الانتظار الخاصّ. يُضاف إلى ذلك، إنّ تلك الروايات لا تمتلك مكانة أو استعمالاً خاصّاً بحيث تشير إلى التصوّر الخاصّ من قِبل علماء أبناء العامّة؛ على سبيل المثال و فيما يتعلّق بالرواية الأولى «سَلُوا اللَّهَ مِن فَضلِهِ فإنّ اللّه يُحبّ أن يُسأَلَ و أفْضَل العِبادَة انتظارُ الفَرَج» التي وردت في العديد من مصادر الحديث لدى أبناء العامّة و كُتبهم، فقد اكتفت بعض المصادر المذكورة بنَقل هذا الحديث من غير تقديم أيّ توضيح أو تفسير بشأنه و لو بشكل مُجمَل و موجز،[2] إلّا أنّ بعض كتب الحديث المعروفة مثل كتاب (عمدة القارئ) و (شعب الإيمان) و

---

١. التنوخي، ١٤١٠: ج١، ٤٦.

٢. أنظر: الترمذي، ١٤٠٣: ج٥، ٢٦٦.

www.noormags.ir

(كنز العمّال) و غيرها ذكر هذه الرواية في ذيل باب الدعاء و الاستجابة و آداب الدّعاء. كما وردت الرواية المذكورة في بعض كُتب التفسير عند أبناء العامّة على الأغلب في ذيل تفسير الآية الشريفة من قوله تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا و لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ و اسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}.[١]

والحقيقة أنّ معظم مُفسّري أبناء العامّة كابن كثير[٢] و السيوطي[٣] أشار إلى الرواية أعلاه في معرض تفسيره للآية الشريفة الثانية و الثلاثين من سورة (النساء) التي تُحدّد منزلة كلّ من الرّجل و المرأة و عدم تمنّي ما فضّل الله تعالى بعضهم على بعض، مُعتبرين تلك الرواية من ضمن الروايات المُفسّرة للآية المذكورة.

من الواضح أنّ نظرة أبناء العامّة إلى رواية الانتظار المُشار إليها هي نظرة عامّة كما أنّ تصوّرهم لمكانة تلك الرواية و تطبيقاتها هو تصوّر عامّ أيضاً، و من هنا، ليس لدى مُحدّثي أبناء العامّة و لا مُفسّريهم أيّ تفسير للصدور الخاصّ أو الاستعمال الخاصّ لتلك الرواية، و لذلك فإنّ التصوّر الذي يمكن استنباطه للرواية المذكورة هو تصوّر الانتظار العامّ و ليس الانتظار الخاصّ.

وأمّا ما يتعلّق بالروايات الثلاث التي تعود في الحقيقة إلى رواية واحدة فقد وردت في أكثر من عشرين مصدراً من مصادر الحديث لدى أبناء العامّة، و أوّل تلك المصادر من حيث الخلفية التاريخية هو كتاب (مسند الشهاب)[٤]؛ فقد قام القضاعي بنقل تلك الروايات من دون أن يضع أيّ شرح أو تفسير لها أو بيان مصدر الصّدور أو استعمالاتها الخاصّة، حيث وضعها في باب بعنوان (انتظار الفرج بالصبر عبادة). و أورد البيهقيّ الروايات الثلاث المذكورة في كتابه (شعب الإيمان)[٥] في موضع واحد و جمعها في فصل مستقلّ ضمّ إليها في الفصل نفسه روايات أخرى تشتمل على مضمون المشكلات و الشدائد الدنيوية و كيفية التخلّص منها حيث يُعتبر درج تلك الروايات جنباً إلى جنب قرينة واضحة على أنّ مقصود المؤلّف من روايات الانتظار هو الانتظار العامّ الذي يتعلّق بالمشاكل و المُعضلات الدنيوية و كيفية حلّها و الخلاص منها.

وأمّا القرينة الأخرى التي يمكن الإشارة إليها بهذا الصّدد و التي تُمثّل دليلاً على

---

١. سورة النساء، الآية ٣٢.
٢. ابن‌كثير، ١٤١٢: ج١، ٥٠٠.
٣. بدون تاريخ: ج٢، ١٤٩.
٤. القضاعي، ١٤٠٥: ج١، ٦٢.
٥. البيهقي، ١٤١٠: ج٧، ٢٠٤.

www.noormags.ir

كون المُراد من الانتظار هو الانتظار العامّ فهي الاسم المُستخدَم في التبويب و التقسيم الموجود في الكتاب المذكور و هو (في ذكر ما في الأوجاع و الأمراض و المصيبات)؛ و نفس الحالة نشهدها أيضاً في كتاب (الجامع الصغير)[1] إلّا أنّه تمّ نَقل روايات الفرج في هذا الكتاب (انتظار الفرج من الله عبادة) مع بعض الإضافات مثل (و من رضيَ بالقليل من الرزق رضيَ الله تعالى منه بالقليل من العمل) و هذه الإضافات نفسها قرينة و دليل على أنّ المُراد من الانتظار ههنا هو الانتظار العامّ. و أمّا المناوي _ و هو أحد علماء أبناء العامّة المعروفين - فقد نقل الروايات الثلاث في كتابه (فيض القدير)[2] في موضع واحد و أفرد المؤلّف صفحتيْن كاملتيْن لشرح تلك الروايات و تفسيرها، إلّا أنّ شرحه و تفسيره يتضمّن نفس النظرة و التصوّر اللذيْن أشار إليهما علماء السلف من أبناء العامّة حول روايات الانتظار و نفس الاستعمال العامّ لكلمة (الانتظار) الذي استعمله أولئك من قبل.

واستناداً إلى ما ذُكر فإنّ النتيجة التي يمكن الوصول إليها هي أوّلاً، إنّ عدد روايات الانتظار في مصادر أبناء العامّة محدود للغاية، و ثانياً، إنّ هذا العدد القليل من الروايات تمّ نقله و تكراره مرّات عديدة في مصادرهم، ثالثاً، تخلو مصادر أبناء العامّة من أيّ تفسير للصدور الخاصّ و استعمال الكلمات الخاصّة على عكس المصادر الشيعية التي تضمّنت كلّ تلك النقاط، رابعاً، لم تستعمل روايات الانتظار إطلاقاً بشكلها الخاصّ في مصادر أبناء العامّة؛ و على هذا، لا يمكن وضع روايات الانتظار الواردة في مصادر أبناء العامّة ضمن الروايات المتعلّقة بالانتظار الخاصّ أو استنباط معنى الانتظار الشيعيّ المتمثّل بظهور الإمام المهديّ(عج) من تلك الروايات.

التلويح بالانتظار في روايات الانتظار

على الرّغم من أنّ روايات الانتظار الواردة في مصادر الحديث لدى أبناء العامّة لم تتضمّن معنى الانتظار و المفاهيم المشابهة الدالّة على معنى الانتظار الخاصّ إلّا أنّ ثمّة روايات أخرى أيضاً في هذا المجال يمكن تصنيفها ضمن روايات الانتظار الخاصّ (أي، انتظار ظهور الإمام المهدي(عج))، و هكذا، فإنّ النتيجة التي نخلص إليها من مجموع تلك الروايات تتمثّل فيما يأتي:

أوّلاً: يمكن الإشارة إلى روايات الانتظار في مصادر أبناء العامّة في الإطار

---

١. أنظر: السيوطي، ١٤٠١: ج١، ٤١٧.

٢. راجع: المناوي، ١٤١٥: ج٣، ٦٧.

www.noormags.ir

التوصيفيّ و تصنيفها و تقسيمها.

ثانياً: بيان مكانة الانتظار في مجتمع أبناء العامّة من خلال طرح هذا النوع من الروايات و تسليط الضوء عليها.

ولأجل بيان مكانة الانتظار لدى أبناء العامّة بالاستناد إلى روايات الانتظار المنقولة من قِبلهم، لا بدّ أوّلاً من البحث في كلمة (الانتظار) من حيث المفهوم و النطاق، بمعنى أن نقوم بدقّة ببيان الانتظار عَبر مسألتيْن اثنتيْن: تعريف مفهوم الانتظار و نطاق معنى الانتظار، و عندئذ يمكن إثبات نظرية وجود أبعاد الانتظار في روايات الانتظار عند أبناء العامّة.

تُقسّم مقولة الانتظار من حيث النطاق و التنوّع إلى عدد من الأقسام منها الانتظار الروحيّ و القلبيّ و الكلامي و العمليّ، و من الواضح أنّ كلّ تلك الأنواع و التقسيمات تشير بشكل أو بآخر إلى اشتمال الانتظار على المراتب و الدرجات المختلفة. و تجدر الإشارة هنا إلى أنّ أنواع الانتظار المذكورة تدخل ضمن مصاديق الانتظار و شخصياته و أنّ خطاب الانتظار المُعنون إليهم خطاب صحيح، و أمّا التفاوت و الاختلاف فيتمثّل في المراتب و الدرجات حيث يُعتبر الانتظار الروحي أدنى تلك المراتب فيما يُمثّل الانتظار العمليّ أعلى و أرقى المراتب جميعاً. من هنا فإنّ مقولة الانتظار _ من حيث التقسيم _ متنوّعة و مختلفة و لا بدّ هنا من تحديد روايات الانتظار و مكانتها لدى أبناء العامّة و توافقها مع أيّ من مراتب الانتظار و درجاته. على سبيل المثال هل يمكن القول بأنّ أبناء العامّة ملتزمون و متّفقون على مفهوم الانتظار الأسمى و الأعلى _ و نعني به الانتظار العمليّ _ وفق روايات الانتظار عندهم و مكانتها لديهم؟

فيما يتعلّق ببيان مفهوم الانتظار فإنّه يُقال أنّ مسألة الانتظار _ من حيث الماهية _ تتضمّن وجهتيْن اثنتيْن: إحداهما سلبية و الأخرى إيجابية؛ أمّا الوجهة السلبية فيُراد بها معنى عدم الرّضا عن الوضع القائم و هي في الحقيقة تُمثّل محاربة الظلم و الجَور الذي يمارسه الظالمون و الطغاة ضدّ الناس؛ و أمّا الوجهة الإيجابية _ و هي النظرة المتفائلة إزاء المستقبل إلى جانب مسألة الظهور و تأسيس المجتمع المثاليّ الذي ينشده المُنجي _ فتشير إلى عزم الأفراد و تحرّكهم من أجل الوصول إلى المجتمع المنشود الذي يريده المهديّ(عج). إذن، يمكن تفسير الوجهة الإيجابية من خلال مصاحبة الناس للصالحين و السّير على خطاهم و تفسير الوجهة السلبية عَبر محاربة الناس للظالمين و الطغاة، و بالاستناد إلى كلّ من النظرة الإيجابية و النظرة السلبية _ اللتيْن تمثّلان أساس الانتظار و جوهره _ تتبيّن لنا مكانة الانتظار في مجتمع أبناء العامّة. فمن خلال النظرة الإيجابية يتمّ بيان الحركات و النهضات و النشاطات التي يقوم بها أبناء العامّة في إطار تهيئة مستلزمات الظهور، و من خلال

www.noormags.ir

النظرة السلبية تتّضح لنا الموانع و حالات النّقص و التحديات التي يواجهها أبناء العامّة بهدف الوصول إلى مرحلة ظهور المُنجي؛ و عليه، فإنّ بيان ذينك العامليْن لدى أبناء العامّة اللذيْن يمكن استنباطهما من روايات الانتظار عندهم يشير إلى الانتظار الذي ينبغي لجميع المسلمين الإيمان به و الالتزام بمضمونه؛ و بناء على ذلك تظهر أمامنا مسألتان في ذيل البحث و الحديث عن الموضوع لا بدّ من توضيحهما لكي تتبيّن لنا تصوّرات أبناء العامّة بشأن ذلك بشكل أدقّ: المسألة الأولى و تتمثّل في الحركات الثورية التي تقع قبل الظهور و ضرورة تأييد الناس لها؛ أمّا المسألة الثانية فتشير إلى جهود الناس و مساعيهم من أجل القضاء على الموانع و العوائق مثل الدجّال و الشّرور التي تحفّ بهذا السبيل.

إذن، من النقاط المهمّة التي يمكن الإشارة إليها ههنا هي، إنّ الانتظار الذي يمكن استنباطه من روايات الانتظار لدى أبناء العامّة هو: أوّلاً انتظار أعلى و أسمى، أي الانتظار العمليّ؛ ثانياً يمكن استنباط كلا النظرتيْن إزاء الانتظار من تلك الروايات، أي النظرة الإيجابية و النظرة السلبية، و لا ريب في أنّه يمكن الإشارة إلى التصوّرات الموجودة عن الانتظار لدى أبناء العامّة بالاستناد إلى النقاط المذكورة.

الثوريون الشرقيون و ضرورة تأييد أبناء العامّة لهم

من بين الحوادث و الملاحم التي ستقع قبل الظهور قيام ثورة و حركة من جانب أهل المشرق في إطار الرايات السود، و قد ورد الكثير من الروايات في مصادر أبناء العامّة حول مسألة الرايات السود و بعبارات و كلمات متنوّعة مثل قضية قيام أهل خراسان[1] و قيام أهل فارس[2] و قيام أبناء (طالقان)[3] و غيرها من النهضات و الثورات الأخرى، و بالاستناد إلى المعلومات الواردة في تلك الروايات فإنّ هدف تلك الحركات و الثورات المشهورة بالرايات السود و مطلبها يتلخّص في الوصول إلى ثورة المهدي(عج) العالمية و التحضير لوقوع هذا الحدث الكبير.

وبالإضافة إلى ورود الروايات الخاصة بالرايات السود في أهمّ المصادر الحديثية لأبناء العامّة فقد ورد ذكر تلك الروايات أيضاً مراراً و تكراراً في العديد من الكتب و المصنّفات التي وضعت فيما بعد من قِبل أبناء العامّة. و نُقِل عن الرسول الأعظم(ص) قوله في ذلك: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا و إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً و تَشْرِيداً و تَطْرِيداً حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ

---

١. أنظر: المتقي الهندي، ١٤٠٩: ج١٤، ٥٨٨.
٢. نفس المصدر: ج١٢، ٩٠.
٣. ابن حنبل، بدون تاريخ: ج٥، ٢٧٧.

www.noormags.ir

الْمَشْرِقِ و مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ فَيَسْأَلُونَ الْحَقَّ فَلَا يُعْطَوْنَهُ فَيُقَاتِلُونَ و يُنْصَرُونَ فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُونَ حَتَّى يَدْفَعُوهُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلَؤُهَا قِسْطاً كَمَا مَلَئُوهَا جَوْراً فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ و لَوْ حَبْواً عَلَى الثَّلْجِ».

سُنن ابن ماجة: هو أوّل مصدر من مصادر أبناء العامّة تطرّق إلى الرواية المذكورة[1] ثمّ نُقلت في مصادر عديدة أخرى أهمّها (مُسند ابن أبي شيبة)[2] و (مُعجم الطبرانيّ).[3]

ويذكر أنّ الرواية المُشار إليها وردت كذلك مع بعض الاختلاف في العبارات في مصادر حديثية مختلفة لأبناء العامّة بما فيها المصادر المهمّة المعروفة و أمّهات الكتب، و لا شكّ في أنّ هذه الرواية و مثيلاتها تتضمّن الكثير من النقاط المهمّة، و فيما يأتي بعض تلك النقاط:

١. إنّ وقوع الثورة يكون بواسطة أهل الشّرق و أنّ الشّرق هو مصدر تلك الثورة.

٢. تتّصف الثورة المذكورة ببعض الخصائص مثل حمل الرايات السود.

٣. إنّ أصحاب تلك الثورة و مُفجّريها يطلبون الحقّ و يبحثون عن الحقيقة.

٤. وصف أولئك الأشخاص بالمحاربين و المجاهدين.

٥. إنّ أولئك المحاربين و المجاهدين شجعان و مناضلون.

٦. إنّهم مؤمنون بهدفهم و ملتزمون بمبدئهم.

٧. إنّ الهدف من تلك الثورة و النهضة الوصول إلى مرحلة الظهور و قيام دولة المهدي(عج).

٨. إنّ من واجب الناس (أبناء العامّة) تأييد تلك الثورة و الوقوف إلى جانب أصحابها حتى في أحلك الظروف و أصعبها (وَ لَوْ حَبْواً عَلَى الثَّلْجِ).

على الرّغم من أنّنا أشرنا إلى أهمّ النقاط و المعلومات في الرواية المذكورة، لكن، و من خلال نظرة دقيقة و فاحصة يمكن توضيح الرواية و نقاطها المهمّة بإيجاز عبر نمطيْن من البحث: ماهية الانتظار و رسالة المنتظرين، و ذلك أنّ النقطة الأولى حتى السابعة تشير بشكل أو بآخر إلى مواصفات الانتظار العالي (أي، الانتظار العمليّ) فيما تشير النقطة الثامنة (الأخيرة) إلى رسالة المنتظرين و واجباتهم و مسؤولياتهم إزاء مسألة الانتظار و الحركات الثورية، و من خلال بيان ضرورة التأييد و الانخراط في تلك الحركات حتى في الظروف الصعبة (وَ لَوْ حَبْواً

---

١. راجع: ابن ماجة، ١٤٠٩: ج٢، ١٣٦٦.

٢. ابن أبي شيبة، ١٤٠٩: ج٨، ٦٩٧.

٣. ١٤١٥: ج٦، ٢٩.

www.noormags.ir

عَلَى الثَّلْج) أكّدت النقطة الثامنة على الالتزام بذلك و حتميّته.

يقول الرسول الأعظم(ص): «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَيُوطِئُونَ لِلْمَهْدِيِّ يَعْنِي سُلْطَانَه». و جدير بالذكر أنّ الرواية أعلاه نُقلت لأوّل مرّة في مصادر الحديث لدى أبناء العامّة، أي سُنن ابن ماجة[1]، و عنها نقلت المصادر الأخرى، المصادر الشيعية و مصادر أبناء العامّة. ففي كتابه (بيان الشافعي) نقل الشافعي الرواية المذكورة عن سُنن ابن ماجة، و بعد توثيقه للرواة الذين نقلوا تلك الرواية صرّح الشافعي بأنّها رواية صحيحة. و أمّا القندوزي فهو الآخر نقل تلك الرواية في كتابه (عقد الدرر) عن كتاب (ابن ماجة) مع اختلاف في بعض الكلمات (ولاسيّما كلمة: الناس)،[2] و هكذا الحال في مصادر الحديث الأخرى مثل (المعجم الأوسط)[3] و (الصّواعق المُحرقة)[4] و (كنز العمّال)[5] فكلّها نقلت الرواية المذكورة عن كتاب (سنن ابن ماجة). و أمّا ما يخصّ مصادر الحديث الشيعية فلم ينقل الرواية المذكورة عن ابن ماجة سوى القليل منها مثل كتاب (شرح الأخبار)[6] و (بحار الأنوار)[7] و (كشف الغمّة).[8]

وحول المقصود بكلمة (يُوَطّئون) قال السيوطيّ في (شرح سنن ابن ماجة): «يمهدون للْمهْدي خِلَافَته و يؤيّدونه و ينصرونه».[9] فالقسم الأوّل (يُمهّدون) معناه تهيئة الظروف و تحضير الأنفس و تقديم الأعمال و هو في الحقيقة أمر يقع على عاتق المُنتظرين، أمّا القسم الثاني، و هو قوله (يؤيّدونه و ينصرونه) فيعني تأييد المُنجي و نُصرته و هذا أمر يُعدّ من مسؤولية أصحاب الإمام المهدي(عج) و أتباعه المخلصين.

و في موضع آخر أيضاً قال الرّسول الأعظم(ص): «إذا رَأيْتُم الرّاياتَ السّودَ قَد جاءَت مِن قِبَل خُراسان؛ فأتُوها؛ فإنّ فيها خليفة اللّه».[10] و أشار صاحب كتاب (مرقاة المفاتيح) إلى عدد من النقاط فيما يتعلّق بالرواية المذكورة و بيان بعض

---

١. ابن ماجة، بدون تاريخ: ج٢، ١٣٦٨.
٢. أنظر: المقدسي، ١٣٩١: ١٢٥.
٣. الطبراني، ١٤١٥: ج١، ٩٤.
٤. الهيثمي، ١٣٨٥: ١٦٨.
٥. المتقي الهندي، ١٤٠٩: ج١٤، ٢٦٣.
٦. المغربي، ١٤١٦: ج٣، ٥٦٣.
٧. العلامة المجلسي، بدون تاريخ: ج٥١، ٨٧.
٨. الأربلي، ١٣٨١: ج٢، ٤٧٧.
٩. السيوطي، بدون تاريخ: ج١، ٣٠٠.
١٠. ابن حنبل، بدون تاريخ: ج٥، ٢٧٧.

www.noormags.ir

تفاصيلها، منها:

١. إنّ خطاب النبيّ الأعظم(ص) يتّصف بالعمومية و هو يشمل جميع المسلمين دون استثناء.

٢. قد يكون المقصود بكلمة (السّود) في الحديث الشريف المذكور سواد الجيش لعِظمه و كثرة أفراده.

٣. تعني كلمة (فأتُوها) استقبال تلك الرايات و الخضوع لها و إظهار الطاعة لقائدها.

٤. قوله(ص): «فإنّ فيها خليفة الله» معناه أنّ هذا الجيش تابع للمهديّ(عج) و ناصر له و مُجيب لدعوته.[١]

و ممّا لا شكّ فيه أنّنا عندما نضع روايتَي النبيّ الأكرم(ص) جنباً إلى جنب ثمّ تفسيرهما و بيانهما معاً فإنّ المضامين و النتائج التي نحصل عليها منهما مشابهة تماماً لمضمون الانتظار الخاصّ و من النوع العالي (أي، الانتظار العمليّ). إذن، من الوجهة التطبيقية يمكن إحصاء المواصفات التي يتّصف بها الانتظار الخاصّ و العالي (العمليّ) في تلكما الروايتيْن كذلك. على سبيل المثال:

١. الهدف من الظهور: إنّ أُولى مواصفات الانتظار الخاصّ و العالي هو اعتبار الظهور غايته و هدفه الرئيس.

٢. استراتيجية السعي و المجهود: و من مواصفات الانتظار العالي المهمّة السعي و بذل الجهود المتواصلة من قِبل المنتظرين من أجل الوصول إلى الهدف الرئيس ألا و هو الظهور.

٣. التحضير و الاستعداد الكامليْن: يُعد الاستعداد و التهيّؤ الكامليْن _ اللذيْن يُمثّلان في الحقيقة شرط تحقّق عملية الظهور _ من جملة المواصفات المهمّة للانتظار العالي.

إنّ ممّا لا شكّ فيه هو أنّ المواصفات المذكورة المتعلّقة بموضوع الانتظار الخاصّ و العالي وردت في روايات الانتظار بشكل تلويحيّ، و من هنا، يمكن القول إنّ أبناء العامّة ملتزمون بالانتظار الخاصّ و العالي بالنظر إلى الروايات المُشار إليها التي تبيّن بوضوح مواصفات الانتظار الخاصّ و العالي.

وجوب محاربة أبناء العامة للدّجال

قلنا قبل هذا أنّ الانتظار من وجهة النظر السلبية يعني مواجهة الظلم و مقارعة الجَور و محاربة الظالمين و الطغاة الذين يتعاملون مع الناس و المجتمع برمته

١. الهروي القارئ، ١٤٢٢: ج٨، ٣٤٤٧.

www.noormags.ir

بالظلم و الجَور و يحاولون وضع العوائق و الموانع في طريق تحقّق عملية الظهور؛ و هكذا فقد اشتُهر عن الدجّال بأنّه رأس الظالمين و إمام الطغاة و المستبدّين و هو ما حذّر الأنبياء و المرسلين على مرّ التاريخ أصحابهم و أتباعهم و المؤمنين بهم من شرّ هذه الشخصيّة أو الانجراف إلى هاوية فِتَنه. و على أيّ حال، فسواء أكان أُسّ الفساد و الضلال فرداً بعينه أو حركة أو تيّاراً فكرياً أو اجتماعياً فإنّه ينبغي للمنتظرين في كلّ الأحوال الوقوف بوجهه و محاربته و التصدّي له. و تجدر الإشارة هنا إلى أنّ موعد قيام الدجّال و وقت مجيئه يكون في آخر الزمان، أي خلال فترة ظهور الإمام المهديّ(عج) و هناك ستحدث المواجهة الكُبرى بين رمز الشرّ و الضلالة _ الدجّال _ و رمز الخير و الهداية بقيادة الإمام المهديّ(عج)، و هناك أيضاً سيكون التدافع و المقاومة الأخيرة بين الحقّ و الباطل في آخر صفحات تاريخ البشرية. و عليه، و بناءً على المقتضيات الزمانية و الالتزامات الاجتماعية، فإنّ خروج الدجال في آخر الزمان يمثّل آخر مرحلة من مراحل الدين و سيتبيّن عندها أنّ آخر الأنبياء هو رسولنا الحبيب(ص) و أنّ آخر الأديان الحقّة هو الدين الإسلاميّ، و هكذا، فإنّ المواجهة بين الإسلام و المسلمين من جهة و بين الدجّال و أتباعه من جهة أخرى ستكون أقوى، كما أنّ المسلمين سيكونون آنذاك أكثر عُرضة للتهديد و الشرّ من قِبل الأديان الأخرى و أتباعها، و لهذا أشار الكثير من الروايات و الأحاديث المختلفة في مصادر الحديث الإسلامية إلى هذه المسألة و لا سيّما تلك الخاصة بأبناء العامّة و قد ضمّت تلك الأحاديث و الروايات العديد من التحذيرات للناس و ضرورة الانتباه للأخطار و التهديدات التي تنتظرهم من قِبل الدجّال و جماعته و عدم الانجراف إلى فِتنه أو الوقوع في حبائله. كما اشتملت الأحاديث و الروايات المُشار إليها على الطرق و الأساليب الكفيلة بمحاربة الدجّال و التصدّي له و على كلّ مسلم _ باعتباره أحد المنتظرين للإمام المهدي(عج) و المؤمنين به _ تقع مسؤولية معرفة تلك الطرق و الأساليب و استخدامها في المسار الصحيح لمحاربة الدجال و الوقوف بوجهه لكي تتهيّأ بذلك الأرضية المناسبة لمجيء الإمام المهدي(عج) و ظهوره.

وأمّا الطرق و الأساليب الثلاثة التي يمكن استنباطها من روايات أبناء العامّة الخاصة بالدّجال فهي (الاعتصام) و (الابتعاد) و (الاستعاذة) و هم يؤمنون بها و يلتزمون بمضامينها؛ بمعنى أنّ أبناء العامّة يؤمنون أنّ سبيل الوصول إلى مرحلة ظهور المهدي(عج) تمرّ بمحاربة الدجّال و أنّ أسلوب محاربة الدجّال إنّما يكون باستخدام الطرق الثلاثة المذكورة: الاعتصام و الابتعاد و الاستعاذة.

ويُراد بـ(الاعتصام) اللجوء و الاستعانة ببعض الأمور مثل العبادة و العبودية و المعنويات، و في الحقيقة إنّ الالتزام بالاعتصام بهذا المعنى من شأنه أوّلاً: تعزيز

www.noormags.ir

القوى الباطنية و الداخلية للفرد و تعاليها؛ و ثانياً يكتسب الإنسان عبر تعزيز قواه الباطنية و تعاليها نوعاً من الحصانة و العصمة من الوقوع في فِتن الدجّال.

وأمّا (الاستعاذة) فتعني الحُجر و الدّفع اللذيْن يؤدّيان إلى اكتساب الفرد الحماية و الحصانة المطلوبة. و بالاستناد إلى الوصايا و الإرشادات الواردة في الروايات فإنّ الناس مأمورون باللجوء إلى الله و الاستعاذة به في وقت خروج الدجّال، و المكوث في الأماكن و البقع المقدّسة مثل مكّة و المدينة لكي يصونوا أنفسهم من شرور الدجّال و يحتموا من فِتَنه.

وأمّا (الابتعاد) فيُقصَد به الهروب من شرور الدجّال و اجتناب فِتَنه، فإذا كان الفرد غير مزوّد بالسلاح المعنويّ المطلوب أو كان يمتلك ذلك السلاح لكنّه ما زال خائفاً يخشى الوقوع في فِتَن الدجال أو يخاف أن تطاله شروره فلا بدّ له أن يعتمد أسلوب الابتعاد و تجنّب المواقف التي قد تعرّضه إلى مواجهة الدجّال و الوقوع في حبائله.

وفي وصف حال الدجّال و بيان شدّة فتنته و أبعادها، يقول الرّسول الأعظم(ص): «مَا كَانَتْ فِتْنَةٌ و لَا تَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَكْبَرَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ».[1]

ويُروى أنّ النبيّ الأكرم(ص) كان بعد الانتهاء من كلّ صلاة يستعيذ بالله (عَزّوجَلّ) من شرّ الدجّال و قد علّم أصحابه كذلك كيفية الاستعاذة من شرّ الدجّال و كان يحثّهم على الاستعاذة بالله سبحانه من ذلك: «كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمْ السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ و أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ و أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ و أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا و الْمَمَاتِ».[2]

نعم، و كان النبيّ الأعظم(ص) يوصي المسلمين وصيتين اثنتين للاستعاذة بالله (عَزّوجَلّ) و اللجوء إليه من الشرور و الفِتَن و منها فتنة الدجّال؛ أمّا الوصية الأولى فهي عقائدية و تتمثّل في الاستعاذة بالله تعالى من جميع الشرور و الأشرار كالشيطان الرّجيم و الدجّال و من شرّ الجنّة و الناس الأشرار. و أمّا الوصية الثانية فليست عقائدية، مثل اللجوء إلى الأماكن و البُقع و المُدن الآمنة في الأرض كمكّة و المدينة لكي يكونوا بمأمن من شرور الدجال و فِتَنه، و في ذلك يقول(ص): «نِعْمَتِ الْأَرْضُ الْمَدِينَةُ إِذَا خَرَجَ الدَّجَّالُ»،[3] و قال(ص) أيضاً: «يَجِيءُ الدَّجَّالُ فَيَطَأُ الْأَرْضَ إِلَّا مَكَّةَ و الْمَدِينَةَ»[4] و قال(ص): «إِنَّهُ يَدْخُلُ الأَمْصَارَ كُلَّهَا إِلاَّ طَيْبَةَ[1]».[2]

---

١. ابن حنبل، بدون تاريخ: ج٣، ٢٩٢.
٢. ابن خزيمة، ١٣٩٠: ج١، ٣٥٧؛ النسائي، ١٤٠٦: ج٨، ٢٥٧.
٣. ابن حنبل، بدون تاريخ: ج٣، ٢٩٢.
٤. نفس المصدر: ج٢٠، ٢٩٨.

www.noormags.ir

يقول التويجريّ _ صاحب كتاب (إتحاف الجماعة) _ حول الاستعاذة من شرّ الدجّال: «ثبت في الأحاديث الصحاح من غير وجه أنّ رسول الله(ص) كان يتعوّذ من فتنة الدجّال في الصلاة، و أنّه أمر أمّته بذلك أيضًا».[٣]

إنّ الابتعاد عن الدجّال و تحاشي الوقوع في فِتَنه سبيل آخر من سُبُل محاربته و التصدّي له و هو ما أشارت إليه بعض الروايات المعروفة كقول الرّسول الأعظم(ص): «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ و هُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ».[٤]

وفي منقول شبيه بهذا عن (مُسند أحمد بن حنبل) ورد أنّ النبيّ(ص) كرّر قوله: «فَلْيَنْأَ عَنْهُ» ثلاثاً.[٥]

ومن جملة الطرق و الأساليب لمحاربة الدجّال و الوقوف بوجهه الاعتصام بالقرآن الكريم، و قد ورد الكثير من العبارات المتنوّعة في هذا المجال في مصادر الحديث لدى أبناء العامّة، و منها قول النبيّ الأكرم(ص): «مَن حَفِظ عَشر آياتٍ مَن أوّل سورة الكَهف، عُصِم مِن الدجّال».[٦] و في موضع آخر يقول الرسول الأعظم(ص): «مَن قَرَأ عَشر آياتٍ مِن آخِر الكَهف، عُصِم مِن فِتْنَة الدجّال».[٧]

لاحظ أنّ الحديث الأوّل يشير إلى حفظ عشر آيات من سورة (الكهف) بينما يتضمّن الحديث الثاني قراءة تلك الآيات و التأكيد عليها.

وفي رواية أخرى منقولة عن أبي سعيد الخُدريّ أنّ النبيّ الأعظم(ص) قال: «مَن قَرَأَ سُورَةَ اَلْكَهْفِ كَمَا أُنْزِلَتْ، كَانَتْ لَهُ نُوراً مِنْ مُقَامِهِ إِلَى مَكَّة، و مَنْ قَرَأَ بِعَشْرِ آياتٍ منْ آخِرِهَا فَخَرَجَ الدَّجُّالُ لَم يُسَلّطْ عَلَيْهِ».[٨]

وقال صاحب (مرقاة المفاتيح): «وَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ص): "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ"، أَيْ حُفِظَ (مِنَ الدَّجَّالِ)، أَيْ مِنْ شَرِّهِ، و فِي رِوَايَةٍ: مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، قَالَ الطِّيبِيُّ: كَمَا أَنَّ أُولَئِكَ الْفِتْيَةَ عُصِمُوا مِنْ ذَلِكَ الْجَبَّارِ كَذَلِكَ يَعْصِمُ اللَّهُ الْقَارِئَ مِنَ الْجَبَّارِينَ، و قِيلَ: سَبَبُ ذَلِكَ مَا فِيهَا مِنَ

---

١. من أسماء المدينة المنوّرة.
٢. الترمذي، بدون تاريخ: ج٤، ٥٢١.
٣. التويجري، ١٤١٤: ج٢، ٤٢٢.
٤. أبو داود، بدون تاريخ: ج٤، ١٩٧.
٥. ابن حنبل، بدون تاريخ: ج٣٣، ١٨١.
٦. أبو داود، بدون تاريخ: ج٤، ٢٠٠.
٧. ابن حنبل، بدون تاريخ: ج٦، ٤٤٦.
٨. الحاكم النيشابوري، ١٤١١: ج١، ٧٥٢.

www.noormags.ir

الْعَجَائِبِ و الْآيَاتِ، فَمَنْ تَدَبَّرَهَا لَا يُفْتَتَنُ بِالدَّجَّالِ، و لَا مَنْعَ مِنَ الْجَمْعِ و هُوَ الْأَظْهَرُ بِالْخُصُوصِ».[1]

بالنظر إلى ما قدّمنا فإنّ الانتظار العالي (يعني، الانتظار العمليّ) يمكن تعريفه و بيانه عبر نظرتيْن: إيجابية و سلبية، و تُعدّ النظرة الإيجابية من خلال مواصفاتها المعروفة كالإصلاح و الصّلاح و المعرفة و التعلّم و المسؤولية و قبولها و التبعية و الاعتراف بها و ما شابه ذلك ممّا يُعتبر ضمن إطار المواصفات الإيجابية و الإيجادية، تُعدّ النظرة الإيجابية من ضمن الأسباب و العوامل المهمّة لعملية الظهور و هذا في الواقع ما يؤمن به أبناء العامّة و يعترفون أنّه لا يتحقّق سوى باتّباع الرايات السود و تأييدها و الانضمام إليها. و أمّا النظرة السلبيّة و من خلال مواصفاتها المذكورة مثل محاربة الظالمين و مقارعة الطغاة و مواجهة حكّام الجَور و على رأسهم الدجّال، فتُعدّ من ضمن العلل و العوامل الأخرى لعملية الظهور. و في الحقيقة إنّ تلك المواصفات للنظرة السلبية التي تُعتبر نوعاً من المواصفات السلبية تمثّل بالنسبة لأبناء العامّة حالة من محاربة الدجّال و التصدّي لفِتَنه. و هكذا، فإنّ سلسلة العمليات الخاصّة بتينك النظرتيْن التي تُمثّل عند أبناء العامّة تفسيراً لعملية الانتظار العالي تقود إلى نتيجة تتمثّل في التحضير و التهيّؤ و إيجاد الأرضية المناسبة للظهور.

خلاصة البحث

يمكن تعريف روايات الانتظار و تفسيرها في مصادر أبناء العامّة وفق اتّجاهيْن اثنيْن: التطابق و التضمين، فأمّا اتجّاه التطابق المطروح تحت عنوان (التصريح بالانتظار في روايات الانتظار) فغالباً ما يتناول الروايات و الأحاديث التي تشير إلى كلمة (الانتظار) بشكل صريح؛ و أمّا ما يمكن استنتاجه من هذا الاتّجاه فهو، أوّلاً أنّ مجموع روايات الانتظار في مصادر أبناء العامّة التي تتضمّن كلمة (الانتظار) لا يتجاوز الخمسة في الوهلة الأولى، لكن و بعد التدقيق فيها و تمحيصها فإنّها لا تبلغ أكثر من روايتيْن اثنتيْن فقط ثانياً، إنّ روايات الانتظار المحدودة هذه و التي لا يزيد عددها على الاثنتيْن، يمكن تفسيرها وفق نظرة الانتظار العامّ، و من هنا، فإنّه لم تُنقل إلينا أيّ رواية أو حديث في مصادر الحديث الخاصّة بأبناء العامّة (بشكل صريح) حول الانتظار الخاصّ. و أمّا ما يتعلّق بالاتّجاه الضمنيّ (أو التضمين) الذي يُشار إليه بعنوان (التلويح بالانتظار في روايات الانتظار) فإنّه ربّما تضمّن معنى الانتظار الخاصّ، و لا سيّما الانتظار الخاصّ العمليّ _ و هو ما

١. الهروي القاري، ١٤٢٢: ج٤، ١٤٦٥.

www.noormags.ir

يُعرَف بالانتظار العالي _ إذ يمكن الإشارة إلى نوعيْن من الروايات في مصادر الحديث لدى أبناء العامّة حول الانتظار الخاصّ: النوع الأوّل و يشمل الروايات التي تناولت النهضات و الثورات الإيجابية مثل الروايات الخاصّة بالممهّدين للإمام المهدي(عج) و الرايات السود و ظهور المُجدّدين؛ أمّا النوع الثاني فيتضمّن الروايات التي تشير إلى الحركات و النهضات السلبية مثل قيام الدجّال.

فالرسالة التي يحملها أبناء العامّة إزاء هذا النوع من الحركات و النهضات هي رسالة مختلفة، إذ يبدو أنّ مسؤولية أبناء العامة فيما يتعلّق بالنهضات و الثورات الإيجابية و المشهورة في الحقيقة بالتمهيد و التحضير للظهور، تتلخّص في تأييد تلك الثورات و اتّباعها، لكن فيما يخصّ الثورات و الحركات السلبية التي تضع الموانع و العوائق في طريق الظهور فإنّ مسؤوليّة أبناء العامّة تتلخّص في المعارضة و الكفاح و المحاربة.

و بشكل عامّ فإنّ وظيفة أبناء العامّة و مسؤوليتهم التي تندرج إحداها في إطار الاتّباع و التأييد بينما تندرج الأخرى ضمن المحاربة و المقاومة، تشير إلى تحضير أبناء العامّة و استعدادهم لعملية ظهور الإمام المهديّ(عج) حيث يمثّل هذا النوع من التحضير و الاستعداد الانتظار الخاصّ بمواصفاته العملية.

www.noormags.ir

المصادر

- ابن أبي شيبة، أبو بكر (بدون تاريخ)، مسند ابن أبي شيبة، بيروت، منشورات (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع).
- ابن حنبل، أحمد بن محمد (بدون تاريخ)، مسند ابن‌حنبل، بيروت، منشورات (دار صادر).
- ابن خزيمة، محمد (١٣٩٠ه)، صحيح ابن خزيمة، بيروت، منشورات (المكتب الإسلامي).
- ابن‌كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمرو (١٤١٢ه)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، منشورات (دار المعرفة).
- ابن قيّم الجوزية، محمد (١٤١٦ه)، مدارج السالكين، بيروت، منشورات (دار الكتاب العربي)، الطبعة الثالثة.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد (١٤٠٩ه)، سنن ابن ماجة، بيروت، منشورات (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع).
- ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٦ه)، لسان العرب، بيروت، منشورات (دار إحياء التراث العربي)، مؤسسة التاريخ العربي.
- أبي داود، سليمان بن الأشعث (بدون تاريخ)، سنن أبي داود، بيروت، منشورات (دار الكتاب العربي).
- الأربلي، علي بن عيسى (١٣٨١ه)، كشف الغمة، تبريز، منشورات (بني هاشمي).
- البيهقي، أحمد (١٤١٠ه)، شعب الإيمان، بيروت، منشورات (دار الكتب العلمية).
- الترمذي، محمد بن عيسى (١٤٠٣ه)، سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، بيروت، منشورات (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع)، الطبعة الثانية.
- ـــــــ (بدون تاريخ)، سنن الترمذي، بيروت، منشورات (دار إحياء التراث العربي).
- التنوخي، عبدالله (١٤١٠ه)، الفرج بعد الشدة، بيروت، منشورات (مؤسسة النعمان).
- التويجري، حمود (١٤١٤ه)، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن و الملاحم، الرياض، منشورات (دار الصميعي للنشر و التوزيع)، الطبعة الثانية.
- الجرجاني، عبدالله بن عديّ (١٤٠٩ه)، الكامل، تحقيق: حيدر مختار غزاوي، بيروت، منشورات (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع).

www.noormags.ir

- الحاكم النيشابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (١٤١١ه)، المستدرك، بيروت، منشورات (دار الكتب العلمية).
- الحراني، الحسن بن علي بن شعبة (١٩٨٤م)، تحف العقول، تصحيح و تعليق: علي أكبر غفاري، قم، رابطة المدرسين.
- الخوئي، السيد أبو القاسم (١٤١٣ه)، صراط النجاة، تحقيق: ميرزاي تبريزي، قم، منشورات (دار الصديقة الشهيدة).
- دهخدا، علي أكبر (١٩٥٥م)، لغت نامه دهخدا، طهران، منشورات (جامعة طهران).
- الذهبي، محمد بن أحمد (بدون تاريخ)، ميزان الاعتدال، بيروت، منشورات (دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع).
- السيوطي، جلال الدين (١٤٠١ه)، الجامع الصغير، بيروت، منشورات (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع).
- ـــــــــ (بدون تاريخ)، الدر المنثور، بيروت، منشورات (دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع).
- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (١٣٩٥ه)، كمال الدين و تمام النعمة، طهران، منشورات (اسلاميه)، الطبعة الثانية.
- ـــــــــ (١٤٠٠ه)، الأمالي، بيروت، منشورات (الأعلمي)، الطبعة الخامسة.
- الطبراني، سليمان بن أحمد (١٤١٣ه)، الدعاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، منشورات (دار الكتب العلمية).
- ـــــــــ (١٤١٥ه)، المعجم الأوسط، بدون مكان، منشورات (دار الحرمين للطباعة و النشر و التوزيع).
- القاضي التنوخي، علي بن محمد بن داود (١٤١٠ه)، الفرج بعد الشدة، بيروت، منشورات (مؤسسة النعمان).
- القضاعي، محمد بن سلامة (١٤٠٥ه)، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد، بيروت، منشورات (مؤسسة الرسالة).
- ـــــــــ (بدون تاريخ)، دستور معالم الحكم، قم، منشورات (مكتبة المفيد).
- المتقي الهندي، علي بن حسام الدين (١٤٠٩ه)، كنز العمال، بيروت، منشورات (مؤسسة الرسالة).
- المجلسي، محمدباقر (بدون تاريخ)، بحار الأنوار، طهران، منشورات (اسلاميه).
- المغربي، النعمان بن محمد (١٤١٦ه)، شرح الأخبار، رابطة المدرسين، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، قم.
- المقدسي، يوسف بن يحيى (١٣٩١ه)، عقد الدرر، القاهرة، منشورات (مكتبة

www.noormags.ir

عالم الفكر).
- المناوي، محمد بن عبد الرؤوف (١٤١٥ه)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تصحيح: أحمد عبد السلام، بيروت، منشورات (دار الكتب العلمية).
- النسائي، أحمد بن شعيب (١٤٠٦ه)، سنن النسائي، حلب، منشورات (مكتب المطبوعات الإسلامية)، الطبعة الثانية.
- الهروي القاري، نور الدين (١٤٢٢ه)، مرقاة المفاتيح، بيروت، منشورات (دار الفكر).
- الهيثمي، أحمد بن حجر (١٣٨٥ه)، الصواعق المحرقة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، مصر، منشورات (مكتبة القاهرة).
- ـــــــــــ (١٤٠٨ه)، مجمع الزوائد، بيروت، منشورات (دار الكتب العلمية).

www.noormags.ir

أنواع الخلاص في التقاليد الدينيّة المسيحيّة

الدكتور مهراب صادق‌نيا[1]

الخلاصة

كانت قضيّتي (الخلاص) و (المخلّص) من المواضيع المهمّة و الجذّابة بالنسبة للأديان على مدى الزمان. و مع ذلك فربما كانت هاتان القضيّتان النقطتين الوحيدتين اللتين اتّفقت الأديان كافة بشأنها، الأمر الذي لا يصدق على تعريفيهما أو عناصرهما.

و الذي يراه المسيحيّون أنّ الإنسان حينما يسير بقدميه على هذه الأرض، فإنّه يحمل على ظهره و كتفيه ما جناه و حصده من الذنوب، و أنّ حياته هذه في هذه الطبيعة الجسمانيّة و الفاسدة تمثّل إرثاً مشؤوماً ورثه من أجداده.

و يستحيل على هذا الإنسان أن يتخلّص من هذا الوضع المؤسف إذا اكتفى بالاعتماد على قدراته الفرديّة فقط، بل إنّه لن يتمكّن من التحرّر من هذه الحالة المؤسفة حتّى لو عمل بالشريعة الموسويّة، و هذا هو السبب الذي من أجله نزل عيسى(ع) إلى الأرض بصورة ابن اللّه، أو نفس اللّه و لكن بلباس فردٍ من أفراد البشر، لإنقاذ الإنسان من هذه الطبيعة الفاسدة.

و بعد أن ارتقى الصليب، و صعد إلى السماء، سيعود مرّةً أخرى لإنقاذ البشريّة، إنّما هذه المرّة مع تحقيق حلم تشكيل الحكومة الذي طالما كان بنو إسرائيل يتطلّعون إليه.

الكلمات المفتاحيّة:

الخلاص، عودة المسيح، الخطيئة الأُولى، التجسيد، الفداء، المهدويّة، المسيحيّة.

المقدّمة

مفهوم الخلاص هو من المفاهيم الطاغية و الشائعة في النصوص الدينيّة المسيحيّة،

---

١. عضو الهيئة العلميّة في مركز دراسات الأديان و المذاهب.

و الذي يعدّ من مباحث العالم الآخر في الأديان المشتركة في السنخيّة مع المسيحيّة، كما يمثّل القسم الأصلي و الأساس من المباحث المرتبطة بمسألة المخلّص الموعود في الأديان الأخرى.

إلاّ أنّنا لا يمكننا نسبة هذا المفهوم للخلاص بحذافيره إلى المسيحيّة و القول بأنّ عيسى المخلّص هو ذلك المخلّص المقصود في الأديان الأخرى، و بالتالي اعتبار الخلاص في أجواء الدراسات المسيحيّة مفهوماً محصوراً في أبعاده الأخرويّة.

و يجد الناظر في اللاهوت المسيحي التقليدي نوعين من الخلاص، و بالتالي نوعين من المعنى للمخلّص:

أحدهما يرتبط بالخلاص السيّال المتحرّر من قيود الزمن، و الذي رغم كونه مبدأ مهمّاً و بارزاً ضمن مبادئ الايمان المسيحي، إلاّ أنّه لا يتضمّن معنىً أخرويّاً، و لا يرتبط بالعقيدة المهدويّة. و عندما يرد الحديث عن عيسى بهذا المعنى فغالباً ما يأتي ذلك في سياق مقولة المسيح دون معناه الأخرويّ.

و هذا الخلاص هو ظاهرة آليّة تماماً، و يكفي في حصولها مجرّد وجود عيسى و شخصيّته و توسّطه بين الانسان المغضوب عليه من الله و بين الله نفسه، و من ثمّ إعادة الصفاء بينهما، دون حاجةٍ إلى قيام هذا المخلّص بأيّ عملٍ ملوكيّ أو رساليّ. و من هنا كان الأنسب أن يُطلق على عيسى في هذا المعنى لقب الوسيط لا المخلّص.

أمّا النوع الثاني فالخلاص فيه يرتبط بعمل عيسى، و ليس الخلاص فيه مجرّد ظاهرة آليّة، بل هو ثمرة مساعي عيسى الرساليّة، و مفهوم هذا الخلاص هو مفهوم أخروي تماماً، و عقيدة الموعود المسيحي مبنيّة على أساس هذا المعنى للخلاص.

و أهمّ الفروق بين هذين النوعَين للخلاص يكمن في مبدأ كلّ منهما، أي النقطة التي يبدأ منها هذا الخلاص.

و الخلاص في النوع الأوّل و كما تعتقد الكاثوليكيّة الرومانيّة هو بمعنى الخلاص من التقصير أو الذنب و الخلاص من تبعاته في هذا العالم و في الحياة الأخرويّة. و بعبارة أوضح هو الخلاص من الطبيعة الفاسدة التي ابتليت بها البشريّة نتيجةً لخطيئة أبيهم آدم.[1]

أمّا الخلاص في المفهوم البروتستانتي الكلاسيكي فهو بمعنى الخلاص من القانون و القدرة الغاشمة و الحاكمة، أي التحرّر من شريعة موسى.

أمّا البروتستانتيّون الأحرار فيرون أنّ معنى الخلاص هو الخلاص من الذنوب

1. New Chatholic Encyclopedia, V. 12, P. 623

الخاصّة و السير الصعودي نحو التكامل الأخلاقي.

و من خلال التأمّل في التعاريف السابقة للخلاص يتّضح أنّ هذا اللاهوت مبنيّ على الإدانة الأزليّة و الموت و الخطيئة الأولى للإنسان، فالجميع يأتون إلى هذه الدنيا محمّلين بالطبيعة الملوّثة، تلك الطبيعة التي تقف عائقاً أمام وصولهم إلى الكمال، و التي لا مفرّ من وجودها بمقتضى قانون الحتميّة.

أمّا في النوع الثاني فالجميع متّفقون على أنّ إنجاء عيسى للبشر هو في الحقيقة إنجائهم من التشرذم و الظلم و الاضطراب، الأمر الذي يمكن الوصول إليه في ظلّ تشكيل الحكومة المركزيّة.

و لمزيد التوضيح لكلا هذين النوعَين من الخلاص، لا بدّ من التنبيه على المفاهيم الأوّليّة و الافتراضات المسبقة لكلّ واحدٍ من هذين المعنيَين.

أ) الخلاص غير الأخروي

و يستند الخلاص بهذا المعنى على أمرين مفروضَين:

١. الإدانة الأزليّة

اتّفق علماء اليهود على أنّ الطبيعة البشريّة ـ و نتيجةً لمعصية أجدادهم ـ قد خرجت من تلك الحالة الملكوتيّة و تلوّثت.[١] و طبقاً لما يعتقده هؤلاء فإنّ خطيئة آدم و حوّاء في جنّة عدن قد تركت آثارها على جميع الأجيال التي جاءت بعدهما، و أنّ هذه الأجيال على مرّ التاريخ تحمل وزر خطيئة أجدادها،[٢] و أنّ كلّ مولودٍ من بني البشر إنّما يولد و هو يحمل إدانته الناشئة من خطيئة آدم أبو البشر، تلك الإدانة التي عبّر عنها هؤلاء العلماء بعبارة (الخطيئة الأصليّة)[٣] أو (الذنب الأوّل).

و كان بولس أوّل مَن أشار إلى فكرة الذنب الأوّل أو الإدانة الأزليّة و أكّد عليها، و ذلك بعد عدّة سنوات من صلب عيسى. و على أساس هذه الفكرة تمّ وضع علم اللاهوت الذي ينتهي بالخلاص، و هو لاهوت لا نجد له أيّ أثرٍ في كلمات عيسى، و لا ما يؤيّده في تلك الكلمات.

و يمكن افتراض أنّ بولس ـ و انسجاماً مع ما ذكروه عن خلفيّاته ـ قد استفاد من دراسته اليهوديّة كي يصوغ سلسلةً من أصول اللاهوت التي تقضي بأنّ الإنسان بذاته محكوم بالخطيئة و ما يترتّب عليها من آثار، و أنّه بحاجةٍ ماسّة إلى المنقذ و المخلّص من هذه الطبيعة الفاسدة.

---

١. إبراهام كوهن، گنجينه‌اى از تلمود = كنزٌ من التلمود، ترجمة گوگاني، ص١١٤.
٢. المصدر نفسه.
3. The Original Sin

و هناك العديد من التفاسير المختلفة عن فكرة الإدانة الأزليّة:

و في أحد هذه التفاسير المتطرّفة يعتقد جماعة ـ منهم أريگان ـ أنّ كلّ إنسان عندما يأتي إلى الدنيا إنّما يأتي إليها و هو متّهم بتلك الخطيئة التي ارتكبها الإنسان الذي كان قبله؛ لأنّه إنّما جاء إلى الدنيا عن طريقه؛[1] بمعنى أنّ جميع الناس مذنبون بذنب أبيهم آدم، و أنّهم مدانون بنفس خطيئته تلك.[2]

إلاّ أنّ جماعةً أخرى ترى أنّ مراد بولس من الإدانة الأزليّة هو أنّ البشر مع أنّهم ليسوا شركاء في خطيئة جدّهم كي يكونوا مذنبين، إلاّ أنّهم ورثوا من جدّهم طبيعته المذنبة، تلك الطبيعة الفاسدة التي كانت سبباً في وقوع جدّهم في شراك الشيطان؛ و على هذا الأساس فإنّ جميع البشر هم كجدّهم عاجزين عن كفّ أنفسهم عن الخطيئة.[3]

و وفقاً لهذا التفسير لأفكار بولس، فإنّ الإنسان نتيجةً للخطيئة التي ارتكبها جدّه قد سيطر عليه الضعف من النواحي المعنويّة و الأخلاقيّة إلى الحدّ الذي صار معه عاجزاً عن الصمود أمام أضعف الوساوس التي يلقيها الشيطان للوقوع في حبائله، و هكذا فهو و إن لم يكن في ذاته مخطئاً و لا مداناً، إلاّ أنّه محكوم بالضعف و العجز و الإسراع إلى الخطيئة.[4]

و يبقى التفسير الثالث لمقصود بولس، و هو الرأي المعتدل كما نرى. و طبقاً لهذا التفسير فإنّ اللّه قد رتّب امتحاناً لجميع بني البشر في جنّة عدن، و إنّ آدم أبو البشر قد اشترك في ذلك الامتحان بالنيابة عنهم باعتباره أتمّهم و أكملهم، و إنّ نجاحه كان سيكون علامةً على توفيق الجميع، كما أنّ فشله في ذلك الامتحان بمثابة الفشل لهم جميعاً، و لكنّه خرج من ذلك الامتحان خاسراً فاشلاً، و هكذا أظهر عجز و هزيمة بني البشر فرداً فرداً. و بهذه الصورة نقل آدم الطبيعة الفاسدة و الإدانة الأزليّة إلى بني نسله كافّة.[5]

و كيفما فسّرنا مراد بولس من كلامه عن الإدانة الأزليّة للإنسان، فإنّنا لا نجد كلاماً لعيسى(ع) يؤيّد هذا التفسير. و مع ذلك فقد تجذّرت أفكاره في اللاهوت

---

۱. جيمس القسّ، نظام التعليم في علم اللاهوت القديم، ج۲، ص۹۴.

۲. أنتوني بالما، بررسی رساله‌های پولس به غلاطیان و رومیان = بحثٌ في رسائل بولس الرسول إلى أهل غلاطيّة و أهل رومية، ص۱۳؛ متّى المسكين، شرح رسالة القدّيس بولس الرسول إلى أهل رومية، ص۲۶۸ ـ ۲۷۳.

۳. و يليام باركلي، تفسير عهد جديد = تفسير العهد الجديد، رسالة إلى أهل رومية، ص۹۵.

۴. بررسی رساله‌های پولس به غلاطیان و رومیان = بحثٌ في رسائل بولس الرسول إلى أهل غلاطيّة و أهل رومية، ص۶۴.

۵. تفسير عهد جديد = تفسير العهد الجديد، رسالة إلى أهل رومية، ص۹۵.

المسيحي إلى الحدّ الذي وجدت طريقها للتوثيق طوال سنواتٍ متمادية بعده في النصوص العقائديّة المعتبرة للمجامع المسيحيّة باعتبارها من المبادئ المهمّة، كما هو الحال في وثيقة عقائد مجمع ترنت[1] التي جاء فيها:

لو ادّعى شخصٌ ما أنّ خطيئة آدم قد أثّرت فيه فقط، و أنّ تبعاتها لم تصل إلى أبنائه، أو قال إنّ العدالة و القداسة التي كان قد حظي بها من اللّه، قد ذهبت منه فقط و لم تذهب من أيدينا... فإنّ هذا الشخص ملعون.[2]

و الموت في فكرة بولس عن الإدانة الأزليّة هو أيضاً من تبعات تلك المعصية التي ارتكبها آدم أبو البشر، حيث يقول: «لأنّ ثمن المعصية هو الموت»،[3] بل يقول بعبارةٍ أكثر صراحة: «... إنّ الخطيئة قد دخلت إلى العالم بواسطة آدم واحد، و دخله الموت بوسيلة الخطيئة».[4]

و طبقاً لفكرة بولس فإنّ آدم لم يكن ليموت أبداً لو لم يرتكب الذنب، و لم يكن عقبه قد ابتلوا بعقوبة الموت أيضاً. و إنّ خطيئة آدم قد جرّت البشريّة إلى طريقٍ ليس في نهايته سوى الموت.[5]

و الظاهر أنّ الخلفيّة اليهوديّة لبولس في هذه المسألة أيضاً قد لعبت دورها في صياغة هذا اللاهوت؛ لأنّ من المبادئ المسلّمة في اللاهوت اليهودي هو الاعتقاد بعدم وجود الموت في بداية العالم، و عدم وجود أيّ إشارةٍ له في خطّة اللّه للإنسان، و أنّ خطيئة آدم هي التي جرّت الموت إلى العالم. كما ورد في الموروث الشفاهي لليهود أيضاً هذه العبارة الصريحة:

كلّما سألك أحدٌ و قال: لو لم يخطئ آدم أبو البشر و لم يأكل من ثمار الشجرة الممنوعة، فهل كان سيبقى حيّاً خالداً إلى الأبد ؟ فقل في جوابه: إنّ إلياس النبيّ لم يخطئ و بقي حيّاً خالداً إلى الأبد.[6]

و ورد فيه أيضاً:

قالت الملائكة المكلّفة بالخدمة إلى الذات المقدّسة المباركة: يا إله العالم، لماذا كتبت عقوبة الموت لآدم ؟ فأجابهم اللّه: لقد أمرته أمراً بسيطاً، فخالفه.[7]

أمّا رواية العهد العتيق عن خلق الإنسان على صورة اللّه، و التي وردت في سفر التكوين، فهي دليل واضح على هذه السنّة الدينيّة، حيث تقول: «و قال اللّه:

1. Terent
2. The Cnons And Decress Of The Sacred And Ecunmenical Of Terent Sess. V. D. 789
٣. رسالة به رومیان (= رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية)، ۶: ٢٣.
۴. المصدر نفسه، ۵: ٢١.
5. Jams. Dunn. The Theology Of Paul. P 2.
۶. گنجینه‌ای از تلمود = كنزٌ من التلمود، ص٩٢، نقلاً عن: و يذاربا، ۴: ٧٢.
٧. المصدر نفسه، ص٩٣؛ نقلاً عن: شبّات، ۵۵.

نعملُ الإنسانَ على صورتنا كشَبَهنا»،[1] ثمّ يقول بلسان التهديد:

«وأوصى الربُّ الإلهُ آدمَ قائلاً: من جميع شجرِ الجنّةِ تأكلُ أكلاً، و أمّا شجرة معرفة الخير و الشرّ فلا تأكلُ منها؛ لأنّكَ يومَ تأكلُ منها موتاً تموت».[2]

و هناك مفهوم آخر عن الإدانة الأزليّة المقصودة لدى بولس يظهر بوضوح في الأدبيّات الدينيّة المسيحيّة، ألا و هو مفهوم العبوديّة، و هو مفهوم آخر يقابل مقام الألوهيّة. و قد كانت خطيئة آدم أبو البشر ـ كما يرى بولس ـ سبباً لسقوط آدم و ذرّيّته و نزوله من المقام و المكانة الروحانيّة الشبيهة بمقام الألوهيّة إلى مقام العبوديّة الحقيرة.[3]

و هذا يعني أنّ جميع البشر كان المفروض ـ وفقاً لمشيئة اللّه ـ أن يولدوا في مقام سامٍ كمقام الألوهيّة، إلاّ أنّ خطيئة آدم أنزلته إلى العبوديّة و أنزلت نسله معه أيضاً إلى ذلك المقام.

٢. عجز الإنسان عن إنقاذ نفسه

و هناك مفهوم أساسي آخر في اللاهوت المسيحي للخلاص بمعناه غير الأخروي، و هو عجز الإنسان عن إنقاذ نفسه من هذه الطبيعة الفاسدة.

و يرسم بولس تصويراً واضحاً عن هذا العجز في عباراته الواردة في الباب السابع من رسالته إلى أهل رومية، حيث يقول هناك:

... إذ نعلم أنّ الشريعة روحانيّة، إلاّ أنّني جسم و قد تملّكني الخطيئة، حتّى صرتُ عاجزاً عن القيام بما أريد و أحبّ، بل افعل ما لا أحبّ و لا ارغب فيه. و كلّما قمتُ بعملٍ لا ارغب فيه أعترف بصلاح الشريعة و أنّي لم أعمل بما تقتضيه هذه الشريعة بل بما يوحيه الشرّ الساكن في داخلي، لأنّي أعلم أنّ جسدي خالٍ تماماً من الخير، لأنّ الإرادة موجودة في داخلي، لكن كيفيّة عمل الخير معدومة...[4].

و يقول في عبارةٍ أخرى تتّضح الصورة فيها أكثر:

لقد ثبت لي الآن أنّ وجودي من قمّة رأسي إلى أخمص قدَمَيّ في قمّة الفساد بسبب هذه الطبيعة النفسانيّة، و مهما بذلت من جهد لن أتمكّن من القيام بأعمال الخير. إنّي أرغب أن أكون خيّراً، لكنّني لن استطيع. و أريد أن أقوم بالأعمال الصحيحة، لكنّني لست قادراً على ذلك. و أسعى لتجنّب القيام بالأعمال الخاطئة، و

---

١. سفر التكوين، ١: ٨٣.

٢. المصدر نفسه، ٣: ٦١.

٣. هنري تيسين، الهيّات مسيحى = اللاهوت المسيحي، ترجمة ميكانيليان، ص١٧٥.

٤. رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ٧: ٢١ ـ ٤١.

لكنّني دون قصد أرتكب الذنوب. فإذا قمت بارتكاب عملٍ لستُ راغباً فيه، فليس خافياً أين يكمن السبب و الإشكال، إنّه يكمن في أنّ الخطيئة لا تزال تمسك بي أسيراً في شِراك حبائلها.[1]

و ترسم عبارات بولس هذه بوضوح صورة إنسانٍ عاجز يرزح تحت نَير الخطيئة و الطبيعة الفاسدة التي ورثها من آبائه منذ أزمانٍ سحيقة. و هو إنسانٌ يسعى أن يكون إنساناً صالحاً لكنّه لا يستطيع أن يكونه. كما أنّه يعرف الشرّ و يريد أن يتحاشاه إلاّ أ نّه لا يستطيع ذلك أيضاً. و هذا الإنسان الذي يعيش اليأس الكامل من نفسه يشعر شعوراً تامّاً بحاجته إلى منقذٍ آخر.

و ثمرة هذين المفهومين المهمّين و الأساسيّين في اللاهوت المسيحي و اللذين أشرنا إليهما هي وجوب وجود أحد المنقذين الذي يمكنه من خلال تأدية دوره السماوي و الروحاني أن يخلّص الإنسان من هذه الطبيعة الفاسدة، و يعيد البشريّة إلى أحضان الربوبيّة. و طبقاً لما ينطق به هذا اللاهوت فإنّ عيسى(ع) هو هذا الشخص الذي تقع على عاتقه مثل هذه المسؤوليّة: «وقد جاء كي يقضي على الخطيئة بالتضحية بنفسه».[2]

إنّ مسألة فداء عيسى و تضحيته بالنيابة عن جميع البشريّة تعدّ من أهمّ مباحث اللاهوت في العهد الجديد[3] و وفقاً لهذا المبدأ اللاهوتي فإنّ الناس حينما ابتلوا بحبائل الخطيئة، و ألقى غضب الربّ بظلاله عليهم جميعاً، و لم يجد هؤلاء البشر طريقاً للنجاة و عجزوا عن تلمّس سبيل الخلاص، هيّأ اللّه لهم طريق الخلاص و مهّده لهم: «لأنّه إن كنّا و نحن أعداء قد صولحنا مع اللّه بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ـ و نحن مصالَحون ـ نَخْلُصُ بحياته».[4]

و هذا الخلاص له عناصره التي تميّزه عن النوع الآخر للخلاص، و منها:

أوّلاً: إنّ هذا الخلاص لا علاقة له بمقولة انتظار المخلّص و الإيمان بالموعود بمعناهما المتداول بين الناس؛ و ذلك لأنّ هذا الخلاص ليس متوقّفاً على عمل عيسى، بمعنى أنّ نجاة البشر و خلاصهم يعتمد على شخص عيسى قبل أن يكون من ثمار جهوده و مساعيه الرسوليّة. و هذا يعني أنّ الناس يمكن لهم انتظار الخلاص من خلال إيمانهم بشخص عيسى.

---

١. ترجمه تفسيرى كتاب مقدس = الترجمة التفسيريّة للكتاب المقدّس، رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ٥: ٢٠ ـ ٢١.

٢. الرسالة إلى العبرانيّين، ٩: ٢٦.

٣. توماس ميشل، كلام مسيحى = الكلام المسيحي، ترجمة حسين توفيقي، ص٥٦.

٤. رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ٥: ١٠.

و يمكن القول بعبارة أوضح إنّ عيسى ليس هو المنقذ، بل إنّه الوسيط[1] و وفقاً لهذه العقيدة فإنّ عيسى يتوسّط بين اللّه و الإنسان المغضوب عليه من اللّه، و من خلال تضحيته يُصلح ما بينهما و يعيد الوئام إلى علاقتهما.

و قد ميّز اللاهوت التقليدي للمسيحيّة بين شخص عيسى و عمله، إذ إنّ البحث عن شخص عيسى غالباً ما يأتي تحت عنوان (المسيح) بينما يكون البحث عن سيرته تحت عنوان (الخلاص). و على أساس هذا الفرق فإنّ لعيسى أفعال كأفعال الكهنة أو الرسل أو القساوسة، و إنّ قسماً من خلاصه هو من ثمار مساعيه الرساليّة. و هكذا، فإنّ هذا الخلاص (أي الخلاص الأوّل) هو نتيجة إيمان الأفراد بشخصيّة عيسى، و نفس الشيء يمكن قوله عن الميزة الثانية أيضاً.

ثانياً: إنّ هذا الخلاص هو خلاصٌ فرديّ بصورة كاملة، بمعنى أنّ كلّ فردٍ من الأفراد يمكنه الخلاص بسبب إيمانه بعيسى، و أنّ كلّ واحد يمكنه التمتّع بهذه النعمة و الموهبة الايمانيّة، و لا يتوقّف ذلك على مرافقة مجموعة كبيرة له.

و في المنظار الديني المسيحي التقليدي إذا أمن الشخص بعيسى صار هذا الشخص المؤمن متّحداً معه، و بهذا الاتّحاد يصير هذا الشخص المؤمن شريكاً لعيسى في جلاله و قيامته، و يتحرّر من تلك الإدانة الأزليّة.[2]

و على هذا الأساس فلا يتوقّف خلاص عيسى على أيّ أمرٍ من الأُمور السياسيّة أو البنى الاجتماعيّة أو الحكوميّة، بل إنّ عيسى في مقام عبوديّته للّه و تضحيته قد تحمّل تبعات خطيئة آدم، و رفع عن كاهل المؤمنين أوزار الخطيئة الأولى بالآلام التي تحمّلها.[3]

ثالثاً: مع الأخذ بنظر الاعتبار الميزتان اللتان سبق الحديث عنهما، فإنّ خلاصية عيسى في هذا المفهوم لا تخضع لقيود الزمن، بل تتّصف بالديناميكيّة التامّة و لا تختصّ بزمنٍ معيّن، بمعنى أنّ كلّ إنسان ـ مهما كان زمانه أو مكانه ـ إذا أمن بعيسى سينال الحرّيّة. و الخلاص بهذا النوع من المعنى يمكن حصوله في كلّ عصر، كما أنّ عيسى بكسره لأطر التواريخ يمكن له أن يمارس دور مخلّص البشريّة في كلّ آن، لا أن ينحصر دوره في السنين الأولى من تاريخ المسيحيّة فقط، بحيث يقتصر خلاصه على إنقاذ حواريّيه و أهل عصره فقط إنّه يحرّر الناس كافّة بصورة ديناميكيّة و عابرة للتاريخ، و لا تحتاج إلاّ إلى أن يؤمن الناس به ليتحرّروا من طبيعتهم الفاسدة البالية.

---

١. راجع: پول تيليش، الهيات سيستماتيك = اللاهوت المنظّم، ترجمة حسن نوروزي، ج٢، ص٢٣٣.

٢. راجع: رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ٦: ٥.

3. The Interpreters Bible V. 9. P. 426

ب) الخلاص بالمعنى الأُخروي

و هذا النوع من الخلاص في اللاهوت المسيحي هو مبدأ أُخروي لا يعدم العلاقة مع مقولة انتظار الموعود. و الخلاص في هذا النوع يستند إلى سيرة عيسى الرساليّة و جهوده الأكليروسيّة. و ليس الخلاص و النجاة في هذا المعنى مجرّد محصول ينتج آليّاً من وجود عيسى و شخصيّته، بل هو حاصل عمل و جهود عيسى الرساليّة.[1]

إنّ عيسى بهذا التفسير للخلاص ليس وسيطاً، بل هو المخلّص بكلّ ما لهذه الكلمة من معنى، و هو الذي يجلب الخلاص لمريديه.

و يؤكّد هذا المفهوم للخلاص على مسألة عودة عيسى مرّةً أُخرى. و العقيدة المسيحيّة التقليديّة تذكر أنّ عيسى سوف يعود إلى العالم مرّةً أُخرى بعد صلبه بفترةٍ قصيرة لكي يقيم ذلك الملكوت الذي تحدّث عنه و وعدَ به.[2]

و يؤكّد العهد الجديد أنّ عيسى بذاته[3] سوف يعود إلى هذا العالم و يظهر بصورة مفاجئة و دون إعلانٍ مُسبَق،[4] بجلالة أبيه و هيبته و مرافقة الملائكة له،[5] و يحالفه النصر و الفتح،[6] و يخلّص بني إسرائيل و المؤمنين كافّة به بفضل تشكيله للحكومة و إقامته للملكوت الإلهي.

و الخلاص بهذا المعنى من مفاهيم الكتاب المقدّس الأساسيّة جدّاً و فائقة الأهمّيّة، و لو أراد أحدٌ أن يجمع الآيات الخاصّة بعودة عيسى و تخليصه من هذا الكتاب المقدّس فلا شكّ أنّه سيجمع قائمةً طويلة من هذه الآيات، بل إنّ هناك أبواباً _ بل كتباً مستقلّة _ في مجموعة العهد الجديد لم تتمّ كتابتها إلاّ لغرض بيان كيفيّة رجوع عيسى و سيرته.

و النجاة بهذ المعنى تمتاز بخلفيّة أكثر عمقاً، خلافاً للنجاة بمعناها الأوّل، فهذه النجاة هي الأكثر انسجاماً مع عقائد المسيحيّين التاريخيّة، كما أنّها يمكن أن تجد ما يؤيّدها في ثنايا الكلمات المرويّة عن عيسى.

و كان المسيحيّون _ قبل أن يطّلعوا على نصوص بولس اللاهوتيّة حول الخلاص بمعناه الذي أشرنا إليه _ ينتظرون مخلّصاً ينفخ روح الحياة في عظمة و جلالة

---

١. الهيات سيستماتيك = اللاهوت المنظّم، ص٢٣١.
٢. برايان و يلسون، دين مسيح = الدين المسيحي، ترجمة حسين أفشار، ص٣١.
٣. يوحنّا، ١٤: ٣.
٤. متّى، ٢٣: ٢٣ ـ ٥١.
٥. المصدر نفسه، ٦١: ٧٢.
٦. لوقا، ٩١: ١١ ـ ٢٧.

حكومة داود، و يعيد إليهم سيادتهم. و قد انتهى هذا الانتظار بمجيء عيسى و ارتدائه لباس الإمارة. و عندما ارتقى الصليب كانوا يعتقدون بأنّه قد قام من قبره و صعد إلى السماء و سوف يعود مرّةً أُخرى، و عادوا يعيشون فترة انتظارٍ أعمق مغزىً من سابقه، و لا يزالون يهيّئون أنفسهم لعودة عيسى و انتظار تكرار عظمة سلطنة داود و لهذا السبب يرى الناظر إلى اللوحات المرسومة لتصوير عيسى أنّه يلبس نفس الملابس التي ذكروا أنّ داود كان يرتديها.

و على هذا الأساس، يجب القول إنّ أشدّ الفرضيّات رسوخاً في هذا النوع من الخلاص هو العقائد التاريخيّة للمسيحيّين، تلك العقائد التي رافقتهم من دينهم السابق.

و أهمّ و أبرز هذه العقائد هو الاعتقاد باختيار بني إسرائيل، و عهد اللّه الذي عاهدهم به.

١. الاختيار

و طبقاً لهذه العقيدة التاريخيّة فإنّ بني إسرائيل هم شعب اللّه المختار: «لأنّ الربّ إلاهك قد اختاره من جميع أسباطك لكي يقف ليخدم باسم الربّ هو و بنوه كلّ الأيّام».[١]

و إنّ اللّه لم يختر على مدى الأجيال و من بين جميع القبائل إلاّ هم باعتبارهم شعبه المختار: «إنّي لم أختر إلاّ أنت من بين جميع قبائل الأرض».[٢]

و لهذا السبب يرى نفسه مكلّفاً بحمايتهم و الدفاع عنهم و اختيار الإمام و الملك لهم: «وقال داود لميكال: إنّ اللّه هو الذي فضّلني على أبيك و على كلّ أفراد عائلته كي يجعلني زعيماً لشعب اللّه، أي لإسرائيل».[٣]

و إيماناً من بني إسرائيل بهذه العقيدة ظلّوا طوال تاريخهم المأساوي و في أشدّ الظروف صعوبةً و خلال فترة أسرهم ينتظرون المعين و المخلّص السماوي. و كانوا يقضون أعمارهم و هم يستمدّون العزيمة من هذه العقيدة لتحمّل مصاعب عصرهم كافة أملين مجيء مخلّص ينهي معاناتهم.

٢. العهد

إنّ الاختيار في حقيقته يمثّل ماهيّة العهد الذي يؤشّر العلاقة الأساسيّة بين اللّه و

---

١. سفر التثنية، ١٨: ٥.
٢. عاموس، ٣: ٢.
٣. الكتاب الثاني لصموئيل، ٦: ١٢.

بني إسرائيل، و الذي جرى التأكيد عليه في أرجاء الكتاب المقدّس العبري.[1]

و المراد من العهد هو العهد الذي يذكر الكتاب المقدّس أنّ اللّه قد عقده مع إبراهيم،[2] ثمّ عقده مع هذا الشعب بوساطة موسى. و كما يؤكّد هذا العهد فإنّ اللّه لن يترك هذا الشعب وحيداً، و إنّ أبناء إبراهيم سيرثون الأرض في نهاية الأمر.

و هذا الوعد المفعم بالآمال كان بمثابة المواساة الوحيدة لبني إسرائيل على مدى تاريخهم المليء بالمِحَن. و كان الإيمان بهذا الوعد هو السبب الكامن وراء استجابة هذا الشعب السريعة لنداء موسى و اتّباعهم له، ثمّ و بعد قرونٍ عديدة حينما ظهر عيسى بكلامه الأسِر بين صفوف هذا الشعب، لم يتوانَ هذا الشعب عن التصديق بدعوته دون أدنى تردّد و رغم أنّه لم يصرّح بكونه ذلك المسيح الذي وعد اللّه بني إسرائيل بمجيئه، إلاّ أنّهم ألبسوه رداء الأمير، و أحاطت به جماعة منهم، و نادوه بلقب الموعود.

إلاّ أنّه عندما صُلب المسيح قبل أن يتمكّن من تنفيذ أيّ وعدٍ من وعود أشَعيا و دانيال أو أن يؤسّس الحكومة الشاملة، انتعشت فكرة قيام المسيح و عادت الآمال إلى الأذهان من جديد تنتظر عودته كي يحقّق كلّ هذه الوعود.

و إذا لم يأخذ المرء هذه الوعود و الخلفيّات اليهوديّة لهذه السنّة بنظر الاعتبار فلا شيء يمكن أن يفسّر عودة المسيح أو يبرّر انتظار المسيحيّين لعودته طوال هذه القرون المتمادية. و لهذا السبب يعتقد هؤلاء أنّ من الأهداف المهمّة لعودة المسيح هو إنقاذ بني إسرائيل.[3]

و لهذا النوع من الخلاص وفق التقاليد الدينيّة المسيحيّة ما يميّزه من الخصائص، يمكن الإشارة هنا إلى بعضٍ منها، و هي:

الميزة الأولى، و هي العلامة البارزة لهذا الخلاص، هي مبدئيّتها و تطلّعها نحو المستقبل، و انتسابها إلى الاعتقاد بالموعود و بعبارةٍ أوضح ارتباطها بمفاهيم آخر الزمان.

و لهذا السبب نرى في الموروث اللاهوتي المسيحي أنّ الحديث عندما يكون عن الخلاص بنوعه الأوّل فإنّه يأتي ضمن المباحث المربوطة بالفيض و الخلاص عن طريق الإيمان، في حين إذا كان الحديث عن الخلاص بمعناه الثاني فيمكن العثور عليه ضمن مقولة اللاهوت الأُخروي.

و على هذا الأساس يكون هذا الخلاص نوعاً من الخلاص الموعود الذي

---

1. Jadaica Chosen Papel, P. 498 - 499

٢. سِفر التكوين، ١٧: ٩١.

٣. الهيات مسيحى = اللاهوت المسيحي، ص٣٣١.

سيتحقّق بمجيء عيسى كما تقول وعود الكتاب المقدّس.

أمّا الميزة الثانية فهي أنّ هذا الخلاص يتوقّف على جهود عيسى و مساعيه، و من هذا الباب فهي تفترق عن الحيثيّة الآليّة للخلاص بالمعنى الثاني. و المقصود بهذا الكلام أنّ عيسى سوف لن يظهر بدور الوسيط، بل بدور الملك أو الكاهن الذي سيخلّص أتباعه.

و لا يُعدّ إيمان المؤمنين شرطاً لازماً في هذا النوع من الخلاص، و إن أمكن اشتراط بعض الشروط اللازمة له، بمعنى أنّ الخلاص يحتاج ـ مضافاً إلى الإيمان ـ إلى المساعي الاجتماعيّة من قبل عيسى.

و الثالثة أنّ هذا الخلاص و خلافاً لنوعه الأوّل، يكون تحقّقه من خلال عمليّة التحوّل الاجتماعي. و لهذا نرى أنّ هذا النوع من الخلاص يتّسم بسمة التحرّر من الخطيئة، أو بعبارةٍ أُخرى إنّ نقطة شروعه ليست الطبيعة الجسديّة الفاسدة، و لا الخطيئة، بل التشرذم و الظلم.

إنّ عيسى بحركته هذه و إقامته لمملكة الربّ ـ و هو ما يمثّل الحلقة المركزيّة لتعاليم عيسى ـ و نصوص الكتاب المقدّس[1] ـ إنّما يقوم بالخطوة الأُولى في عمليّة الإنقاذ، فيبدأ بإنقاذ بني إسرائيل من شرور أعدائهم كما وعدهم أرميا و حزقيال، و يوحّد كافّة أسباط بني إسرائيل كما وعد إشَعيا[2] و إرميا.[3] و حينذاك ستبدأ رسالة الإنجيل بالانتشار طوال ألف سنة قادمة.

و كما تشير وعود العهد الجديد فإنّ عيسى عند عودته سيحكم بين الأُمم، و ينشر رسالة الإنجيل، و يفتتح الألفيّة الذهبيّة لأتباعه. و غالبيّة هذه الوعود يكون تطبيقها من خلال السلوك الاجتماعيّ.

---

1. Dictionary Of The Bible, Kingdom Of God

٢. إشَعيا، ٦٦: ٨.

٣. إرميا، ١٣: ١٣.

تأثير حكومة العدل الإلهيّة على المسار التاريخي لحركة الأنبياء

الدكتور نصرت‌الله آيتي[1]

ملخّص

طبقاً لإرادة الله (عَزّوجَلّ) فإنّ نهاية التاريخ ستكون على يَد رجل فَذّ ينثر النور على كلّ أجزاء الوجود و يُقيم حكومة إلهية ملؤها العدل و القسط فإذا كانت الإرادة الإلهية قد قضت بتحقّق مثل هذه النهاية السعيدة فلا شكّ في أنّ الله سبحانه سيهيّئ جميع الظروف التي تحتاج إليها تلك النهاية على مسار التاريخ و من خلال سُنّته المعهودة و المعروفة.

أمّا السؤال المهمّ الذي يطرح نفسه ههنا هو: «متى بدأ البرنامج الإلهيّ لتهيئة الأُسس و الأرضية اللازمة لتحقيق الهدف المذكور، و ما هي نقطة البدء التي حُدّدت في البرنامج الإلهيّ للتحرّك نحو ذلك الهدف؟»

هناك رأيان اثنان يمكن تناولهما في هذا الشأن، بالاستناد إلى الرأي الأوّل فإنّ بعثة الرسول الأعظم(ص) تُعدّ نقطة التحرّك نحو ذلك الهدف؛ أمّا الرأي الثاني فيقول إنّ تأسيس حكومة العدل الإلهيّ في العالم كان هدف و غاية جميع أنبياء الله تعالى و أنّ كلّاً منهم أدّى دوره بحسب مكانته و موقعه الدينيّ و وضع حجر الأساس لبناء صرح ذلك الهدف العظيم؛ و هكذا، فإنّ البرنامج الإلهيّ الخاصّ بتحضير القواعد و الأسس المطلوبة لإنشاء حكومة العدل العالمية قد بدأ في الحقيقة منذ خلق الإنسان.

في مقالتنا هذه سنشير إلى جميع الشواهد و الدلائل التي تؤيّد الرأيين المذكورين.

---

١. عضو الهيئة العلمية لمؤسسة (المستقبل المضيء) قم (ayati110@yahoo.com).

www.noormags.ir

الكلمات المفتاحية:
الإمام المهدي(عج)؛ الظهور؛ الحكومة العالمية؛ التمهيد؛ بعثة الأنبياء (عَليهم‌السّلام)؛ حركة الأنبياء (عَليهم‌السّلام) عبر التاريخ.

مقدّمة

من أهمّ الوعود التي قطعها الله (عَزّوجَلّ) في القرآن الكريم وعده بإقامة حكومة خاصّة بالصالحين، و يبدو أنّ المُراد بذلك الوعد الإلهيّ _ وفق ظاهر الآيات القرآنية و الأحاديث الكثيرة الواردة عن الأئمّة المعصومين (عَليهم‌السّلام) _ هو حكومة العدل العالمية التي سيتمّ تأسيسها في نهاية التاريخ على يَد المهدي الموعود(عج). و لمّا كانت إرادة الله تعالى قد تعلّقت بتحقيق مثل هذا المستقبل المشرق فإنّه من الطبيعيّ إذا كان تحقّقه يتطلّب إيجاد الظروف و الشروط التي لا بدّ من توفّرها على مسار التاريخ من قِبل الله (عَزّوجَلّ) فإنّ الله سبحانه سيُهيّئ تلك الظروف و يوفّر تلك الشروط حتى يتحقّق المستقبل المذكور. فكلّ إنسان عاقل و حكيم يضع أمامه هدفاً يستغرق وقتاً و يمتدّ إلى فترة طويلة لا يمكن أن يغفل أبداً عن تهيئة الظروف لتحقيق ذلك الهدف. لكنّ السؤال الأهمّ هنا هو: "متى بدأ الله تعالى بوضع البرنامج الخاصّ بتمهيد الأرضية اللازمة لتأسيس حكومة العدل العالمية، و ما هي نقطة البدء في البرنامج الإلهيّ للتحرّك باتّجاه ذلك الهدف العظيم؟"، "هل يمكن اعتبار تحقّق الحكومة العالمية في آخر الزمان الهدف الرئيس من إرسال كلّ أولئك الرّسل و بعث الأنبياء و بالتالي القول بأنّ بدء خلقة الإنسان هو نفسه نقطة بدء وضع البرنامج الإلهيّ المتعلّق بإنشاء حكومة العدل العالمية؟"

لا شكّ في أنّ الإجابة عن ذينك السؤاليْن تتطلّب منّا الرجوع إلى الوراء قليلاً و التساؤل: "هل تُعتبر خلقة الإنسان مرهونة بهدف واحد في سلسلة أفراد البشر ككلّ؟"، "هل تحقّق إرسال الرّسل من أجل الوصول إلى الهدف المنشود؟"، "هل يمكن اعتبار رسالات الأنبياء (عَليهم‌السّلام) الذين بُعثوا في فترات مختلفة من التاريخ متّصلة ببعضها؟"، "هل كان للأنبياء الذين أُرسلوا في فترات متعدّدة أهدافاً مرحلية و خاصّة بعصرهم فقط؟".

سنحاول في هذا البحث الإجابة عن السؤال الأوّل و هو الأهمّ من بين الأسئلة المطروحة.

الفرضيات المحتملة بشأن دور الأنبياء في حكومة العدل العالمية

هنالك رأيان يمكن الخوض فيهما، و كما يأتي:

www.noormags.ir

الرأي الأوّل: تأسيس حكومة العدل العالمية في نهاية التاريخ هو هدف خاتم الأنبياء(ص).

بالاستناد إلى الرأي أعلاه فإنّ مسألة ظهور الموعود و مجيئه و تأسيس حكومة العدل العالمية على يَده تُعدّ هدف خاتم النبيّين(ص) و ذلك وفق البرنامج الإلهيّ الموضوع مسبّقاً، و أنّ الرسول الأعظم(ص) قام بوضع حجر الأساس و تهيئة الظروف بشكل هادف و بنّاء. يشير هذا الرأي إلى أنّ الرسول الكريم(ص) سعى بحسب المسؤولية التي أنيطت به منذ البدء إلى العمل على تشكيل حكومة العدل العالمية، لكن، و بما أنّه(ص) كان يعلم أنّ تحقّق هذا الهدف الكبير لن يحدث في حياته و عصره و أنّ هذا الأمر بحاجة إلى بعض المقدّمات و الأُسس التي لم تتوفّر حتى ذلك الوقت فقد اكتفى بوضع برامجه استعداداً لتحقّق الهدف المذكور في نهاية التاريخ كما سعى من خلال برنامج هادف إلى وضع المقدّمات و الأُسس و بيانها بحيث يمكن للهدف المذكور أن يتحقّق في نهاية الأمر في الوقت المناسب و يكون تأسيس الحكومة على يَد المهدي الموعود(عج) تحقّقاً عينياً للهدف الذي كان خاتم الأنبياء(ص) ينشده.

الرأي الثاني: تأسيس حكومة العدل العالمية في نهاية التاريخ هدف جميع الأنبياء(عَليهم‌السّلام).

وفق هذا الرأي فإنّ مسألة ظهور المهدي الموعود(عج) و تأسيس حكومة العدل العالمية ليست هدفاً متعلّقاً بالفترة التاريخية لبعثة الرسول الأعظم(ص) خاصّة بل كانت الحكومة العالمية و على مرّ التاريخ في صلب اهتمامات الشخصيات التاريخية الإلهية كما كانت الهدف الأعظم الذي طالما شغل بال الكثيرين في أعماق القرون و الأعصار فكانت البرامج توضع و المساعي تُبذَل على قدم و ساق من أجل تحقيقه. و بعبارات أخرى، كان للأنبياء (عَليهم‌السّلام) تصوّراً يشمل طول تاريخ البشرية و عرضه بالإضافة إلى تصوّراتهم التي شملت عصرهم و مسار شريعتهم في حياتهم، فكانوا يشاهدون التاريخ من أوّله إلى آخره و يخطون خطوات متسارعة بُغية الوصول إلى ذلك الحدث الكبير. و هكذا، فإنّ جميع الأنبياء (عَليهم‌السّلام) دون استثناء لم يكونوا يحملون سوى هدف واحد فقط على مرّ التاريخ و كانت حركتهم التاريخية تسير في طريق بلوغ تلك الغاية الوحيدة ألا و هي تأسيس حكومة العدل العالمية، و كان كلّ منهم يسعى من جانبه للوصول إلى المجتمع الإنسانيّ المطلوب الذي سيتمّ بناؤه في آخر الزمان.

إذا سلّمنا بأنّ الأنبياء (عَليهم‌السّلام) كانت لهم هذه النظرة و أنّ كلّاً منهم كان يحمل التصوّر المذكور فإنّ ذلك يعني أنّ كلّ واحد منهم قد أسهم في وضع لبنة في ذلك الصّرح العظيم و في مكانه المناسب و أنّ اللبنات الأخرى من بعد كلّ واحد

www.noormags.ir

منهم كانت توضع فوق اللبنات السابقة، كما أنّ كلّ حركة أو سكون أدّاها أولئك الأنبياء (عَليهم‌السّلام) على مرّ التاريخ كانت لا ريب متناسبة مع بناء صرح ذلك الهدف العظيم.

وهكذا، يمكن أن نذكر عدداً من الشواهد من الكتاب و السنّة لكلّ رأي من ذينك الرأيْن المذكوريْن.

في السطور التالية سنحاول تجميع تلك الشواهد و تحليلها بالترتيب.

القرائن الخاصة بالرأي الأوّل

يمكن دعم الرأي الأوّل و تأييده من خلال بعض القرائن و الشواهد، و منها ما يأتي:

١. الرسول الأعظم(ص) و فكرة المهدوية

أشار الرسول الكريم(ص) في الكثير من الروايات و الأحاديث المنقولة عنه إلى مسألة ظهور المهدي الموعود(عج) و قضية تأسيس حكومة العدل العالمية و حتمية وقوع هذا الحدث الكبير و أطنب في شرح ذلك و تفصيله و بيانه، فبالإضافة إلى طرحه موضوع المهدويّة عمد(ص) في العديد من الروايات و الأحاديث إلى الكشف عن تفاصيل هذا الحدث المهمّ مثل تعريف الإمام المهدي(عج) بالاسم و النّسب و بيان صفاته الظاهرية و سجاياه الأخلاقية ثمّ الإشارة إلى موضوع غيبته و كذلك علامات الظهور و أماراته و غير ذلك.

فإذا نظرنا إلى هذا الكمّ الهائل و العدد الكبير من التعاليم و التوصيات الواردة عن النبيّ الأكرم(ص) من حيث كون الدين الإسلاميّ هو خاتم الأديان و أنّه الدين العالمي الذي جاء لهداية جميع أفراد البشر على وجه البسيطة إلى يوم القيامة، و كذلك من حيث أنّ العدالة ستتحقّق لجميع البشر و على مستوى العالم كلّه في آخر الزمان و ذلك من خلال تطبيق جميع تعاليم هذا الدين الحنيف و العمل وفق أحكامه و توصياته، فإنّ هذا الاهتمام الكبير و الزائد بمسألة المهدوية و التركيز على أهميّتها يدلّ دلالة واضحة على أنّ ذلك الهدف السامي و التصوّر العالي كان موجوداً في عُمق المنظومة الفكرية للرسول الأعظم(ص) و أنّ الخطوات التي خطاها(ص) في هذا الطريق تصبّ في نفس مسار تصوّره و أُفقه البعيديْن، بل إنّ ذلك يمثّل ضابطة عامة و كليّة، فعندما يُقرّر إنسان حكيم القيام بعمل ما و هو يعلم أنّ تحقّق ذلك العمل لن يكون إلّا بعد وفاته بسنين طويلة فإنّ محاولته هذه و إقدامه على القيام بذلك العمل يُعد بحدّ ذاته شاهداً قويّاً و دليلاً ساطعاً على أنّه ينشد غاية سامية في مُستقبل التاريخ بنظرته العميقة، و أنّه يرى من خلال أُفقه البعيد تلك

www.noormags.ir

الأزمنة السحيقة بعد وفاته. و هذا مُشبه لِما يقوم به الفلاح المسنّ عندما يزرع شجرة جَوز و هو يعلم أنّها لن تحمل ثمراً إلّا بعد مرور سنين طويلة و ربّما كان ذلك بعد وفاته، و يعرف أنّ عُمره لن يُمهله في الانتفاع بثمر تلك الشجرة؛ فلا ريب أنّ هدفه من زرع تلك الشجرة هو انتفاع الآخرين بها ممّن سيأتون بعده. و هكذا، فإنّ تأسيس حكومة العدل العالمية كان من ضمن أهداف النبيّ الكريم(ص) و تطلّعاته في المستقبل، و قد أسهم(ص) بدوره بما يلزم في تحقيق تلك الغاية السامية.

٢. تأسيس نظام الإمامة

يمكن اعتبار طرح فكرة الإمامة من قِبل الرسول الأعظم(ص) قرينة أخرى للرأي المذكور، فعندما نُدرك أنّ الإمام المهدي(عج) الذي سيقوم بتأسيس حكومة العدل العالمية هو آخر حلقة في سلسلة نظام الإمامة الذي وضعه النبيّ الكريم(ص) يتبيّن لنا بوضوح أنّ خاتم النبيّين(ص) كان واضعاً تلك النهاية في حسبانه منذ البدء و أنّه كان يهدف للوصول إلى تلك الغاية من خلال تشييد البنيان (أو النظام) المذكور.

٣. الشواهد القرآنية

تحدّث القرآن الكريم في الكثير من آياته بشأن الهدف من بعثة خاتم الرّسل(ص) و من أوضح تلك الآيات و أشهرها قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ و دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ و لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}،[1] و فيما يتعلّق بهذه الآية الشريفة و المقصود بالإظهار فيها و مرجع الضمير في قوله سبحانه: {لِيُظْهِرَهُ} فإنّ هنالك العديد من الآراء؛ لكن مهما يكن من أمر، فإنّ ما ورد في هذه الآية الكريمة بصراحة هو أنّ الهدف من وراء إرسال خاتم النبيّين(ص) بالدين الحقّ إظهاره على كلّ الأديان؛ و بناءً على ذلك فإنّ هذه الآية تصرّح بما لا يقبل الشكّ أنّ هدف إرسال النبيّ الكريم(ص) و بعثته إظهاره و تغليبه على سائر الأديان الأخرى، و هذا الإظهار و الغلبة ليسا محدودَيْن بالتحقّق في حياة الرسول الأعظم(ص) أو بعد وفاته حتى وقتنا هذا؛ بل لا بدّ من توقّع تحقّق هذا الوعد في الزمن القادم حيث أشار الأئمّة المعصومون (عَليهمالسّلام) إلى أنّ تلك الغلبة و ذلك الإظهار سيتحقّقان في زمان الإمام المهدي الموعود(عج).

وفيما يَلي بعض الروايات التي تؤكّد هذه الحقيقة:

قال الإمام الحسين(ع): «مِنّا اثنا عَشر مَهْديًّا أوّلُهم أمير المؤمنين علي بن أبي

١. سورة التوبة (البراءة)، الآية ٣٣.

www.noormags.ir

طالب7، و آخِرُهم التّاسع مِن ولْدي، و هو الإمامُ القائِمُ بِالحَقّ، يُحْيي اللّهُ بِه الأرْضَ بَعدَ مَوْتِها، و يُظْهِر بِه دِينَ الحَقّ عَلى الدّينِ كُلّه و لَو كَرِهَ المُشرِكون...».[1]

و عن محمّد بن الفضيل قال: «سألتُه [أي، الإمام الكاظم (ع)] عن قول الله عزّ و جَلّ: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ و اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ و لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}،[2] قال: "يُريدونَ لِيُطفِئوا ولايةَ أميرالمؤمِنينَ(ع) بأفْواهِهِم". قلت: {وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ}، قال: "وَ اللّه مُتِمّ الإمامة، لقوله عزّ و جَلّ: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ و عَزَّرُوهُ و نَصَرُوهُ و اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ}[3] فالنّورُ هُو الإمام". قلت: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ و دِينِ الْحَقِّ}، قال: "هُو الذي أمَرَ رَسُولَه بِالولايَة لِوَصِيّهِ، و الولايَة هي دِينُ الحَقّ". قلت: {لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ}، قال: "يُظهِره عَلى جَميع الأدْيان عِندَ قِيام القائِم..."».[4]

نستشفّ ممّا مرّ أنّه وفق التفسير الذي قدّمه لنا أئمّة آل‌البيت (عَليهم‌السّلام) فإنّ الآية الشريفة المذكورة تشير بوضوح إلى غلبة الدين الإسلامي و ظهوره على سائر الأديان الأخرى في زمان ظهور الإمام المهدي الموعود(عج)، و نتيجة لذلك، و بالاستناد إلى الآية الكريمة فإنّ الهدف من بعثة الرسول الأعظم(ص) سيتحقّق في زمن الظهور. من الواضح أنّه إذا كان الهدف من بعثة النبيّ الكريم(ص) سيتحقّق في عصر ظهور المهدي(عج) فإنّ أيّ إنسان حكيم سيبذل قصارى جهده في سبيل الوصول إلى ذلك الهدف و سيضعه نُصب عينيه في كلّ خطوة يخطوها أو عمل يقوم به بما يتناسب و دور تلك الخطوة و ذلك الفعل في تحقّق الهدف المذكور؛ و بناءً على ذلك فقد كان الرسول الأعظم(ص) واضعاً ذلك الهدف السامي في اعتباراته و حسبانه في كلّ تصرّف و سلوك قام به خلال حياته الشريفة، و كانت كلّ أفعاله و خطواته(ص) تصبّ في المسار المرسوم لها بدقّة.

القرائن الخاصة بالرأي الثاني

أشرنا آنفاً إلى أنّ الرأي الثاني يؤكّد على كون مسألة تأسيس حكومة العدل العالمية لم تكن هدف خاتم النبيّين(ص) وحده بل كانت هدف جميع الأنبياء و المرسلين (عَليهم‌السّلام) من قبله كذلك و أنّ كلّاً منهم قد بذل ما في وسعه على مرّ التاريخ لوضع اللّبنات الأولى و المقدّمات الخاصّة بتحقيق ذلك الهدف السامي، و

---

١. الشيخ الصدوق، ١٣٦٣: ٣١٧.
٢. سورة الصفّ، الآية ٨.
٣. سورة الأعراف، الآية ١٥٧.
٤. الكليني ١٣٦٧: ج١، ٤٣٢.

www.noormags.ir

أنّ كلّ حركة أو سكون قام بها الأنبياء (عَليهم‌السّلام) من قَبل كانت متناسبة مع الهدف المذكورة و مواكبة له. و بالاستناد إلى هذه النظرة و بناءً على استعدادات الإنسان و المجتمع و طاقة كلّ منهما فقد تمّ تحديد هدف لكلّ منهما و هو هدف يتجاوز الأجيال، أي أنّه لا يمكن لجيل واحد مُعيّن تحقيق الهدف المذكور بمفرده، و هكذا فقد قام كلّ نبيّ و مُرسَل بالدّور المُناط إليه و هو هداية قومه و إرشادهم و ذلك بالاستناد إلى الأُفق الذي كان يراه أمامه و الهدف النهائيّ المنشود، ثمّ استمرّ أوصياؤهم من بعدهم بالسّير على نهجهم و سيرتهم و البرامج التي وضعوها لهم لكي يتمّ تحقيق مقدّمات الوصول إلى الهدف المذكور بشكل تدريجيّ.

وفيما يتعلّق بالقرائن التي تؤيّد الحركة التاريخية للأنبياء (عَليهم‌السّلام) باتّجاه إنشاء حكومة العدل العالمية في نهاية التاريخ فإنّه يمكن النظر إلى هذه المسألة من خلال ثلاث زوايا، هي: أوّلاً، التركيز على الموضوع؛ فالموضوع الرئيس ههنا من كلّ الأهداف و البرامج و الجهود التي قام بها الأنبياء (عَليهم‌السّلام) هو الإنسان نفسه، و قد أُرسِل جميع الأنبياء (عَليهم‌السّلام) دون استثناء لهداية الإنسان، و بالتالي فإنّ تأسيس مجتمع العدل العالميّ يُراد به هداية الإنسان و وصوله إلى الفلاح و العبودية. إذن، فالإنسان و موضوع هدايته هما النقطة التي حاول جميع الأنبياء (عَليهم‌السّلام) تسليط الضوء عليها في حركتهم و إجراءاتهم على طول التاريخ. و عليه، يمكن تحليل المسألة المذكورة من خلال تحليل الإنسان و بِنيته و طبيعته ثمّ الخوض في هذه المسألة من زاوية ذات الإنسان نفسه و معرفة ما إذا كانت تلك الذات و الطبيعة الإنسانيّتيْن تتطلّبان التكامل التدريجيّ و بالتالي فهما بحاجة إلى وصفة تدريجية و فترة من الزّمن، أم أنّ طبيعة الإنسان و بِنيته هما على نحوٍ بحيث يمكنهما الوصول إلى الكمال في مرحلة مُعيّنة، و عليه، فهما في غِنىً عن أية وصفة تدريجية أو مهلة.

وأمّا الزاوية الثانية لتحليل الهدف، فتتمثّل في بيان أنّ هذا الحدث - الذي سيقع في نهاية التاريخ على شكل حكومة عالمية يسودها العدل و القسط في كلّ جوانبها - يُعدّ من مسلّمات الدين الإسلاميّ، و أنّ الله (عَزّوجَلّ) شاءَ تحقيق هذا الهدف بل و ضَمِن تحقّقه بشكل مؤكّد.

وأمّا السبيل الثاني لتحليل هذه المسألة فهو تحليل الهدف المذكور و التركيز على ما إذا كان تحقّق الهدف المذكور بحاجة إلى الاستناد إلى النظرة التاريخية و الهدف التاريخيّ أم إنّ هذا الهدف يمكن تحقيقه من دون الحاجة أيّ نظرة تاريخية أو وضع برامج طويلة الأمد.

وأمّا النظرة الثالثة فهي النظرة النقلية و التركيز على التعاليم الإسلامية و تحليلها و التأمّل في إمكانية إيجاد القرائن المطلوبة _ بين التعاليم الدينية _ التي تؤيّد

www.noormags.ir

كون حركة الأنبياء (عَليهم‌السّلام) جميعاً على طول التاريخ كانت في سبيل تأسيس حكومة العدل العالمية و أنّهم قدّموا الخطوات لأجل تحقيق هذا الهدف، أم إنّ التعاليم الإسلامية تنظر إلى مسألة الظهور بعيداً عن المسار الذي اتّبعه الأنبياء (عَليهم‌السّلام) و التحرّك الذي قاموا به.

١. تحليل الإنسان و طبيعته

يتطلّب إثبات هذه الدّعوى قبل كلّ شيء إثبات بعض المقدّمات، و كما يلي:

١. الإنسان كائن لا يتسنّى له أن يبلغ الكمال دفعة واحدة بل تزدهر الطاقات و الإمكانات الموجودة في داخله تدريجياً و مع مرور الوقت.

إنّ إثبات هذه المقدّمة ليس صعباً كما هو واضح حيث يمكن تأكيد ذلك مع قليل من التركيز على التجارب المعروفة. على سبيل المثال، يُعتبر الجسم بُعداً من أبعاد الوجود الإنسانيّ، فتكامل هذا الجسم الكثيف هو أن يصبح قويّاً و جَلِداً و هو أمر لا يمكن حصوله إلّا بشكل تدريجيّ و مع مرور الزّمن. فالإنسان عند ولادته يمتلك جسماً ضعيفاً هزيلاً و حسّاساً يعجز حتى عن أداء أبسط الفعاليات أو النشاطات، لكن مع مرور الوقت يشبّ جسمه و يقوى أكثر فأكثر و بالتدريج من خلال التغذية المناسبة و توفّر جميع الشروط و الظروف المطلوبة، و يمكن لهذه العملية أن تستمرّ و تدوم بواسطة أداء الفعاليات و الممارسات الرياضية إلى أن يصبح ذلك الجسم الضعيف و الهزيل قويّاً و جَلِداً بالقدر المطلوب.

و يمكن تطبيق هذه القاعدة كذلك على الأبعاد غير المادية للإنسان و من ذلك أنّ قوة التفكير ليست مُستثناة من هذه القاعدة؛ فهذا الإنسان الذي يشير إليه القرآن الكريم بأنّه لم يكن يملك أيّ شيء من العلم و الدراية: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا...}[١] يخرج من حالة الجهل شيئاً فشيئاً ثمّ تزداد علومه و معارفه من خلال محاولاته و جهوده في تحصيل العلم، و تتراكم معلوماته أكثر فأكثر حتى يتحوّل إلى عالم كبير و عارف شهير يستطيع كشف الكثير من مجهولات العالم الذي يحيط به، بل و يدخل عالم الاختراعات و الاكتشافات من أوسع أبوابه. و هكذا هي الحال مع تربية الإنسان و ازدهار فضائله الأخلاقية في أعماق نفسه فهي كذلك تحتاج إلى بعض الوقت لأنّه لا بدّ للإنسان من أن ينشأ و يترعرع على يَد مُربٍّ و مُعلّم كامل، و مع مرور الزمن نلحظ أنّه يقوم بترك

١. سورة النحل، الآية ٧٨.

www.noormags.ir

الرذائل الأخلاقية و اجتنابها الواحدة تِلو الأخرى و يغرس في أعماقه شجرة الفضيلة و يبدأ بسَقيها و مراقبتها حتى تتجذّر في باطنه و وجوده كلّ الفضائل لتتحوّل بعدها هذه الفضائل إلى مَلَكة راسخة لا تتزعزع.

٢. و كما يمكن للإنسان الحصول على الكمال من الناحية الفردية و بلوغه بالتدريج، كذلك يمكن للمجتمع الإنسانيّ بأكمله أن يصل إلى الكمال مع مرور الوقت و بشكل تدريجيّ أيضاً. و من خلال نظرة إلى الماضي يمكن أن نعرف أنّه عندما كانت المجتمعات الإنسانية تتقدّم إلى الأمام من الناحية الاقتصادية و السياسية و الثقافية و غيرها فإنّ تلك الحركة و ذلك التقدّم لم يحصل دفعة واحدة و بشكل مُفاجئ بل حصل ذلك مع مرور الزمن و خلال مراحل تاريخية متعدّدة. على سبيل المثال، فإنّ الكثير من الدّول و الحكومات في الماضي السحيق كانت تحكم شعوبها على نحو ديكتاتوريّ و مُستبدّ، إلّا أنّ المجتمع الإنسانيّ المعاصر بلغ حدّاً من التكامل بحيث لا يمكن إخضاعه أو السيطرة عليه بالأسلوب المذكور. و حتى إذا اعترفنا بوجود أنواع مشابهة من الحكومات الديكتاتورية في الوقت الحاضر تحكم البلدان و تسيّر الشعوب على هواها و تملك رقابها، فإنّ عدم استخدام الطغاة و الديكتاتوريون القوّة أو العنف المُفرط لفرض سيطرتهم على تلك الشعوب هو دليل واضح على بلوغ تلك الشعوب نوعاً من التكامل الاجتماعيّ.

ومهما يكن من أمر فمن الواضح أنّ وصول المجتمعات الإنسانية إلى هذا الحدّ من المعرفة و الإدراك كان أمراً تدريجياً و مع مرور الوقت و الزمان و لم يكن مُفاجئاً أو دفعة واحدة.

هذا، و يعتقد العلّامة الطباطبائيّ أنّ السبب في السير التكاملي للشرائع في الأساس هو هذا السير التكاملي للمجتمعات الإنسانية، و حول هذه المسألة يقول رحمه الله:

«و من جهة أخرى فإنّ النّوع الإنساني يتّجه نحو الكمال بصورة تدريجية، و المجتمع البشريّ يتكامل بمرور الزمان، و أنّ ظهور هذا النسق من التكامل ضروريّ في الشرائع السماوية، و يؤيّد القرآن الكريم هذا التكامل التدريجي (إذ يمكن الوصول إليه عن طريق العقل)، و ممّا يُستفاد من آياته، إنّ الشرائع اللاحقة أكمل من الشرائع السابقة، بقوله تعالى: {وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ و مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}».[١]

٣. من بين الأصول و المبادئ التربوية التركيز على الطاقات و المواهب

١. العلامة الطباطبائي، ١٣٨٥: ١٤٣.

www.noormags.ir

الخاصة بالشخص الذي يُراد تربيته؛ فمن الواضح أنّه إذا أردنا إنجاح عملية التربية و الهداية و بلوغ الهدف المنشود منها فعلى المُربّي أن يضع برامجه بما يتناسب و بنية الفرد المُراد تربيته و إمكانيّاته و استعداداته ثمّ البدء بتنفيذ تلك البرامج و تطبيقها. إنّ تجاهل هذه الحقيقة و التغاضي عن هذا الواقع معناه تحميل الآخرين عبئاً يفوق قدراتهم و طاقاتهم و المعروف أنّ النتيجة الحتمية لهذا العمل ليست سوى سقوط الحِمل عن ظهر الحامل و عجزه عن تحمّله. و بناءً على هذا، لا ينبغي التغافل عن هذه النقطة المهمّة في مسألة هداية الإنسان كذلك وفق الضابطة المذكورة.

إذا كان ما قلناه حتى الآن صحيحاً و دقيقاً فإنّ الضابطة نفسها يمكن تطبيقها في أمر هداية الله (عَزّوجَلّ) للمجتمعات الإنسانية، و الله سبحانه الذي تعهّد بهداية الإنسان و المجتمعات الإنسانية و قيادتها إلى الكمال سيتصرّف حتماً وفق ما تقتضيه حكمته تعالى في أمر الهداية و ذلك بما يتناسب و بِنية الإنسان و طاقاته و إمكانيّاته و منها السّير التدريجيّ نحو الكمال النهائي المنشود.

و نستنتج ممّا مرّ بنا أنّ الله (عَزّوجَلّ) شاء أن يكون تأسيس المجتمع الإنسانيّ في نهاية التاريخ و الزمان منزّهاً عن كلّ نقص و أن يبلغ ذلك المجتمع أقصى درجات الكمال اللازمة له. و من ناحية أخرى فإنّ الله سبحانه يعلم أنّ وصول المجتمع الإنسانيّ إلى تلك الدرجة من الكمال أمر مستحيل إلّا مع مرور الوقت و تجاوز أفراد البشر للحوادث و الوقائع الحلوة و المرّة و حصولهم على التجارب الغنيّة من تلك البلايا و المِحَن التي تمرّ بهم على طول التاريخ البشريّ؛ فإذا كانت مشيئة الله تعالى قد اقتضت إيجاد مثل ذلك المجتمع الإنسانيّ في آخر الزمان و أنّ ذلك المجتمع لن يبلغ هدفه الغائيّ إلّا بشكل تدريجيّ و مع مرور الوقت، فلا شكّ في أنّه (عَزّوجَلّ) قد وضع لهذا الإنسان برنامجاً يتطلّب الوقت اللازم و وصفة تتناسب مع تكامله التدريجيّ في آنٍ معاً.

ولعلّ أفضل وصفة تدريجية وضعها الله سبحانه من أجل وصول الإنسان إلى الكمال و التكامل المطلوبيْن هو برنامج إرسال الرّسل و الأنبياء (عَليهمالسّلام) ذلك أنّه ليس أمام الإنسان أيّ سبيل آخر يوصله إلى الكمال المنشود سوى سبيل الوحي الإلهيّ و أنّ الأنبياء و أوصيائهم (عَليهمالسّلام) هم في الحقيقة خُلفاء الله تعالى في أمر هداية الإنسان و المجتمعات الإنسانية.

و على هذا الأساس فإنّ إرسال الرّسل و بعث الأنبياء و الأولياء (عَليهمالسّلام) على طول التاريخ هو خطوة في المسار المذكور و كلّ نبيّ و رسول بذل ما يستطيع من الجهد و السّعي لهداية مجتمعه و وضعه على المسار الصحيح لبلوغ تلك الغاية. و بعبارة أخرى، إذا كان الإنسان كائناً يحتاج إلى اجتياز عدد من

www.noormags.ir

الدروس المختلفة على مرّ الزّمن من أجل هدايته و أنّه لن ينجح في الامتحان إلّا بعد الانتهاء من كلّ تلك المراحل الدراسية و مجموعة الدروس التي تشتمل عليها، فإنّ ذلك يعني أنّ هذه الدنيا _ منذ بدئها و حتى آخر لحظة في حياتها _ هي عبارة عن مدرسة موضوعة أساساً لتربية الإنسان و أنّ الأنبياء و الرّسل (عَليهمالسّلام) هم بمنزلة المُعلّمين المُعيّنين من قِبل الله (عَزّوجَلّ) لتحمّل مسؤولية هداية طلاب تلك المدرسة و تعليمهم و تربيتهم في مختلف المراحل الدراسية و صفوفها. و بناءً على ذلك فإنّ مدير هذه المدرسة و مسؤولها يعلم منذ البدء بتفاصيل هذه العملية الدراسية و أنّها لا بدّ من أن تكون عملية تدريجية، فوضع لكلّ صفّ و مرحلة دراسية ما يتناسب و المستوى العلميّ للطلاب و احتياجاتهم في تلك المرحلة الدراسية، ثمّ عيّن الاحتياجات الأعلى و الأرقى للتكامل للصفوف الأعلى، لكي يتمكّن الطلاب من الوصول إلى غاية التكامل بعد اجتيازهم مراحل كلّ دورة دراسية و بشكل تدريجيّ، و هذا هو ما نسمّيه بالنظرة التاريخية إزاء الظهور و تظافر جهود الأنبياء (عَليهمالسّلام) و مساعيهم في سبيل تحقيق مجتمع العدل العالميّ.

٢. تحليل الهدف

مرّ بنا أنّ السبيل الثاني لمعرفة دور الحركة التاريخية للأنبياء (عَليهمالسّلام) في مسألة الظهور يكمن في تحليل الهدف الإلهيّ لله (عَزّوجَلّ)، فإذا كانت الإرادة الإلهية قد اقتضت أن تُختَم مسيرة المجتمعات الإنسانية بتأسيس حكومة العدل العالمية حيث يصل جميع أفراد البشر إلى الازدهار و التقدّم و أن تشمل العدالة الحقيقية جميع مرافق الحياة الإنسانية، عندئذ يمكننا إدراك الدور الذي قام به الأنبياء (عَليهمالسّلام) من أجل تحقيق هذه الغاية و ذلك من خلال تحليل تلك الغاية و الخوض في ملزوماتها. و يتطلّب توضيح هذه المسألة عدد من المقدّمات:

١. بالاستناد إلى تعاليم القرآن الكريم و الروايات المتواترة، فإنّ مسألة قيام حكومة الصالحين في نهاية التاريخ ستتحقّق لا محالة، و حينئذ ستصبح العبادة في طول هذه الأرض و عرضها خالصة و بعيدة عن كلّ ما يمتّ إلى الشرك بصِلة.

٢. و وفق السّنن الإلهية التي تهيمن على عالم الوجود و المجتمعات الإنسانية فإنّ الله (عَزّوجَلّ) سيُفعّل غاياته و أهدافه على أساس قانون الأسباب و المسبّبات و ليس الإعجاز؛ فعن أبي عبد الله(ع) أنّه قال: «أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ».[١] و بالاستناد إلى هذه السّنن فإنّ وقوع الأفعال المُعجزة لا يكون إلّا في

١. الكليني، ١٣٦٧: ج١، ١٨٣.

www.noormags.ir

الحالات الخاصة و الاضطرارية؛ و عليه، فإنّه لا بدّ لعملية تأسيس حكومة العدل العالمية من أن تحصل بالمسار الطبيعيّ المرسوم لها.

٣. لا شكّ في أنّ تأسيس حكومة العدل العالمية و تغيير أوضاع المجتمع العالميّ من حالة الظلم إلى حالة العدل و من الضلال و الجهل إلى الهداية و السعادة و من العصيان إلى الإذعان و العبودية معناه إحداث التغيير في الإنسان نفسه و المجتمع الإنسانيّ ككلّ، و وفق السّنن الإلهية المذكورة فإنّ تغيير مصير المجتمعات الإنسانية يمرّ عبر التغيير داخل الإنسان نفسه، و ما لم يُحدث الإنسان التغيير المطلوب في داخله و ذاته فإنّ الله (عَزّوجَلّ) لن يتدخّل في تغيير مصيره أو مصير المجتمع؛ قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.[١]

٤. لا بدّ للتغيير الذي يحصل داخل أفراد البشر من أن يكون متناسباً مع ذلك الهدف المتعالي و بالقدر الكافي من حيث العُمق و السّعة.

وبناءً على ما قلناه حتى الآن يمكن تحليل دور الأنبياء (عَليهم‌السّلام) و بيانه فيما يتعلّق بتأسيس حكومة العدل العالمية، و نستطيع الإشارة إلى هذه المسألة من زاويتيْن:

الزاوية الأولى: عظمة الهدف

من الواضح أنّه إذا كان الهدف الموضوع للمجتمعات الإنسانية و سَير الحركة التكاملية لتلك المجتمعات باتّجاه ذلك الهدف بسيطاً يمكن بلوغه و تحقيقه بسهولة و كان بالإمكان توفير مقدّماته و متطلّباته خلال عُمر جيل واحد أو أقلّ، لَما كانت هناك أيّ حاجة إلى تطبيق النظرة التاريخية و وضع البرامج الشاملة و المفصّلة على طول التاريخ و عرضه؛ لكن، إذا كان ذلك الهدف المنشود هدفاً متعالياً مشحوناً بالقِمم العالية الشامخة، فإنّه لا ريب في أنّ بلوغ تلك القمم بحاجة إلى الكثير من المقدّمات و المتطلّبات الضرورية، و هذه أمور لا يمكن تحصيلها بسهولة و لا الوصول إليها بيُسر، بل هي بحاجة إلى العديد من الشروط و الضوابط الحكيمة و المُحكمة بما يتناسب و منزلة الهدف المنشود و عظمته، و لا يمكن لمثل هذا الأمر أن يحدث إلّا وفق برنامج مُفصّل و تدبير مُحكم طويل الأمد. و من خلال هذه النظرة تتّضح لنا ضرورة الدور الفعّال الذي قام به الأنبياء (عَليهم‌السّلام) و كذلك الحديث عن الوجود التدبيريّ الإلهيّ الذي يقوم بتحضير أفراد البشر و تهيئتهم بشكل تدريجيّ على مرّ التاريخ من أجل الوصول إلى ذلك الهدف السامي.

---

١. سورة الرعد، الآية ١١.

www.noormags.ir

وبعبارة أخرى، فإنّه عندما يصبح هدف ما عظيماً و شامخاً من جهة و يكون طريق الوصول إلى مثل هذا الهدف السامي من جهة أخرى مرهوناً بالتغيّر الأساسيّ و الكبير في أفكار أفراد البشر و أهوائهم و عواطفهم و تصرّفاتهم، ففي هذه الحالة لا بدّ من وضع برنامج عظيم طويل الأمد يتناسب و مقدار العُمق و السّعة الذي تتّسم به تلك التغيرات حتى تتهيّأ هذه التغييرات المطلوبة عبر مسار السّنن الإلهية التي تحكم الوجود كلّه، و لا سيّما إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ الحدث الذي لا بدّ من وقوعه مكنون في داخل الإنسان نفسه، و هذا الإنسان كما نعلم كائن مُعقّد يتمتّع بحرية الاختيار و بذلك يمكنه أن يعصي و يُعاند و يولّي دُبُره للحقّ، و التاريخ كلّه يشهد على أنّ تربية هذا الإنسان و ترويضه أمر صعب للغاية و يتطلّب طاقة كبيرة و فترة كافية من الزمن.

ولإثبات العظمة الغائية التي أرادها الله (عَزّوجَلّ) للمجتمعات الإنسانية فإنّ لدينا العديد من الدلائل الخاصّة بذلك و منها ما يلي:

١. العبودية الخالصة في دولة المهدي(عج)

إنّ من أوضح الآيات القرآنية التي تشير إلى حكومة الإمام المهديّ(عج) قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ و عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ و لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ و لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا و مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}؛[١] فبالاستناد إلى الآية الشريفة أعلاه فإنّ المؤمنين الصالحين سيخلفون الماضين من البشر في هذه الأرض في نهاية التاريخ و سيتمّ تأسيس مجتمع صالح متوافق و متناسب مع المعايير الدينية، و لن يُعبَد في مثل ذلك المجتمع سوى الله تعالى وحده و ستكون تلك العبادة خالصة خالية من كلّ أنواع الشّرك و الكُفر سواء أكان شركاً جليّاً ظاهراً أم خفيّاً مستوراً. و تتّضح عظمة هذه العبادة التوحيدية من اعتبار الله (عَزّوجَلّ) إيمان معظم المؤمنين مشوباً بالشّرك الخفيّ كما في قوله تعالى: {وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا و هُمْ مُشْرِكُونَ}.[٢] هذا من ناحية، و من ناحية أخرى فإنّه من المُقرّر أن تكون تلك العبادة الخالصة على مستوى المجتمع ككلّ و ليس على مستوى الفرد الواحد، و لا ريب في أنّ المجتمع مؤلّف من عدد من المؤمنين الصالحين الموحّدين. من الواضح أنّ تحقيق مثل هذا الهدف العظيم على مستوى المجتمع و تأسيس أمّة يدور أفرادها جميعهم حول محور التوحيد من قدمهم

١. سورة النور، الآية ٥٥.
٢. سورة يوسف (عَليه‌السّلام)، الآية ١٠٦.

www.noormags.ir

إلى رأسهم و من جذورهم إلى سوقهم، و يكون تفكير الجميع قائماً على أساس التوحيد و تكون إحساساتهم و مشاعرهم و عواطفهم و تصرّفاتهم مَبنية على قاعدة التوحيد، من الواضح أنّ ذلك سيحوّل هذه الدنيا و ما فيها إلى جنّة عظيمة و فردوس بهيّ لا يمكن لأيّ منّا تصوّره و لو للحظة واحدة.

٢. مقدار تمحيص المؤمنين على مرّ التاريخ

تحدّث الكثير من الروايات عن مسألة تمحيص المؤمنين و اختبارهم من أجل تحضيرهم و تهيئتهم لليوم الموعود، بدءاً بوقوع المؤمنين في البلايا و المشاكل و الصعوبات الجسيمة و انتهاءً باجتيازهم للعديد من المعضلات و الاختبارات حتى يَميز الخبيث من الطيّب و الخالص من الأُشابة.

فعَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ عَنْ أمير المؤمِنينَ7 أَنَّهُ قَالَ: «كُونُوا كَالنَّحْلِ فِى الطَّيْرِ لَيْسَ شَيءٌ مِنَ الطَّيْرِ إِلَّا و هُوَ يَسْتَضْعِفُهَا و لَوْ عَلِمَتِ الطَّيْرُ مَا فِي أَجْوَافِهَا مِنَ الْبَرَكَةِ لَمْ تَفْعَلْ بِهَا ذَلِكَ خَالِطُوا النَّاسَ بِأَلْسِنَتِكُمْ و أَبْدَانِكُمْ و زَايِلُوهُمْ بِقُلُوبِكُمْ و أَعْمَالِكُمْ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا تَرَوْنَ مَا تُحِبُّونَ حَتَّى يَتْفُلَ بَعْضُكُمْ فِي وجُوهِ بَعْضٍ و حَتَّى يُسَمِّيَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَذَّابِينَ و حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ» أَوْ قَالَ «مِنْ شِيعَتِي إِلَّا كَالْكُحْلِ فِى الْعَيْنِ و الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ و سَأَضْرِبُ لَكُمْ مَثَلًا و هُوَ مَثَلُ رَجُلٍ كَانَ لَهُ طَعَامٌ فَنَقَّاهُ و طَيَّبَهُ ثُمَّ أَدْخَلَهُ بَيْتاً و تَرَكَهُ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَصَابَهُ السُّوسُ فَأَخْرَجَهُ و نَقَّاهُ و طَيَّبَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَى الْبَيْتِ فَتَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَصَابَتْهُ طَائِفَةٌ مِنَ السُّوسِ فَأَخْرَجَهُ و نَقَّاهُ و طَيَّبَهُ و أَعَادَهُ و لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى بَقِيَتْ مِنْهُ رِزْمَةٌ كَرِزْمَةِ الْأَنْدَرِ لَا يَضُرُّهُ السُّوسُ شَيْئاً و كَذَلِكَ أَنْتُمْ تُمَيَّزُونَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا عِصَابَةٌ لَا تَضُرُّهَا الْفِتْنَةُ شَيْئاً».[١]

وعن الإمام الرّضا(ع) أنّه قال: «وَ اللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُمَحَّصُوا و تُمَيَّزُوا و حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْأَنْدَرُ فَالْأَنْدَرُ».[٢]

من الواضح أنّ التمحيص المذكور ليس مقصوراً على بعض الأفراد دون غيرهم بل يشمل جميع المؤمنين على مرّ التاريخ و هو ما خاطب به أمير المؤمنين(ع) مُعاصريه في الحديث الأوّل ثمّ خاطب الإمام الرّضا(ع) جماعته بعد ذلك في الحديث الثاني، و كلاهما (عَليهما السّلام) تحدّثا بمسألة التمحيص و في أزمان مختلفة.

وبناءً على ذلك فإنّه سيتمّ تمحيص المؤمنين و اختبارهم في كلّ مرحلة تاريخية

---

١. النعماني، ١٤٢٢: ٢١٧.
٢. النعماني، ٢١٦: ١٤٢٢.

www.noormags.ir

بما يتناسب و الظروف التي يعيشها أولئك المؤمنون و سيُرى ما إذا كانوا قادرين على اجتياز كلّ تلك البلايا و تجاوز تلك الاختبارات، يُضاف إلى ذلك فإنّ الروايات المذكورة تشمل كذلك جميع الشيعة على مرّ التاريخ دون استثناء.

إنّ هذا الكمّ الهائل من الاختبارات العنيفة و البلايا الشديدة التي يشهد لها التاريخ أيضاً، يشير بمجموعه إلى أنّه من المتوقّع مجيء حدث كبير و عظيم ذو أبعاد مختلفة و شمولية كبيرة؛ حدث جَلل بحاجة إلى مقدّمات كبيرة لا تقع إلّا في ظلّ البلايا و المعضلات العظيمة.

تطاول فترة الغيبة

يمكن استنباط النقطة المذكورة أعلاه كذلك من خلال تطاول عصر الغيبة، فقد مضى على غيبة أمامنا المهدي(عج) ما يقرب من أحد عشر قرناً، و خلال هذه الفترة الطويلة تهيّأت المقدّمات المذكورة الخاصة بالحدث العظيم و كذلك التمهيد لتأسيس حكومة العدل العالمية؛ لكن، و ممّا يؤسف له، أنّ العيون ما زالت مترقّبة و الانتظار قائم في محلّه. لا شكّ في أنّ إطالة تلك الغيبة كلّ هذه المدّة إشارة إلى أنّ الحدث المُنتَظَر كبير و عظيم إلى درجة لم تتهيّأ الظروف و الشروط لوقوعه بَعد.

الزاوية الثانية: سبيل الوصول إلى الهدف

قلنا قبل هذا أنّ تحليل الهدف الذي وضعه الله (عَزّوجَلّ) لمَسار المجتمعات الإنسانية يمكّننا من تحديد دور الأنبياء (عَليهمالسّلام) و حركتهم التاريخية فيما يخصّ حكومة العدل العالمية، و نستطيع تحليل الهدف المذكور من خلال رؤيتيْن اثنتيْن: الرؤية الأولى تتعلّق بعظمة الهدف المنشود، أمّا الرؤية الثانية فتتناول سبيل الوصول إلى ذلك الهدف و الأسلوب الذي يجب اتّباعه. و لتوضيح الرؤية الثانية نقول: بالإضافة إلى كون نجاح أيّ حركة أو فشلها مرهون بوصول تلك الحركة إلى هدفها أو عجزها عن ذلك، فإنّ هذا مرهون أيضاً بالأسلوب الذي تستخدمه تلك الحركة لتحقيق هدفها و كذلك السّعة المطلوبة لذلك الهدف؛ و بناءً على هذا، فلو قُدّر لذلك الهدف أن يتحقّق لكن باستخدام أساليب أخرى غير الأساليب المطلوبة لتحقّقه، فلا ريب في أنّ فشل الحركة سيكون مؤكّداً؛ أو إنّه إذا أمكن تحقيق ذلك الهدف و لكن ليس بالسّعة و الحجم المطلوبيْن له فإنّ الحركة لن تُفلح كذلك في بلوغ هدفها. فعندما نقول أنّ هدف الأنبياء (عَليهمالسّلام) جميعاً يتمثّل في تأسيس حكومة العدل العالمية فإنّ المقصود بذلك ليس وصولهم إلى مثل تلك الحكومة بأيّ أسلوب كان و إن بالعنف و القوّة و فرض السيطرة، و ليس مُرادهم من هذا دفع

www.noormags.ir

الناس إلى ذلك قسراً و تحميلهم ما لا يطيقونه، بل الهدف هو أن يسير الناس بإرادتهم و الوقوف على أرجلهم، فالأنبياء (عَليهم‌السّلام) أرادوا أن يبلغ أفراد البشر مرحلة من النُّضْج بحيث لا يقنعوا بحُكم غير المعصوم و أن ينبروا للمطالبة بولاية المعصوم و بالتالي يكونوا مُستعدّين للتضحية و الفداء بأيّ شيء من أجل تحقيق ذلك. يُضاف إلى هذا، إنّ هدف الأنبياء (عَليهم‌السّلام) كان تأسيس حكومة العدل العالمية على مستوى العالم كلّه لا على مستوى الحكم المحليّ أو الإقليميّ؛ و هكذا، فإنّه لا يمكن الحديث عن تحقيق الهدف الذي كان ينشده الأنبياء (عَليهم‌السّلام) إلّا إذا تمّ تأسيس حكومة عادلة تشمل كلّ أرجاء المعمورة على يَد رجل من نسل الأنبياء (عَليهم‌السّلام)، حكومة لا يتمّ فرضها على الناس قسراً، بل يعمد الناس جميعاً إلى الخضوع لها و الاعتراف بها رغبة و طوعاً.

ومن خلال النظرة عينها يمكن بيان دور الحركة التاريخية للأنبياء (عَليهم‌السّلام) في إنشاء الحكومة العالمية و القول بأنّه لمّا كان مُراد الأنبياء (عَليهم‌السّلام) هو الوصول إلى الهدف المذكور و بالأسلوب المُحدّد له، و إنّ أفراد البشر الذين يُراد منهم تمهيد الأرضية اللازمة لتحقيق ذلك الهدف هم أحرار يمتلكون الإرادة و حرية الاختيار، و أنّ التاريخ قد بيّن لنا أنّ أفراد البشر هؤلاء و في أغلب المراحل التاريخية كانوا عُصاة و متمردين و ضالّين قبل أن يهتدوا إلى الحقّ و يُذعنوا له، فإنّه من الواضح أنّ بلوغ مثل ذلك الهدف لا يكون من خلال السّير بحسب أهواء الناس و رغباتهم و ميولهم بشكل طبيعيّ و على مدى حياة جيل واحد، و عليه، لا مناص من وضع برنامج طويل الأمد لهذا الأمر يأخذ كفايته من الوقت حتى تتهيّأ الأرضية المطلوبة و بشكل تدريجيّ و سَلس لكي يتمكّن أفراد البشر من تحديد الخيار الصحيح و بروز الرغبة الحقيقية في داخلهم لتأسيس الحكومة الإلهية.

إنّ البرنامج طويل الأمد الذي وضعه الله (عَزّوجَلّ) لتربية أفراد البشر و إيصالهم إلى حالة من النّضج و العقلية لتقبّل حكومة المعصوم(ع) و الخضوع له و نُصرته و إعانته على تأسيس حكومة العدل العالمية، أقول إنّ البرنامج المذكور يتمثّل في بعثة الأنبياء (عَليهم‌السّلام) نفسها.

رأي السيّد محمّد الصّدر

إنّ كلّ ما ذكرناه حتى الآن كان تحليلاً لدور الحركة التاريخية للأنبياء (عَليهم‌السّلام) فيما يخصّ إنشاء حكومة العدل العالمية من الوجهة الغائية التي أرادها الله سبحانه لمسار حركة المجتمعات الإنسانية؛ لكنّ السيد محمّد الصّدر ينظر إلى ما قلناه من زاوية أخرى مُغايرة، فهو يرى أنّ مسألة تأسيس حكومة العدل العالمية في نهاية التاريخ مرتبطة بمسألة فلسفة الخلقة؛ و بعبارات أوضح،

www.noormags.ir

إنّ الغاية التي شاءها الله (عَزّوجَلّ) من خَلق الإنسان إنّما تتحقّق بتأسيس حكومة العدل العالمية في آخر الزمان. و فيما يأتي موجز لرأي السيد الصّدر في هذا الشأن:

«إنّ الله تبارك و تعالى خلقَ الخَلْق متفضّلاً و لم يخلقهم عبثاً و لم يتركهم هَملاً، بل خلقهم و هو غنيّ عنهم، لأجل حصولهم على مصالحهم الكبرى و وصولهم إلى كمالهم المنشود المتمثّل بإخلاص العبادة لله تعالى ؛ قال عزّ من قائل: {وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ و الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.[1] إذن فالغرض من الخليقة هو الحصول على هذا الكمال العظيم المتمثّل بتوجيه العقيدة و المفهوم إلى الله (عَزّوجَلّ) و قصر السلوك عن طاعته و عدله في كلّ حركة و سكون. و إذا نظرنا إلى حقيقة هذا الكمال من جوانبه المتعدّدة، و استطعنا تحصيل الفكرة المتكاملة عنه، عرفنا الهدف الإلهيّ المقصود الذي أصبح هدفاً لإيجاد الخليقة. الجانب الأوّل: إيجاد الفرد الكامل، من حيث أنّ قصر الإنسان نفسه على التربية بيد الحكمة الإلهية الكبرى و تحت إشرافها و تدبيرها، يوجد فيه الإنسان العادل الكامل الذي يعيش محض الحرية عن انحرافات العاطفة و المصالح الضيّقة و المساق في انطلاقه مع انطلاقة الكون الكبرى إلى الله (عَزّوجَلّ). الجانب الثاني: إيجاد المجتمع الكامل و البشرية الكاملة المتمثّلة بمجموعة الأفراد الذين يعيشون على مستوى العدل و الإخلاص و التجرّد من كلّ شيء سوى عبادة الله تعالى، تلك العبادة التي تتضمّن تربية الفرد و المجتمع و الارتباط بكلّ شيء على مستوى العدل الإلهيّ. الجانب الثالث: إيجاد الدولة العادلة التي تحكم المجتمع بالحقّ و العدل، بشريعة الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض و لا في السّماء، و تكون هي المسؤولة الأساسية عن السّير قدماً بالمجتمع و البشرية نحو زيادة في التكامل في الطريق الطويل غير المتناهي الخطوات. فهذا هو معنى العبادة المقصود في الآية، و كلّ ما كان على خلاف ذلك فهو تقصير في العبادة الحقيقية تجاه الله (عَزّوجَلّ) و لا يمكن أن نفهم من الآية هذا المعنى القاصر بطبيعة الحال. النقطة الثانية: إنّ الآية واضحة الظهور في أنّ الغاية الأساسية و الغرض الأصلي من إيجاد البشرية هو إيجاد هذه العبادة الكاملة في ربوع البشرية، أو إيصالها إلى هذا المستوى الرفيع... إذن فهذا هو الهدف الوحيد المنحصر الذي لا شيء وراءه من خلقة البشرية المُعبّر عنه بالإنس و هذا الهدف ملحوظ و مُخطّط بشكل خاصّ منذ بدء الخليقة... و هذا بالضبط هو ما نعنيه حين نقول: إنّ الله تعالى لم يخلق البشرية لأجل مصلحته فإنّه غنيّ عن العالمين، و إنّما

---

١. سورة الذاريات، الآية ٥٦.

www.noormags.ir

خلقهم لأجل مصلحتهم، و أيّ مصلحة يريدها الله لعباده غير كمالهم و رشدهم و صلاحهم المتمثّل بالعبادة المخلصة و التوجّه إليه بالخيرات نحوه عزّ و علا؟ فإذا تمّ لنا من الآية ذلك، و لاحظنا وجداننا الذي ذكرناه و هو أنّ هذا الوضع الاجتماعيّ العالميّ الموعود لم يتحقّق على مدى التاريخ منذ فجر البشرية إلى عصرنا الحاضر، إذن، فهو ممّا سيتحقّق في مستقبل الدهر يقيناً طبقاً للوعد الإلهيّ القطعي غير القابل للتخلّف أو التمييع... إنّ تكامل الفرد و بالتالي تكامل المجتمع البشريّ يتوقّف _ بعد أن وهبه الله عزّ و علا العقل و الاختيار _ على عاملَيْن: عامل خارجيّ و عامل داخليّ، أو قُل: عامل موضوعيّ و عامل ذاتيّ. أمّا العامل الخارجيّ الموضوعيّ فهو إفهام الفرد _ و بالتالي المجتمع _ معنى العدل و الكمال الذي ينبغي أن يستهدفه و المنهج الذي يجب عليه أن يتّبعه في حياته و يقصر عليه سلوكه. و هذا الإفهام لا يمكن صدوره إلّا عن الله (عَزّوجَلّ) بعد البرهنة على عدم إمكان توصّل البشرية إلى كمالها و معرفتها بالعدل الحقيقيّ إذا عُزلت فكرياً عن الحكمة الأزلية الإلهية، كما صحّ البرهان عليه في بحوث العقائد الإسلامية، و من ثَمّ لا يمكن أن يتحقّق الغرض الإلهيّ المهمّ في هداية البشرية و إيجاد العبادة الكاملة في ربوعها إذا أُوكِلت البشرية إلى نفسها و فكرها القاصر... فلم يكن في الإمكان إيجاد المجتمع العادل الكامل الموعود في ربوعها لأوّل وهلة بل كان لا بدّ أن تتربّى البشرية تدريجياً إلى أن تصل إلى المستوى اللائق الذي يؤهّلها لمجرّد فهم العدل الكامل الذي يريد الله تعالى تطبيقه في اليوم الموعود. و من هنا نعرف أنّ الأنبياء إنّما تعدّدوا و تكثروا من أجل إعداد البشرية و تربيتها و الوصول إلى هذا المستوى اللائق. و أمّا العامل الداخلي الذاتيّ، فهو الشعور بالمسؤولية تجاه الأطروحة العادلة الكاملة، باعتبار أنّها إنّما تضمن العدل فيما إذا أطاعها الأفراد و طُبّقت في حياتهم... و إنّما يوجد الشعور بالمسؤولية و ينمو نتيجة لأسباب ثلاثة مقترنة: السبب الأوّل، إدراك العقل لأهمية طاعة الله و الخضوع له و الانصياع إلى أوامره و نواهيه باعتباره مستحقّاً للعبادة مع غضّ النظر عن أيّ اعتبار آخر. السبب الثاني: الشعور بأهمية طاعة الله تعالى باعتبارها الضامن الحقيقيّ للعدل المطلق، على المستويَيْن الفردي و الاجتماعيّ... السبب الثالث: العامل الأُخرويّ المتمثّل بالطمع بالثواب الذي رصده الله تبارك و تعالى للمطيعين و الخوف من العقاب الذي توعّد به العاصين و المذنبين. و هناك فرق أساسيّ في طرق إيجاد هذه الأسباب، فالسببان الأوّل و الأخير يوجدان بالتربية النظرية فقط.. و أمّا السبب الثاني فالبرهنة النظرية عليه غير كافية بطبيعة الحال... بل يحتاج ذلك إلى تمرين طويل الأمد و تجربة و ممارسة. و من هنا تنبثق أهمية هذه التجربة و الممارسة في

www.noormags.ir

تربية الإخلاص بشكل خاصّ، و التكامل بشكل عامّ بصفته إحدى المقدّمات الأساسية و الأسباب الرئيسية لإيجاد المجتمع العادل... إذن تكتسب تربية الأمّة و التجربة التي يجب أن تمرّ بها الأمّة نفس الأهمية الكبرى باعتبارها مقدّمة حقيقية للغرض الإلهيّ الكبير من إيجاد الخليقة... تتوقّف التجربة و الممارسة التي يجب أن تمرّ بها الأمّة في تربيتها الطويلة على أحد عاملَيْن: العامل الأوّل، التطبيق الفعليّ الحيّ للمجتمع العادل المطلق حتى يراه الناس و يحبّوه و يقدّموا مصالحه العامّة على مصالحهم الخاصّة، فإنّ شعور الناس بوجود العدل المطلق مُطبّقاً على وجه الأرض يكفي بمجرّده في توجيه عواطف الناس و صهر إخلاصهم إلى حدّ بعيد. العامل الثاني: مرور الأمّة خلال تربيتها بعوامل صعبة و ظروف ظالمة عسرة، تجعلها تتوفّر شيئاً فشيئاً على التعمّق الفكريّ و العاطفيّ، و تصوغ منها في نهاية المطاف أمّة شاعرة بالمسؤولية قويّة الإرادة و العزم على تطبيق الأطروحة العادلة الكاملة... و بالرّغم من صحّة العاملَيْن كليهما و أثرهما الأكيد في تربية الأمّة، إلّا أنّنا إذا فرضنا كلّاً منهما معزولاً عن الآخر، نجد أنّ العامل الثاني أهمّ من الأوّل من جهتيْن أساسيّتيْن: أوّلاً، إنّ محبّة الأطروحة العادلة و الإخلاص لها عند تطبيقها أمر موافق للهوى و المصالح الشخصية لأنّها تضمن للإنسان سعادته و رفاهه الفردي و الاجتماعيّ... ثانياً، نعرف ممّا تقدّم أنّ العامل الثاني يجب أن يكون متقدّماً زماناً على العامل الأوّل باعتبار توقّف التطبيق الحقيقيّ له فإنّ العدل لا يكون عميقاً و أساسياً في المجتمع ما لم يكن كلّ الأفراد أو جلّهم _ على أقلّ تقدير _ ممّن شحذت إخلاصه التجارب و رفعت إيمانه و إرادته التضحيات فإنّهم يكونون أقدر على العمل و أسرع إنتاجاً و أكثر تحمّلاً للصعوبات ممّا يجعل العدل أعمق أثراً و أضمن للبقاء و الاستمرار. إذن فالغرض الإلهيّ في إيجاد البشرية يتوقّف وجوده على الإخلاص المنصقل بالتجارب و التضحيات، و من المعلوم أنّ هذا الصّقل لا يمكن حصوله إلّا بالمرور في تيار التجارب و التضحيات نفسه، و هذا التيار ليس إلّا الظروف الصعبة و الأزمنة المظلمة الظالمة التي تمرّ بها البشرية خلال الأجيال... إنّه من هذا المنطلق بالذات نعرف أهمية التمحيص و الاختبار الذي دلّت عليه الأخبار ... باعتبار أنّ ما تعيشه البشرية من ظروف ظالمة من ناحية و أمور مُغرية من ناحية أخرى ... و من هنا تكون هذه الظروف و محاولة هذا التطبيق محكاً أساسياً لمدى الإخلاص و قوّة الإرادة لدى الأفراد، فينهار العدد الأغلب من البشر في أحضان الظلم و الإغراء ... و يبقى العدد الأقلّ صامدين مكافحين، تشتدّ إرادتهم و تقوى عزيمتهم و يشعرون باللذة و الفخر في مكافحة تيارات الانحراف و الفساد و لا يزالون في تكامل و صمود حتى يبلغوا مستوى المسؤولية الكبرى في

www.noormags.ir

مواجهة العالم بالعدل المطلق في اليوم الموعود».

وكما مرّ بنا فإنّ البرنامج الذي وضعه الله (عَزّوجَلّ) لإنجاز اليوم الموعود كان قد بدأ منذ أوّل الخليقة لأنّ تحقّق اليوم الموعود هو هدف تلك الخلقة، و من هنا فإنّ البرنامج المذكور كان موجوداً قبل ظهور الدين الإسلامي و استمرّ بعده كذلك و سيستمرّ أيضاً حتى اليوم الموعود. يمكن تفصيل هذا الأمر عبر النقاط التالية:

النقطة الأولى: مشاركة الأنبياء في البرنامج المذكور

لم تكن البشرية في أوّل ظهورها تتوفر على الشرطيْن المذكوريْن لإجراء العدالة الكاملة و تطبيقها، فلم يكن أفراد البشر يعرفون معنى العدالة الكاملة و لا كانوا مُدركين ضرورة الاتّصاف بالإخلاص و التحضير للإيثار و الفداء في سبيل تطبيقها و إجرائها؛ و لذلك، أُرسل الأنبياء (عَليهمالسّلام) ليتولّوا تربية أفراد البشر حتى يتمكّنوا من فهم معنى العدالة الكاملة و إدراكها، فتهيّأت لهم بعد ذلك الظروف المناسبة و المطلوبة في نهاية الأمر و أصبحوا مستعدّين لإدراك مشروع العدالة الكاملة الذي تجسّمت معالمه في الدين الإسلامي و لذلك أرسل الله (عَزّوجَلّ) الدين الإسلامي كآخر دين للبشرية. لكن، و كما هو واضح، فإنّ الشرط الثاني المطلوب لتحقيق العدالة الكاملة _ و هو الاستعداد للتضحية و الفداء في هذا السبيل - لم يتحقّق بَعد، و على هذا الأساس فإنّ جميع الأنبياء (عَليهمالسّلام) و منهم رسولنا الكريم(ص) كانوا يطرحون برنامجهم الفكريّ التربويّ بشكل يمكن بواسطته تحضير البشرية و تهيئتهم لتقبّل الشرط الثاني، أي إنّهم كانوا يبذلون كلّ جهدهم لزرع بذور الإخلاص و الفداء و التضحية في نفوس الناس في سبيل الله سبحانه، فأينعت ثمار التربية الأولى فيما لم تؤثّر التربية الثانية سوى في القليل من الناس فقط و لهذا السبب فإنّ هذا التيّار و هذه العملية مستمرّة و باقية حتى يتمّ تلقين أفراد البشر تفاصيل الشرط الثاني المطلوب للعدالة الكاملة.

النقطة الثانية: دعوة الأنبياء في سبيل تحقيق حكومة العدل

لم يسكت الأنبياء (عَليهمالسّلام) عن مسألة الهدف من وراء خلقة الإنسان و هو تحقيق العدالة الكاملة بل يمكن ملاحظة صدى ذلك في كلّ الأديان السماوية التي أشارت جميعها إلى موضوع المهدي الموعود، لكن من الواضح أنّه لم تكن هناك حاجة لبيان تفاصيل هذه المسألة في ذلك العصر.

www.noormags.ir

النقطة الثالثة: عدم توفّر الشروط للأنبياء لتأسيس حكومة العدل العالمية

لم تكن الظروف مناسبة لأيّ نبيّ من الأنبياء (عَليهمالسّلام) لكي يتمكّن من تأسيس حكومة العدل الإلهيّ بشكل عمليّ أو طرح البرنامج الخاصّ بها في زمانه و ذلك لعدم توفّر الشروط اللازمة لذلك في تلك الفترة؛ فلا أفراد أمّته كانوا يدركون معنى برنامج العدالة الكاملة (وهو الشرط الأوّل المشار إليه آنفاً) و لا كانت تلك الأمّة مستعدّة بالشكل و القدر المطلوبيْن لتطبيق برنامج العدالة الكاملة (وهو الشرط الثاني).

فالشرط الأوّل لم يكن متوفّراً و ذلك لأنّ الأنبياء (عَليهمالسّلام) قبل سيّدنا موسى(ع) كانوا يركّزون على إفهام الناس العقيدة الدينية و هي الإيمان بالله (عَزّوجَلّ) و يسعون إلى ترسيخ تلك العقيدة في نفوسهم، حتى بُعث خليل الله إبراهيم(ع) فقام ببيان عقيدة التوحيد لأمّته بشكل برهان واضح. و هكذا نرى أنّه لم يكن حتى ذلك الوقت أيّ تشريع مهمّ فما بالك بإبلاغ الناس آنذاك بمشروع و برنامج العدالة الكاملة؟ لكنّ الأنبياء (عَليهمالسّلام) الذي جاءوا بعد سيّدنا موسى(ع) حتى بعثة الرسول الأعظم خاتم النبيّين(ص) و على الرّغم من بيانهم الشرائع بالتفصيل المطلوب إلّا أنّ تلك الأديان كانت في الغالب شرائع تحاول إفهام الأُمم و تعريفها بمشروع العدالة الكاملة، و من أوثق الدلائل و أبلغ الشواهد على هذا الكلام هو نسخ تلك الأديان و الشرائع من قِبل الدين الإسلامي. من الواضح أنّه لو كانت تلك الشرائع تمثّل مشروع العدالة الكاملة المشار إليه ما كان ليكون هناك أيّ سبب أو حاجة لنسخها.

وأمّا الشرط الثاني فلم يكن موجوداً هو الآخر و ذلك لأنّ القرآن الكريم يُخبرنا بشأن أبينا آدم(ع) قائلاً: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ و لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}،[1] فلا شكّ أنّه من دون العزم المذكور يكاد يكون تحقّق اليوم الموعود أمراً مستحيلاً. و كذلك ما أشار إليه القرآن الكريم فيما يتعلّق بزمان النبيّ نوح(ع) فهذا النبيّ الكريم لَبِثَ في قومه سنوات طوال يدعوهم إلى الحقّ إلّا أنّه لم يكن لدعوته كما يبدو أيّ تأثير يُذكَر في أفراد مجتمعه فشكى ما يُعانيه منهم إلى الله سبحانه ثمّ دعا عليهم. أو ما حصل في حياة سيّدنا إبراهيم(ع) حيث كان التأثير الذي ولّدته دعوته في الناس أكبر و أعظم، و مع ذلك كلّه لم يتمكّن من إيصالهم إلى المستوى المطلوب لكي يفهموا معنى العدالة المطلقة، الأمر الذي دفعهم إلى إلقائه(ع) في النار من غير أن يعترض أيّ فرد من أفراد مجتمعه على ذلك. أو ما حدث في

١. سورة طه (صَلّى الله عليه و آله و سلّم)، الآية ١١٥.

www.noormags.ir

زمان سيّدنا موسى بن عمران(ع) و تمرّد قومه و عصيانهم حتى انتهى بهم المطاف إلى مخاطبته قائلين: {فَاذْهَبْ أَنْتَ و رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}؛[1] أو عندما قاموا بعبادة العجل في حياته(ع) و مطالبتهم إيّاه بأن يَروا الله (عَزّوجَلّ) جَهْرَة! و كذلك ما حدث لعيسى بن مريم (عَليهما السّلام) حيث كان حواريّوه يشكّون حتى ذلك الوقت بقدرة الله تعالى إذ سألوه قائلين: {يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ}،[2] فإذا كان هذا هو حال خواصّ النبيّ و حواريه فما بالك بالحال التي كان عليها سائر الناس العاديين في ذلك الوقت؟

وهكذا نرى أنّ الناس على مدى التاريخ لم يكونوا قد وصلوا إلى المستوى المطلوب من الإخلاص لكي يكون بالإمكان محادثتهم بشأن العدالة المطلقة المنشودة في اليوم الموعود.

يتّضح لنا ممّا مرّ حتى الآن أنّ أيّاً من الشروط الخاصّة بإيجاد العدالة المطلقة لم يكن متوفّراً قبل ظهور الدين الإسلاميّ، لكن، و بعد مجيء الإسلام _ على يَد خاتم النبيّين(ص) الذي أصبح حلاله حلالاً إلى يوم القيامة و حرامه حراماً إلى يوم القيامة _ توفّر الشرط الثاني و أصبح هذا الدين بمنزلة الخزانة التي تحتفظ بمشروع العدالة الكاملة الذي يُراد تطبيقه في اليوم الموعود؛ إلّا أنّه و بسبب عدم تحقّق الشرط المذكور بشكل كامل حتى ذلك الوقت أيضاً، فإنّه لم يحن مجيء اليوم الموعود بَعد. و في عصر غيبة الإمام المهديّ(عج) و تكالب العقائد و التيارات التي تسعى إلى حرف الناس عن مسار مُعتقداتها الإسلامية مثل التيار الاستعماريّ المتمثّل بعملية التبشير المسيحيّ و الدعوة إلى الحضارة المادية الغربية و سائر المدارس و التيارات الغربية الأخرى، تظهر أمامنا الاختبارات و البلايا الإلهية بأشكال مختلفة و متعدّدة لكي تتمّ غربلة الناس بغربال المشاكل و مِسْحَل المعضلات و تمحيصهم فينكشف ما في باطن كلّ فرد و تتمّ تربية الأشخاص المؤمنين المخلصين المهيّئين لإقامة العدالة المطلقة على طول الأرض و عرضها.[3]

وبالاستناد إلى ما ذُكِر يتّضح لنا أنّ السيد محمّد الصدر يرى أنّ مسألة حكومة العدل العالمية كانت مطروحة في أولى مراحل ظهور الإنسان و أنّ جميع الأنبياء (عَليهمالسّلام) ساروا في نفس الطريق الذي أرادته المشيئة الإلهية و ذلك لتهيئة المقدّمات الخاصّة بتحقيق الهدف المذكور، و أنّ ما سيتمّ حدوثه في النهاية هو حاصل الجهود المتراكمة التي بذلها الأنبياء و الأولياء (عَليهمالسّلام) على مرّ

---

١. سورة المائدة، الآية ٢٤.

٢. سورة المائدة، الآية ١١٢.

٣. السيد محد الصدر، ١٤٢٥: ٢٠١-٢٣٢ بتصرّف.

www.noormags.ir

التاريخ، و هو الأمر الذي حاولنا إثبات صحّته حتى الآن.

الأدلة النقلية

تُعتبر الأدلة النقلية النوع الثالث من الشواهد التي يمكن بواسطتها إثبات دور الأنبياء (عَليهم‌السّلام) في حكومة العدل، و لدينا الكثير من الآيات القرآنية و الروايات التي نستطيع بها إثبات الأمر المذكور.

١. العلاقة بين الهدف من بعثة الأنبياء و مسألة الظهور

ثمّة مجموعة من الأدلة النقلية المتمثّلة في الآيات القرآنية التي تشير إلى الانسجام و التوافق بين أهداف بعثة الأنبياء (عَليهم‌السّلام) من جهة و أهداف حكومة العدل العالمية من جهة أخرى؛ فإذا كان بإمكان هذه الأدلة النقلية أن تقودنا إلى الحقيقة المتمثّلة في كون الهدف الذي ينشده الإمام المهدي(عج) هو نفس الهدف الذي كان الأنبياء (عَليهم‌السّلام) من قبله يأملون في تحقيقه و أنّ عصر الظهور هو عصر تحقّق أهداف الأنبياء (عَليهم‌السّلام)، فإنّه يمكن القول بأنّ حركة الإمام المهدي(عج) و حركة الأنبياء (عَليهم‌السّلام) تسير في مسار واحد، بل إنّ حركة الإمام المهدي(عج) تُعتبر استمراراً لحركة الأنبياء (عَليهم‌السّلام) فعندما يكون المدبّر لعملية الهداية بأكملها هو الله (عَزّوجَلّ) و هو الذي بعث كلّ الأنبياء و الأوصياء (عَليهم‌السّلام) ليكونوا قادة القافلة البشرية و أئمّتها و هو الذي وضع غاية واحدة لهذه المسيرة منذ شروعها حتى انتهائها و هو الذي أناط بالإمام المهدي الموعود(عج) قيادة تلك المسيرة في آخر الزمان و ضَمِنَ تحقّق الغاية المذكورة في نهاية التاريخ على يَده(عج)؛ فإنّ ذلك كلّه يشير إلى أنّ جبهة الحقّ لم تكن سوى جبهة واحدة على مرّ التاريخ و أنّ تلك الجبهة لم يكن نُصب عينيها سوى هدف واحد و غاية واحدة و أنّ كلّ واحد من قادة تلك الجبهة و أئمّتها قد قام بمسؤوليته و واجبه في قيادة تلك الجبهة و هدايتها باتّجاه تلك الغاية و الهدف على طول التاريخ و خلال فترة مُعيّنة من الزمن، و في نهاية الأمر ستثمر كلّ تلك الجهود التي بُذلت على مدى الزمن كلّه، و ليس ما سيحدث في عصر الظهور إلّا نتيجة تلك الجهود و المساعي المتراكمة التي كانت موجودة بالفعل في قلب جبهة الحقّ منذ البدء.

ربّما طرح أحدهم هذا السؤال فيما يتعلّق بكلّ ما قيل حتى الآن، و هو: "لا شكّ في أنّ لكلّ نبيّ مسؤولية مُحدّدة تتعلّق بتربية الأفراد الذين أوكلوا إليه و هدايتهم و ذلك بحسب إمكانيّاته و طاقاته التي يمتلكها و كذلك وفق الشروط و الظروف التي كان عصره يقتضيها. و من الواضح أنّه لم تكن الظروف مهيّأة للأنبياء (عَليهم‌السّلام) لهداية جميع أفراد عصرهم، على سبيل المثال، فإنّ أبسط لوازم هذه

www.noormags.ir

المسؤولية الكبيرة هي إقامة العلاقات و الروابط، و نحن نعلم أنّه لم تكن هناك أيّ إمكانية في الأساس لأيّ نبيّ في إقامة العلاقات و الروابط مع جميع أفراد زمانه بالشكل الكامل في الأقلّ، و لهذا السبب لم توكل إلى جميع الأنبياء (عَليهمالسّلام) في الأساس أيّ مسؤولية عالمية بل كانت مسؤولية كلّ نبيّ بشكل أساس مقصورة على هداية و تربية الأفراد الذين كانوا حوله و في عُهدته، و في أقصى الاحتمالات يمكن القول أنّ الأنبياء (عَليهمالسّلام) كانوا موكّلين بهداية جميع أفراد البشر الذين كانوا في زمانهم و تأسيس مجتمع قائم على التعاليم الإلهية. لكن مع هذا كلّه، ثمّة تفاوت واضح بين الغاية المذكورة و تأسيس حكومة العدل العالمية في نهاية التاريخ، و بالتالي، لا يمكن القول بأنّ هدف جميع الأنبياء (عَليهمالسّلام) كان تأسيس حكومة العدل العالمية في نهاية التاريخ و أنّ جهودهم و مساعيهم جميعاً كانت تصبّ في تحقيق تلك الغاية".

الإجابة عن السؤال أعلاه هي ما يلي: أوّلاً، القول بأنّ جميع الأنبياء (عَليهمالسّلام) لم يكونوا يحملون مسؤولية عالمية لا يعني أنّهم لم يكونوا يسعون إلى الهدف المذكور، فعلى الرّغم من كون الإنسان عاجز عن أن يخطو خطوة واحدة في المجال العمليّ إلّا بمقدار طاقته و بحسب الظروف المهيّأة له، لكن و فيما يتعلّق بمسألة تعيين الأهداف و تحديد التصوّرات فإنّه لا ضرورة تحتّم عليه التقليل من أهدافه تلك أو التنازل عن أهداف سامية و غايات عالية أخرى، إنّ على كلّ إنسان أن يمتلك أهدافاً سامية و غايات عُليا ثمّ العمل وفق إمكانيّاته و طاقاته. و توضيح ذلك هو أنّه قد تكون لدى الفرد أهدافاً متعالية و يكون بلوغ تلك الأهداف بحاجة إلى الظروف و الإمكانيّات اللازمة التي قد لا تكون متاحة له، ففي هذه الحالة يمكن التغاضي عن ذلك الهدف السامي و الاكتفاء بالوصول إلى سفحه بدلاً من قمّته الشامخة، أو يمكنه عدم التخلّي عن هدفه فيضع البرامج الطويلة الأمد لبلوغ ذلك الهدف السامي و تقديم الخطوات في الوقت الحاضر باتّجاه الهدف المنشود بحيث تكون خطواته الحالية و عمله الحاضر جزءاً مُكمّلاً في اللوحة المرسومة لذلك الهدف في المستقبل.

من الواضح أنّ الفرض الثاني أكثر حكمة و أقرب إلى المنطق، و عليه، فإنّه لو قُدّر للأنبياء (عَليهمالسّلام) أن يخطوا بقدر إمكانيّاتهم و بحسب الظروف المتاحة لهم فإنّه لا يمكن الاستنباط من ذلك أنّه لم تكن لديهم أهدافاً سامية أو إنّهم لم يخطوا باتّجاه تلك الأهداف. إنّ مشيئة الله (عَزّوجَلّ) في عدم إناطة مسؤولية عالمية لجميع الإنبياء (عَليهمالسّلام) و قيامه سبحانه بتحديد مسؤولية كلّ منهم ضمن البيئة التي كانوا يعيشون فيها، هذا التدبير الإلهيّ منسجم و متوافق تماماً مع القاعدة الكليّة القائلة بضرورة أن تكون المسؤولية على مستوى الإمكانيّات، و ليس معنى ذلك أنّ

www.noormags.ir

الله تعالى قد تغاضى عن بعض جزئيات الهدف الأسمى أو التنازل عن بعضها الآخر.

وبناءً على ذلك فإنّ مسؤولية الأنبياء (عَليهم‌السّلام) كانت تتمثّل في هداية جميع البشر إلى عبودية الله، بما فيهم الأفراد الذين كانوا مُعاصرين لهم و موجودين معهم و كذلك الأفراد الذين لم يكونوا ضمن بيئتهم؛ فلم يكن هدف الأنبياء (عَليهم‌السّلام) مجرّد تربية أفراد البشر بل كانوا يسعون إلى إيجاد مجتمع عالميّ صالح يكون وصل إلى التكامل في جميع أبعاده.

لكن و بالنظر إلى الظروف التي كانت متاحة فإنّ تحقّق مثل ذلك الهدف لم يكن يسيراً، و مع ذلك فإنّه يمكن وضع برنامج طويل الأمد، و يمكن تنشئة أفراد مؤمنين و تربيتهم بالشكل المطلوب فيقوم هؤلاء بنقل مدّخراتهم و ما تعلّموه إلى الجيل التالي و السير في طريق التكامل و تهيئة جميع المستلزمات و عوامل القوّة التي تتطلّبها جبهة الحقّ شيئاً فشيئاً، و هكذا يمكن دفع عجلة جبهة الحقّ إلى الأمام حتى يتمّ في النهاية تأسيس مجتمع العدل العالميّ على النّحو المطلوب.

وعليه، إذا كان هذا الهدف صعب المنال في عصر الأنبياء (عَليهم‌السّلام) و أنّ تحقيقه لا يكون إلّا على المدى البعيد فإنّ ذلك يكفينا للقول بأنّ الأنبياء (عَليهم‌السّلام) كانوا قد وضعوا البرنامج الخاصّ بتحقيق ذلك الهدف على المدى البعيد و أنّ مساعيهم و جهودهم كانت تصبّ في هذا المسار كذلك، و أنّ الخطوات التي خطوها كانت لا محالة باتّجاه تحقيق هذا الهدف التاريخيّ، و هذا بالضبط ما نسمّيه بدور الحركة التاريخية للأنبياء (عَليهم‌السّلام) في الحكومة العالمية ما يعني وجود هدف واحد بالنسبة لجميع الأنبياء (عَليهم‌السّلام) و أنّ جهودهم جميعاً كانت تصبّ في سبيل تحقيق الهدف المذكور في نهاية التاريخ.

وأمّا القول بأنّ هدف الإمام المهدي(عج) هو نفس الهدف الذي كان لدى الأنبياء (عَليهم‌السّلام) و أنّه(ع) سيكون المؤسّس و المُحقّق لرغبة الأنبياء (عَليهم‌السّلام) على مرّ التاريخ، فيمكن توضيح هذا الكلام بالشكل التالي:

هنالك الكثير من الآيات القرآنية التي تتحدّث عن الهدف من بعثة الأنبياء (عَليهم‌السّلام) إلّا أنّ أهمّ النقاط الواردة في القرآن الكريم التي تشير إلى الهدف من تلك البعثة هي ما يلي:

أ) عبادة الله الواحد و تجنّب الطاغوت

من بين الأهداف الأساسية لبعثة الأنبياء (عَليهم‌السّلام) دعوة الناس جميعاً إلى عبادة الله الواحد و اجتناب الطاغوت و كلّ المظاهر الخاصّة به؛ قال تعالى: {وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ و اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَىٰ اللَّهُ و

www.noormags.ir

مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ...}.[١] و قد أشار القرآن الكريم مراراً و تكراراً إلى هذا الهدف و من جملتها الآيتيْن الشريفتيْن التاليتيْن:

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}؛[٢]

{وَ إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}.[٣]

ونفس العبارات القرآنية وردت كذلك فيما يتعلّق بأنبياء آخرين مثل صالح و شُعيب (عَليهما السّلام)، و جاء في عدد آخر من الآيات القرآنية التي تحدّث عن سائر أنبياء الله تعالى أنّ الهدف الرئيس من بعثتهم هو عبادة الله تعالى الواحد، و منها الآيات التالية: الآية (٢١) من سورة البقرة، الآية (٣٦) من سورة النساء، الآيتان (٧١) و (٧٢) من سورة المائدة، الآيات (٥٠) و (٦١) و (٨٤) من سورة هود(ع)، و الآية (٣٦) من سورة النّحل، و الآية (٧٧) من سورة الحجّ، و الآيتان (٢٣) و (٣٢) من سورة المؤمنون، و الآية (٤٥) من سورة النّمل، و الآيتان (١٦) و (٣٦) من سورة العنكبوت.

وبإمعان النظر في الآيات القرآنية يتّضح لنا أنّ الهدف المذكور سيتحقّق بشكل كامل في عصر الظهور حيث سيتمّ سحب البساط تماماً من تحت أقدام المشركين على وجه البسيطة. يقول الله سبحانه في الآية (٥٥) سورة (النور) بشأن هذه الواقعة: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ و عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ و لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ و لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا و مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}؛ يُستفاد من استخدام كلمة {شَيْئًا} بصيغة النكرة و صيغة النّفي في قوله سبحانه {لَا يُشْرِكُونَ} أنّ المؤمنين الصالحين في ذلك المجتمع الموعود سيعبدون الله (عَزّوجَلّ) بإخلاص و لن يُشركوا به شيئاً إطلاقاً، لا شركاً جليّاً و لا شركاً خفيّاً، و أنّه لن يُعبَد في ذلك المجتمع سوى الله تعالى. و عندما نقوم بمقارنة الآية الشريفة أعلاه و قول الله سبحانه: {وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا و هُمْ مُشْرِكُونَ}[٤] نفهم أنّ الإيمان المقصود في الآية الشريفة المذكورة هو نهاية الإخلاص و الشفافيّة.

هذا و قد أيّدت الروايات الواردة عن الأئمّة المعصومين (عَليهمالسّلام) هذا المعنى كذلك، فعلى سبيل المثال، ورد عن الإمام الصّادق(ع) قوله في تفسير الآية الشريفة أعلاه: «لم يجيء تأويل هذه الآية، و لو قامَ قائِمنا بعد، سيرى مَن يُدركه ما

---

١. سورة النحل، الآية ٣٦.
٢. سورة الأعراف، الآية ٥٩.
٣. سورة الأعراف، الآية ٦٥.
٤. سورة يوسف (عَليهالسّلام)، الآية ١٠٦.

www.noormags.ir

يكون من تأويل هذه الآية، و ليبلغنّ دين محمد صلى الله عليه و آله ما بلغَ الليل، حتى لا يكون شرك على ظهر الأرض، كما قال الله تعالى: {يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً}».[1]

وقال تعالى في الآية (٣٩) من سورة (الأنفال): {وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ و يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، فعن الإمام الباقر(ع) أنّه قال في تفسير الآية الشريفة أعلاه: «لَمْ يَجِئْ تَأْوِيلُ هذِهِ الْآيَةِ بَعْدُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و آله رَخَّصَ لَهُمْ لِحَاجَتِهِ و حَاجَةِ أَصْحَابِهِ، فَلَوْ قَدْ جَاءَ تَأْوِيلُهَا لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ، و لكِنَّهُمْ يُقْتَلُونَ حَتّى يُوَحَّدَ اللَّهُ عَزَّ و جَلَّ، و حَتّى لَا يَكُونَ شِرْكٌ».[2]

ب) إقامة القسط

تشير بعض الآيات القرآنية إلى أنّ الهدف من بعثة الأنبياء و إرسال الرّسل (عَليهم‌السّلام) و إنزال الكُتب السماوية هو تحقيق القسط و العدل بين الناس، و في ذلك يقول الله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ و أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ و الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ..}،[3] من الواضح أنّ الهدف المذكور لم يتحقّق على المستوى العالمي و بشكله الكامل في عصر أيّ نبيّ من أنبياء الله سبحانه، لكن، و بالاستناد إلى نبوءآت الأئمّة المعصومين (عَليهم‌السّلام) فإنّ هذا الهدف سيتحقّق في عصر الظهور، و في الأساس فإنّ مسألة تعميم العدالة و استئصال الظلم في عصر الظهور وردت في الكثير من الروايات حتى أضحت واحدة من أهمّ مظاهر الحكومة العالمية للإمام المهدي(عج).

ينقل لنا الإمام الحسين(ع) عن جدّه الرسول الأعظم(ص) قوله: «لَو لَم يَبْق مِن الدّنيا إلّا يَومٌ واحدٌ لَطَوّل اللّهُ عَزّ و جَلّ ذلك اليومَ حَتى يَخْرج رَجلٌ مِن ولدي، فَيَملأُها عَدْلاً و قِسْطاً كَما مُلِئَت جَوْراً و ظُلْماً، كذلك سَمعتُ رَسولَ الله يَقول».[4]

لا شكّ أنّ ما مضى قائم على تفسير هذه الآية الشريفة في قوله تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ و أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ و الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ..}، فإذا كان هذا هو معنى الآية و تفسيرها فإنّه بالإمكان اتّخاذها شاهد على ما قلناه إلى جانب الروايات الواردة و التوضيح الذي مرّ بنا؛ لكنّ الآية الشريفة المذكورة تتضمّن احتمالاً آخر و معنى غير الذي ذكرناه و هو: إنّا أرسلنا الأنبياء و الرّسل بالبيّنات و الكُتب و الميزان لإقامة القسط في نهاية الأمر؛ أي أنّ الهدف واحد من

---

١. العياشي، بدون تاريخ: ج٢، ٥٦.
٢. الكليني، ١٣٦٧: ج٨، ٢٠١.
٣. سورة الحديد، الآية ٢٥.
٤. الشيخ الصدوق، ١٣٦٣: ٣١٨.

www.noormags.ir

بعثة كلّ أولئك الأنبياء (عَليهم‌السّلام) و هو إقامة القسط و العدل بين الناس في نهاية التاريخ. فهذا التفسير يبيّن لنا أنّ إقامة القسط هو الهدف الذي سيتحقّق في النهاية و ما بعثة الأنبياء و الرّسل (عَليهم‌السّلام) إلّا لتحقيق الهدف المذكور. فإذا كان هذا هو المعنى المقصود فإنّ دلالته على القول المذكور ستتّضح أكثر و عندئذ لا حاجة بنا إلى الاستعانة بالروايات المتعلّقة بهذا الأمر.

ج) الإشارة إلى اليوم الموعود في الأديان السابقة

يُستفاد من آيات القرآن الكريم أنّ الكُتب السماوية التي سبقته أشارت كذلك إلى مسألة المهديّ الموعود و تطرّقت إلى هذا الموضوع من جوانب متعدّدة؛ قال تعالى: {وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}[1] و قال سبحانه أيضاً: {قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ و اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ و الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.[2] و رُوي عن الإمام الباقر(ع) في تفسيره للآية الثانية قوله: «وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيٍّ (ع): {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ و الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}، أَنَا و أَهْلُ بَيْتِيَ الَّذِينَ أَوْرَثَنَا اللَّهُ الْأَرْضَ، و نَحْنُ الْمُتَّقُونَ، و الْأَرْضُ كُلُّهَا لَنَا».[3]

لاحظ أنّه لا يمكن اعتبار هذه الآيات بمنزلة وعد لأولئك الذين عاشوا قبل تحقّق اليوم الموعود بآلاف السنين، و من الواضح أيضاً أنّه لا يمكن أن يكون لتحقّق اليوم الموعود الزاهر في نهاية التاريخ بالنسبة للأُمم التي عاشت قبل الإسلام، لا يمكن اعتبار ذلك لوحده بمنزلة وجه معقول إلّا إذا كان ذلك الوعد مصحوباً بنظرة تاريخية طويلة الأمد، فإذا كان تصوّرنا عن ذلك الوعد هو أنّ البشرية تمثّل سلسلة متّصلة ببعضها و أنّ الأنبياء (عَليهم‌السّلام) كذلك كان لهم التصوّر نفسه عبر التاريخ و كان تحقّق حكومة العدل العالمية حاضراً على رأس أهدافهم و أُمنياتهم و كانوا جميعاً يخطون باتّجاه الهدف المذكور و يسعون إلى تحضير أُممهم من أجل بلوغ ذلك الهدف السامي، إذا كان الأمر كذلك، فإنّ وعد الأُمم السابقة باليوم الموعود سيبدو منطقياً أكثر من ذي قبل.

د) آخر الحكومات

رُوي عن الإمام الباقر(ع) أنّه قال: «دَولتُنا آخِر الدّوَل، و لَن يَبْقَ أهلُ بَيت لَهم دَولة إلّا مَلَكوا قَبْلَنا لِئَلّا يَقولوا إذا رَأوا سِيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، و

---

١. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.
٢. سورة الأعراف، الآية ١٢٨.
٣. الكليني، ١٣٦٧: ج١، ٤٠٧.

www.noormags.ir

هو قول الله عزّ و جلّ: {وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}».[1] و بالاستناد إلى كلام الإمام الباقر(ع) فإنّ السرّ في تأخير دولة آل‌البيت (عَليهم‌السّلام) حتى نهاية التاريخ و الدّول هو بيان عجز تلك الدّول و ضعفها و عدم قدرتها على استخدام أسلوب حُكم يشبه ذلك الذي اعتمده و سيعتمده آل‌البيت (عَليهم‌السّلام) في آخر الأمر و هذا يعني أنّ هذه النهاية كانت موضع اهتمام الله (عَزّوجَلّ) منذ البدء و جزءاً مهمّاً من برنامجه في اليوم الأوّل للخليقة و قيادة التاريخ من خلال سُنّته تعالى إلى حيث تنكشف عندها حقيقة جميع التيارات و تتّضح بواطنها و أسرارها، و عندئذ ستقوم دولة آل‌البيت (عَليهم‌السّلام) التي ستتّخذ العدالة و الفضيلة محوراً رئيساً لها لكي يتمّ على يدهم تحقيق أماني البشرية على أفضل وجه.

هذا، و يمكن للرواية المذكورة أعلاه أيضاً أن تكون ترجماناً للآية الشريفة من قوله تعالى: {وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...}[2] و أنّ تيّار اختلاف الدّول هذا له مَن يُديره و أنّه باختصار تدبير إلهيّ محض، تدبير سينتهي في آخر المطاف بإذن الله (عَزّوجَلّ) و إرادته نهاية طيّبة و سعيدة متوّج بتأسيس حكومة إلهية كاملة لا نَقص فيها. و بناءً على ذلك فإنّ كلّ الدّول التي كانت تتأسّس و تلك التي تهوي و تسقط على مرّ التاريخ إنّما كان ذلك بتدبير إلهيّ يُراد به هداية ذلك التيّار بشكل تدريجيّ و قيادته نحو الغاية الإلهية.

ثمرة الإيمان بالدّور الفعّال للأنبياء في حكومة العدل العالمية

إذا استطعنا أن نثبت دور الحركة التاريخية للأنبياء (عَليهم‌السّلام) في تشكيل حكومة العدل العالمية عندئذ سيكون بإمكاننا إيجاد الحلول و الإجابات الجديدة المطلوبة و الأقرب إلى المنطق عن الأسئلة و المسائل المتراكمة منذ القِدَم المتعلّقة بالمعارف المهدوية، و بإمكان هذا كلّه أن يكون قرينة بحدّ ذاته يؤيّد ما ذكرناه آنفاً. و من المسائل و الاستفسارات المذكورة ما يلي:

١. مسألة اليأس و القنوط

لا ريب في أنّ ظمأ المُنتظِر لن يرويه إلّا لقاء المُنتَظَر كما لا يمكن مُعالجة آلام الانتظار إلّا بالوصال؛ و على هذا، فإنّ نتيجة الانتظار من دون لقاء و وصال لن تكون سوى التّعب و القنوط، و فيما يخصّ مسألة انتظار المهديّ الموعود(عج) فإنّها ليست مُستثناة من هذه القاعدة أيضاً؛ فعندما أجلس أنا المُنتظِر و أتأمّل

١. الشيخ الطوسي، ١٤١١: ٤٧٢ – ٤٧٣.
٢. سورة آل‌عمران، الآية ١٤٠.

www.noormags.ir

عشرات الأجيال التي سبقتني و عاشت قبلي فأرى ليلها الطويل لم ينجلي بالفجر الموعود و الهجران الذي عاشته لم ينتهي بالوصال المنشود، عندئذ سيعتريني إحساس غريب و ينتابني شعور رهيب و هو أنّ حظّي لن يكون أفضل من أولئك و أنّ ما حدث لهم ربّما يحدث لي كذلك، و أنّني سأودّع هذه الدنيا و أغادرها حاملاً معي عالماً من الأمنيات و قدراً عظيماً من الانتظار و التأمّل قبل أن تكتحل عيناي برؤية ذلك اليوم العظيم؛ لا شكّ في أنّ ذلك سيعصر قلب كلّ واحد من المنتظرين و ستظلّ هذه المأساة تشغل أذهانهم و تُحزن قلوبهم و تؤلم أفئدتهم، فيروا طريق الانتظار وعراً مملوءاً بالأشواك لا يمكن اجتيازه بأيّ شكل من الأشكال؛ لكن، هنالك العديد من الطرق و الأساليب لحلّ هذه المشكلة:

١. يمكن أن نقول بأنّنا _ نحن العابدين _ في حال الانتظار و هذا أمر حسن فقد أشار الأئمّة المعصومون (عَليهمالسّلام) في الكثير من أحاديثهم إلى فضائل الانتظار و ثواب المُنتظرين، و عليه، فإنّه حتى لو مرّت مئات الأجيال و انقضت الدهور و لم نشهد شيئاً عن اليوم الموعود، فإنّ المنتظرين لن يُبخسوا ثوابهم بسبب انتظارهم، و يمكن لذلك أن يكون سبباً لتخليصهم من اليأس الذي أصابهم لطول الانتظار و تطاول الغيبة. إنّ هذا المقدار من الجواب و إن كان صحيحاً إلّا أنّه لا يمثّل الجواب كاملاً إذ ما زلنا نطرح السؤال التالي على أنفسنا: "هل يوجد بالفعل أيّ واقع أو حقيقة وراء هذا التعبّد بالانتظار أم لا؟"، "أليس ثمّة تحليل أو تفسير وراء ذلك كلّه و لذلك لا يمكن الإشارة إلى أيّ أصول أو مقاصد حكيمة له؟"

٢. يمكن القول أيضاً أنّ الانتظار لا يقود إلى اليأس و ذلك لوجود هذا الأمل دائماً و هو إمكانية وقوع الظهور في أيّ وقت أو زمن، و هذا _ كما هو واضح _ كاف للتخلّص من اليأس و القنوط و على الرّغم من أنّ هذا الجواب كذلك صحيح، لكن، أنّى للمؤمنين الضعفاء و المتوسطين أن يقاوموا و يثبتوا و هم يرون بأمّ أعينهم سلسلة الأجيال البشرية و قد انقرضت و امّحت آخِذة أمنية الانتظار و رؤية اليوم الموعود معها إلى القبر فلم تر أمارة تدلّ على الفرج و لا علامة تشير إلى النهاية؛ أنّى لمثل أولئك الصّمود بوجه كلّ هذا الكمّ الهائل من اليأس بمجرّد إقناعهم بالتحلّي بالصّبر على أمل أن يشهدوا الحَدث الذي لا يبدو تحقّقه التاريخيّ في الظاهر قريباً على أقلّ تقدير؟

٣. يمكن حلّ المشكلة أعلاه أيضاً بالشكل التالي: إنّني باختصار مُنتظر للظهور لأنّني أنا المُستفيد من ذلك و بحاجة إلى الوصول إلى شاطئ الأمان _ كما يُقال _ و كذلك لكي تُحَلّ جميع مشاكلي، و لهذا أحاول إقناع نفسي بأنّ الظهور سيكون في

www.noormags.ir

حياتي و أنّه إذا لم يحصل ذلك بالفعل فقد أخسر كلّ شيء و سأُصاب باليأس و القنوط إذا ما طال أمد الغيبة لأنّني اعتبر نفسي محوراً في هذه المسألة لذلك أقوم بمقارنة كلّ شيء بي أنا، و ما لم أحصل على ما أريد و أصل إلى بُغيتي من ذلك فإنّي لا أرى أيّ فائدة تُذكَر من الإيمان بوجود ذلك الانتظار و تأمّله و توقّعه أو عدمه.

وإذا نظرنا إلى الأمر من زاوية أخرى، سنرى أنّ هدفنا منذ البدء كان هدفاً طويل الأمد يتطلّب انقضاء عدد كبير من الأجيال، و ليس هناك ما يُقلقنا أكثر من هذا الأمر و هو انتصار الحقّ في نهاية الأمر و قيام عشاق النور في نهاية التاريخ بتأسيس حكومة وسعها الأرض و ما فيها فيملأوا نفوس عباد الله تعالى و أعماقهم بالعبودية الحقّة، إذن، علينا أن نفهم و نَعي أنّ هدفاً عظيماً و سامياً كهذا لا يمكن أن يتحقّق بسهولة بل لا بدّ من أن نتهيّأ جميع مستلزماته بالمستوى الذي يليق به، و عليه، سأجلس و أنتظر على أساس هذا المنطق و التصوّر و أسعى إلى القيام بالعمل الذي يتناسب و هذا الحدث العظيم.

لا بدّ لكلّ منّا أن يعتبر نفسه _ وفق المنطق و التصوّر المذكوريْن _ عضواً في هذه الجبهة الإلهية، و هي الجبهة التي ضمّت في أحضانها كلّ مؤمني العالم و صلحائه منذ بدء الخليقة و كان الأنبياء و الأولياء (عَليهمالسّلام) قادتها و أئمّتها، و أنّ لتلك الجبهة هدفاً تاريخياً بالتأكيد و قد وضعت البرامج و المشاريع اللازمة لها من أجل الوصول إلى ذلك الهدف، لذلك نراها تتحرّك باستمرار دون توقّف و تبذل قصارى جهدها و هي في كلّ يوم تخطو باتّجاه الهدف المذكور و تقترب منه أكثر فأكثر.

إنّني و من خلال انتمائي إلى تلك الجبهة و أفرادها أعتزم اقتفاء نفس الهدف الذي تقتفيه الجبهة و أُفني ذاتي و إرادتي في صلب تلك الجبهة، فالمهمّ بالنسبة لي هو تحقيق ذلك الهدف النهائي التي تنشده جبهتي. إنّني أتطلّع إلى أن يقع ذلك الحدث و قد تحقّق ذلك الهدف التاريخيّ على أفضل نحو و إن أصابني الضّرر في الظاهر، رغم أنّه لا وجود لأيّ ضرر على الإطلاق فعندما تكون خطواتي كلّها في مسار الهدف التاريخيّ فإنّ كلّ جهد أبذله في يومي يُبيّن لي النتيجة الإيجابية لذلك الجهد.

إنّني _ و من خلال هذه النظرة _ أراني أتدرّج في سلّم المجد و الفلاح بمقدار الجهد الذي أبذله في هذه الحركة التاريخية و أحصل على التوفيق و السؤدد بحسب ما أقدّمه من السّعي و المثابرة؛ و في هذه النظرة لا وجود لأيّ يأس أو قنوط، فاليأس لا يعتري أحداً إلّا إذا شعر أنّ جهوده و مساعيه تذهب سدى، أو كان يتوقّع الفشل في الوصول إلى هدفه، فإذا لم يضحَ بعد ذلك المحور الذي تصوّره و لم يكن

www.noormags.ir

هدفه هو تحقّق الظهور في حياته و الاستفادة من ذلك، فلماذا يصل إلى اليأس مع أنّ هدفه منذ البدء كان هدفاً سامياً طويل الأمد لا يتحقّق إلّا بعد انقضاء التاريخ، و لم يكن منذ البدء يركّز على نفسه وحدها بل كان ينتظر تأسيس حكومة العدل في نهاية التاريخ، و كان يبذل جهوده من أجل ذلك الهدف التاريخيّ و يحاول تهيئة الظروف و تحضير المستلزمات الخاصّة بتأسيس تلك الحكومة و كان كلّ يوم يقترب خطوة نحو تحقيق تلك الأمنية؟

إذن، فعندما يكون الجهد الذي نبذله اليوم مؤثّراً في عملية تحقيق الهدف النهائيّ _ و إن لم يحدث ذلك في زماننا _ و كان ذلك الجهد جزءاً من القاعدة التي سيقف عليها ذلك الهدف في وقته المُعيّن له، فإنّ ذلك يعني أنّ جميع جهودنا كانت مفيدة و أنّنا سنصل إلى هدفنا المتمثّل في المشاركة في هذه الحركة التاريخية و قيام كلّ واحد منّا بمسؤوليّته؛ و هكذا، فإنّه ما من سبب يدعونا إلى الركون إلى اليأس و التشبّث بالقنوط.

عندما يقوم كلّ منّا بالدّعاء لتعجيل الفرج و الظهور و ينظر بعين الشّوق و الأمل إلى تحقّق ذلك اليوم الموعود فإنّ هذا لا يعني أن ينتفع هو من ذلك بل لأجل تحقّق الهدف طويل الأمد و الحصول على النتيجة المطلوبة في أسرع وقت ممكن، و ليس الهدف من ذلك الدعاء و الاشتياق هو الاستعجال في وقوع الحدث فالمطلوب ليس تحقّق الظهور بأيّ ثمن كان، بل إنّ ما يسعدنا و يجلب لنا الخير هو تحقّق تلك الأمنية في زمان يكون قد بلغ فيه ذلك الهدف السامي أعلى درجاته و أسمى مواصفاته و أن تستفيد جبهة الحقّ من هذا الحدث إلى أقصى الحدود؛ و عليه، فإذا كانت المصلحة تقتضي أن تمرّ قرون أخرى و تنقضي أزمان عديدة حتى تصبح الظروف الخاصة بظهور الحقيقة و تحقّق العبودية الحقّة في أروع صورها و حالاتها، فلا بدّ لنا من قبول هذا الأمر و الإذعان لهذه الحقيقة بكلّ جوارحنا.

من الواضح أنّ هذه النظرة تتجاوز كلّ الحدود الزمنية و الجغرافية و ترى أنّ كلّ المؤمنين و المنتظرين لليوم الموعود يقفون جنباً إلى جنب في جبهة واحدة يحدوهم هدف واحد، فهذا الذي يعيش في الوقت الحاضر يشبه تماماً ذلك الذي عاش في عصر البعثة لأنّ كليهما يسير تحت راية و قيادة الأنبياء و الأوصياء (عَليهم‌السّلام) و يحمل هدفاً واحداً و لكلّ منهما أمل واحد يقوده في الخطو في طريق تحقيق الهدف، فكلّ جهد يبذلانه في هذه الجبهة سيهيّئ قسماً من المقدّمات الخاصّة بذلك الهدف النهائيّ و يكون حجراً مرصوفاً إلى جانب الأحجار الأخرى في صرح الهدف الغائي. و عليه، لا فرق بين مؤمن كان يعيش في عصر البعثة و الجهاد الذي قدّمه في سبيل إكمال تعبيد الطريق، و بين مؤمن آخر سيعيش في آخر الزمان و يُكمل بناء جزء آخر من ذلك الطريق فكلّ تلك الأجزاء ستُجمع في النهاية

www.noormags.ir

إلى بعضها و ستشكّل بمجموعها البناء الذي يتطلّبه الهدف المنشود، و لعلّ هذا هو السبب في تشبيه بعض الروايات المنتظرين لهذا الأمر بالمجاهدين مع الرسول الأعظم(ص).

٢. شبهة عجز الأنبياء (عَليهم‌السّلام)

وأمّا الثمرة الأخرى التي يمكن الحصول عليها من خلال النظرة التاريخية إلى فكرة المهدويّة فهي الإجابة عن الشبهة القائلة بعجز أنبياء الله (عَليهم‌السّلام) في إدارة المجتمع البشريّ، فقد ادّعى بعضهم _ بالاستناد إلى رسالة الأنبياء و إقرار العدل و عدم نجاحهم في القيام بمهامّ تلك الرسالة على النّحو المطلوب _ عجز الأنبياء (عَليهم‌السّلام) عن إدارة المجتمع الإنسانيّ؛ يمكن الإجابة عن هذه الشبهة بأساليب متعدّدة، إلّا أنّنا سنركّز ههنا على الإجابة من الزاوية التاريخية إلى الظهور.

إذا اعتبرنا هدف الأنبياء (عَليهم‌السّلام) هدفاً مرحلياً و مؤقّتاً فربّما تصوّرنا أنّهم عجزوا بالفعل عن الوصول إلى هدفهم، لكن إذا كان تصوّرنا مبنيّاً، من جهة، على أنّ الأنبياء (عَليهم‌السّلام) كانوا يسعون إلى إقامة حكومة العدل العالمية التي تمكّن جميع أفراد البشر من الوصول إلى الفلاح و النُّضج المطلوبيْن و أن تزدهر طاقات البشر في جميع المراتب و الجوانب، و من جهة أخرى، أنّ الأنبياء (عَليهم‌السّلام) كانوا يعلمون بأنّ تحقيق هذا الهدف يتطلّب خطوات كبيرة و متطاولة و تحضيراً و استعداداً لتهيئة الأُسس اللازمة له، و كان لا بدّ للعديد من الأنبياء و الأوصياء (عَليهم‌السّلام) و المؤمنين من بذل الجهود الحثيثة و أنّه سيتمّ جَني ثمرة تلك الجهود و المساعي في نهاية الأمر، إذا كان هذا هو تصوّرنا لرسالة الأنبياء و مساعيهم فإنّه لا مجال حينئذ للحديث عن فشلهم أو ضعفهم في الإدارة لأنّ هذا التصوّر يبيْن لنا أنّ حكومة العدل العالمية الموعودة التي سيتمّ تشكيلها في آخر الزمان هي الهدف الذي سعى جميع الأنبياء (عَليهم‌السّلام) إلى إيجاد أُسسه بمجاهداتهم و مثابرتهم، و أنّ ما سيحدث في نهاية التاريخ إنّما هو حاصل تلك الجهود و المساعي التي بذلها الأنبياء و الأولياء (عَليهم‌السّلام) على مرّ التاريخ، و عليه، فجميع الأنبياء (عَليهم‌السّلام) كانوا موفّقين في أداء مهامّ رسالاتهم و أنّ كلّ جهودهم و مساعيهم تكلّلت بالنجاح لا محالة.

٣. إيقاظ شعور المؤمنين بالمسؤولية

وأمّا الثمرة الثالثة التي تمنحنا إيّاها هذه الرؤية هي بيان المكانة التاريخية الحسّاسة و المهمّة التي يحتلّها المؤمنون و تعرّفهم على المسؤوليات الكبيرة التي أوكلت إليهم في كلّ مرحلة من المراحل بشكل واضح. فمن خلال هذه النظرة يدرك

www.noormags.ir

كلّ مؤمن أنّ هذه المائدة المعدّة له ليست بفضل جهود آبائه و أجداده فحسب، بل هي ثمرة الجهود و المساعي التي بذلها جميع الأنبياء (عَليهمالسّلام) منذ أبينا آدم(ع) إلى الرسول الخاتم(ص) و كذلك جميع المؤمنين و المؤمنات على مدى التاريخ؛ و أنّه مجرّد عضو في جبهة يشارك فيها جميع الأنبياء و أولياء الله (عَليهمالسّلام) في تحقيق انتصاراتها و نجاحاتها، و أنّ أيّ ضعف أو تقاعس يصدر عنه في أداء المسؤوليات المخوّلة إليه من شأنه أن يتسبّب في دحر تلك الجبهة و إخفاق جيوشها التي قادها الأنبياء و أوصيائهم.

ومن خلال هذه النظرة إزاء الحركة التاريخية للأنبياء فإنّه ليس باستطاعتي أن أدّعي امتلاك ما حصلت عليه حتى الآن أو اعتبر نفسي حُرّاً في التصرّف بذلك كيف أشاء، أو أسمّي نفسي مالكاً و مختاراً مطلقاً و أسهم في هذه العملية بالطريقة التي تحلو لي لأنّ ما وصل إليّ _ بدءاً بمكانة الإسلام العزيز و منزلته السامية و قدرته العالية و انتهاءً بالمعارف و التعاليم التي وصلتني عن الأئمّة المعصومين (عَليهمالسّلام) و الكيان الشيعيّ بأكمله القائم على قواعد الإيمان بمعارف آلالبيت (عَليهمالسّلام) و كذلك القدرة و العظمة اللتيْن اتّصف بهما هذا الكيان الشامخ على مرّ التاريخ بما في ذلك مجموعة التراث الثقافيّ و المعنويّ الذي خلّفه لنا الماضون _ هو حاصل الجهود العظيمة التي بذلها أعضاء جبهة الحقّ طيلة المراحل التاريخية، و أنّنا نغترف من مائدة بذل من أجل إعدادها القديسون و الصالحون دماءهم الزكية، و عليه، لا يحقّ لي التصرّف بهذا التراث العظيم كيفما يحلو لي من دون مُراعاة هذه العقبة بأيّ شكل من الأشكال، فالاهتمام بهذا الواقع و الاعتراف به و مُراعاته يحمّلني مسؤولية الحفاظ على ذلك التراث القيّم و المحافظة عليه كما يحتّم عليّ نَقله بتمامه و كماله إلى الأجيال الأخرى. إنّني من خلال هذه النظرة لستُ سوى حلقة وسيطة يتوجّب عليّ تحمّل مسؤولية المحافظة على هذه الأمانة الكبيرة كما أنّني أمثّل حلقة الوصل بين الماضين من قبلي و الآتين من بعدي و التي تحمل على عاتقها مسؤولية خطيرة تتمثّل في نقل تلك الأمانة إلى الأجيال الأخرى بالشكل الصحيح و من دون أيّ تقصير.

بعبارة أخرى، و بعدما اتّخذ تيار الهداية الذي قاده الأنبياء (عَليهمالسّلام) قراره بالسير في طريق واحد للوصول إلى الهدف المنشود و أصبح جميع المؤمنين صفّاً واحداً يسير في تلك الجبهة باتّجاه ذلك الهدف و كان كلّ منهم يسير إلى جانب رفيقه و يخطو معه، و بدأت الجبهة تسير نحو هدفها بشكل تدريجيّ، كان لزاماً على كلّ جيل من المؤمنين أن يؤدّي دوره في هذه الحركة التاريخية بعد حصوله على الثمرات و النتائج التي خلّفتها له جبهته و المحافظة عليها، و أن يبذل ما يستطيع من الجهود لوضع أحجار الصّرح العظيم في أماكنها. و في حال حدوث أيّ

www.noormags.ir

خلل أو عيب في أيّ مرحلة أو مقطع زمنيّ خلال مسيرة تلك الحركة إلى الأمام أو استنكف أحد الأجيال عن المشاركة في تلك العملية أو تخلّى عن تحمّل مسؤولياته و الإسهام في دفع عجلة الجبهة إلى الأمام، فإنّ ذلك الجيل لن يتسبّب بالإضرار بنفسه هو وحده بل سيكون كذلك سبباً في فشل حركة جبهة الحقّ و إخفاقها في الوصول إلى هدفها، و بالتالي فإنّ على الجيل القادم أن يفعل ما بوسعه و يبذل جهوداً مضاعفة للتعويض عن تلك الخسارة، و قيامه بدوره على نّحو أفضل. هذا هو السبيل الوحيد الذي سيمكّن تلك الحركة التاريخية من مواصلة سيرها و متابعة طريقها بالشكل الطبيعيّ و الوصول إلى غايتها بنجاح.

ومن ناحية أخرى فإذا قام جيل من المؤمنين بحركة عظيمة و بذل جهوداً جبّارة فإنّه سيعمل على تسريع تلك الحركة و مضاعفة سرعتها و التعجيل في إيجاد الأسباب التي ستعمل على تحقيق أُسس و متطلّبات مجيء اليوم الموعود بشكل أسرع.

وبناءً على ذلك فإنّ هذه النظرة تبيّن لنا أنّ هذه الحركة التي تسير بكامل قدرتها و طاقتها إلى الأمام يمكن أن تُصاب في مرحلة تاريخية ما بالعطل و التوقّف بل و الرّجوع إلى الوراء كذلك، و في الوقت نفسه يمكنها أن تحظى بالقوة المطلوبة و تبلغ ذروة طاقتها و تسير بشكل متسارع إلى الأمام.

من الواضح أنّ هذه النظرة إزاء الظهور من شأنها أن تُضاعف المسؤولية الملقاة على كاهل المؤمنين إلى حدّ كبير فضلاً عن تعزيز معنويّاتهم و تقوية إرادتهم في أداء مسؤولياتهم التاريخية المناطة بهم على النّحو المطلوب.

إنّ ما ذكرناه حتى الآن لا يبلغ المرتبة التي أشار إليها قائد الثورة في كلامه الذي صرّح به في سنة (١٩٨٠م) بقوله:

«إنّ المجتمع المهدويّ هو ذلك العالم الّذي يأتي فيه إمام الزمان ليصلحه، و هو المجتمع نفسه الّذي ظهر من أجله جميع الأنبياء. أي إنّ كلّ الأنبياء كانوا مقدّمة لذلك المجتمع الإنسانيّ المثاليّ، و الّذي سيتحقّق في نهاية الأمر بواسطة وليّ العصر المهديّ الموعود. مثل بناءٍ شامخٍ، يأتي شخصٌ فيسطّح الأرض و يزيل عنها الأشواك و العوائق ثمّ يأتي شخصٌ آخر من بعده و يصنع فيها الأسس، ثمّ يأتي شخصٌ آخر ليضع فيها الأعمدة و الأركان، و هكذا شخصٌ بعد آخر، يأتون لعمارة الجدران حتّى يصل هذا القصر المرتفع، و هذا البنيان الرفيع إلى شكله النهائيّ. لقد جاء الأنبياء الإلهيّون، و منذ بداية تاريخ البشرية، واحداً بعد آخر، من أجل أن يقرّبوا المجتمع و البشريّة خطوةً أخرى نحو ذلك المجتمع المثاليّ و ذاك الهدف النهائيّ. لقد نجح جميع الأنبياء و لم يفشل أيّ واحدٍ من رسل الله على هذا الطريق، و في هذا المسير، لقد كان حملاً على عاتق هؤلاء المبعوثين الشامخين، و

www.noormags.ir

كلّ واحدٍ منهم تقدّم به خطوةً نحو المقصد و الهدف النهائيّ و سَعوا بكلّ جهدهم من أجل القيام بهذا العمل. و عندما كانوا يصلون إلى آخر حياتهم كان هناك من يأتي من بعدهم ليضع هذا الحمل على عاتقه و يتقدّم به مسافةً أخرى، مقترباً بذلك من ذلك الهدف. و وليّ العصر صلوات الله عليه، هو وارث جميع الأنبياء الإلهيين، فعندما يأتي ستكون الخطوة الأخيرة على طريق إيجاد ذلك المجتمع الإلهيّ»[١].

خلاصة البحث

بالاستناد إلى ما مرّ بنا يتّضح أنّ هنالك نظرتان حول الدور التاريخيّ للأنبياء (عَليهم‌السّلام) فيما يتعلّق بتحقيق حكومة العدل العالمية: النظرة الأولى تحاول إثبات هذا الدور الفّعال للأنبياء (عَليهم‌السّلام)، أمّا أصحاب النظرة الثانية فيدّعون أنّ الأنبياء (عَليهم‌السّلام) جميعاً كانوا يسعون على مرّ التاريخ لتحقيق الهدف النهائيّ. من الواضح أنّ القراءة التي تؤيّد النظرة الأولى لا تنفي النظرة الثانية في الوقت نفسه، يُضاف إلى ذلك أنّه يمكن على أساس النظرة الثانية وضع إجابات أقرب إلى المنطق عن بعض الأسئلة و الاستفسارات المطروحة بشأن فكرة المهدوية.

المصادر

- ابن أبي زينب، محمدبن إبراهيم، كتاب الغيبة، قم، منشورات (أنوار الهدى)، الطبعة الأولى،١٤٢٢ه.
- الخامنئي، السيدعلي، انسان ٢٥٠ ساله، طهران، منشورات (مؤسسة ايمان جهادى)، الطبعة الحادية و العشرون)، ٢٠١٤م.
- الصدر، السيدمحمد، تاريخ الغيبة الكبرى، قم، منشورات (ذوي القربى)، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ه.
- الشيخ الصدوق، محمدبن علي بن بابويه القمي (شيخ صدوق)، كمال‌الدين و تمام النعمة، قم، منشورات (مؤسسة النشر الإسلامي)، ١٩٨٤م.
- الطوسي، محمدبن الحسن، الغيبة، قم، منشورات (مؤسسة المعارف الإسلامية)، الطبعة الأولى، ١٤١١ه.
- العلامة الطباطبائي، السيد محمد حسين، شيعه در اسلام، قم، منشورات (دفتر انتشارات اسلامى)، الطبعة العشرون ٢٠٠٦م.
- العياشي، محمدبن مسعود، تفسير العياشي، طهران، منشورات (مكتبة العلمية الإسلامية).

١. الإمام الخامنئي، ١٣٩٢: ص٣٣٨-٣٣٧.

www.noormags.ir

- الكليني، محمدبن يعقوب، الكافي، طهران، منشورات (دارالكتب الإسلامية)، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

www.noormags.ir

دور الانتظار في تحقيق الأمّة الواحدة

الدكتور محمدمهدي حائري‌پور[1]

ملخّص

يُعتبر موضوع الانتظار في البحث الخاصّ بالمهدوية من أهمّ الموضوعات،كما أنّ التحرّك نحو تشكيل الأمّة الإسلامية الواحدة يمثّل أكبر هاجس لأئمّة الإسلام و مُفكّريه؛ و يمكن لهذا الهدف العظيم أن يتحقّق في ظلّ المشتركات العقائدية و الاهتمام بالتركيز على كلّ واحدة منها.

في هذه المقالة، يحاول كاتبها بيان العلاقة بين انتظار دولة المهدي(عج) _ موعود المسلمين _ و الأمّة الإسلامية الواحدة، و دراسة كيفية تأثير هذا العامل الاجتماعيّ المهمّ للغاية في مجتمع المسلمين الكبير.

الكلمات المفتاحية:

الانتظار؛ الإمام المهدي(عج)، الأمّة الواحدة؛ الانسجام الإسلاميّ.

مفهوم الانتظار

(الانتظار) في اللغة بمعنى التأمّل و الترقّب؛[2] يقول الموسوي الأصفهاني:

«و هو كيفية نفسانية ينبعث منها التهيّؤ لما تنتظره، و ضدّه اليأس، فكلما كان الانتظار أشدّ كان التهيّؤ آكَد. ألا ترى أنّه إذا كان لك مُسافر تتوقّع قدومه ازداد تهيّؤك لقدومه كلّما قَرُب حينه، بل ربّما تبدّل رقادك بالسُّهاد لشدّة الانتظار. و كما يتفاوت مراتب الانتظار من هذه الجهة، كذلك يتفاوت مراتبه من حيث حبّك لمن تَنتظره، فكلّما أشتدّ الحبّ ازداد التهيّؤ للحبيب، و أوجع فراقه بحيث يغفل المنتظر عن جميع ما يتعلّق بحفظ نفسه، و لا يشعر بما يُصيبه من الآلام الموجعة و الشدّايد

---

١. عضو الهيئة العلمية في مؤسسة (المستقبل المضيء) قم (mm.haeri313@gmail.com).

٢. دهخدا، ١٣٧٣: مادة «انتظار».

www.noormags.ir

المفظعة».[١]

هذا، و يُعدّ انتظار المهديّ الموعود(عج) في الفكر الشيعيّ _ بالمواصفات و التعاريف المُبيّنة بشأنه _ من الأصول و المبادئ العقائديّة المسلّمة بل و قد أكّدت الروايات المنقولة عن الأئمّة المعصومين (عَليهمالسّلام) على ضرورة ذلك و صرّحت به.

فعَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ7(ع) أَنَّهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ و جَلَّ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِهِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى! فَقَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ و أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ و رَسُولُهُ و الْإِقْرَارُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ و الْوَلَايَةُ لَنَا و الْبَرَاءَةُ مِنْ أَعْدَائِنَا يَعْنِي أئمة [الْأَئِمَّةَ] خَاصَّةً و التَّسْلِيمُ لَهُمْ و الْوَرَعُ و الِاجْتِهَادُ و الطُّمَأْنِينَةُ و الِانْتِظَارُ لِلْقَائِمِ...».[٢]

وعن عَبْدُ الْعَظِيمِ بْنُ عبدالله الْحَسَنِيُّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ (عَليهما السّلام) و أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنِ الْقَائِمِ7 أَهُوَ الْمَهْدِيُّ أَوْ غَيْرُهُ، فَابْتَدَأَنِي فَقَالَ: «يَا أباالقاسم إِنَّ الْقَائِمَ مِنَّا هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُنْتَظَرَ فِي غَيْبَتِهِ و يُطَاعَ فِي ظُهُورِه و هُوَ الثَّالِثُ مِن ولْدي...».[٣]

وقال الصّادق(ع): «طُوبَى لِشِيعَةِ قَائِمِنَا الْمُنْتَظِرِينَ لِظُهُورِهِ فِي غَيْبَتِهِ و الْمُطِيعِينَ لَهُ فِي ظُهُورِهِ أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ و لا هُمْ يَحْزَنُون...».[٤]

وقال(ع) أيضاً: «مَن ماتَ مِنكم و هوَ مُنْتَظِر لهذا الأمر كَمَن هو مَع القائِم في فُسطاطه». قال: ثمّ مَكَثَ هُنَيْئة ثمّ قال: «لا بَل كَمَن قارَعَ مَعه بِسَيْفه»، ثمّ قال: «لا و الله إلّا كَمَن اسْتُشْهِد مَع رَسولِ اللّهِ(ص)».[٥]

آثار الانتظار و متطلّباته

يظنّ بعض الجاهلين أنّ انتظار الإمام المهدي(عج) ربّما تسبّب في القعود و كان عاملاً للرّجوع إلى الوراء أو التهرّب من المسؤوليات و الواجبات و الاستسلام مقابل الظلم و الجَور، لأنّ مفهوم الإيمان بمثل هذا الظهور العظيم _ بزعمهم _ يعني قطع الأمل و اليأس من إمكانية إصلاح العالم قبل ظهوره(عج)، و أنّه سيؤدّي أيضاً إلى اشتداد الظلم و تعاظم الفساد أملاً في تهيئة الأسباب الخاصة بظهور

---

١. موسوي أصفهاني، ١٣٧٩: ٣٣٢.
٢. النعماني، ١٣٩٧: ٢٠٠.
٣. الشيخ الصدوق، ١٣٩٥: ج٢، ٣٧٧.
٤. المجلسي، ١٤٠٣: ج٥٢، ١٥٠.
٥. المصدر نفسه: ١٢٦.

www.noormags.ir

الحجّة(عج)؛ إلّا أنّ هؤلاء غفلوا عمّا يحمله انتظار ذلك الظهور الكبير من آثار بنّاءة و نتائج إيجابية. و في الحقيقة، إنّ مسألة تأسيس حكومة الحقّ و العدالة على يَد المهدي(عج) و مجيء المصلح العالميّ تتضمّن عنصريْن اثنيْن، هما: العنصر السلبيّ و العنصر الإيجابيّ. فأمّا العنصر السلبيّ فيُراد به الغربة عن الوضع القائم، و أمّا العنصر الإيجابيّ فيتمثّل في إيجاد الوضع الأفضل و الأحسن.

فإذا تجذّر ذينك العنصريْن في روح الإنسان بشكل عميق فإنّ ذلك سيكون مصدراً لإيجاد نوعيْن من العمل: أوّلهما تجنّب كلّ نوع من أنواع التعامل و المواكبة مع أئمّة الظلم و الفساد و محاربتهم و التصدّي لهم من جهة، ثمّ الشروع ببناء الذات و الاعتماد عليها و التهيّؤ من الناحية الجسمية و الروحية و المادية و المعنوية من أجل تأسيس الحكومة العالمية الشعبية الواحدة من جهة أخرى.

فإذا أمعنّا النظر جيداً سنلحظ أنّ كلا النوعين بنّاء و حافز على التحرّك و التهيّؤ و العلم و الصحوة. و في الواقع، إنّ أولئك الذين ينتظرون قيام المصلح العالمي العظيم إنّما ينتظرون قيام ثورة هي من أعظم الثورات الإنسانية التي قامت في العالم على مدى التاريخ و أوسعها و أهمّها كذلك في تاريخ البشرية؛ إنّها ثورة مختلفة تماماً عن كلّ الثورات التي سبقتها التي لم تكن تمتلك أيّ جانب منطقيّ، فهذه الثورة ثورة عالمية جامحة تشتمل على كلّ جوانب الحياة الإنسانية، ثورة سياسية و ثقافية و اقتصادية و أخلاقية كاملة المعايير.

لا شكّ في أنّ مثل هذا التغيير بحاجة إلى كلّ العناصر الإنسانية القيّمة اللازمة لتحقيقه بحيث يمكنه تحمّل أعباء تلك الإصلاحات الكبيرة على المستوى العالميّ، و في الدرجة الأولى فإنّ هذا التغيير بحاجة إلى رفع المستوى الفكريّ و العلمي و الإدراكيّ و التحضير الروحيّ و الفكريّ و المساهمة في تطبيق بنود و فقرات هذا البرنامج العظيم.

إنّ انتظار المصلح العالميّ يعني الاستعداد الكامل من الناحية الفكرية و الأخلاقية و المادية و المعنوية بهدف إصلاح العالم بأكمله. لكنّنا نتساءل: "ما فائدة مثل ذلك الاستعداد و التهيّؤ؟"

وأمّا النقطة المهمّة الأخرى فهي أنّه تقع على عاتق المُنتظرين المخلصين و الحقيقيين مسؤولية إصلاح الآخرين فضلاً عن إصلاح ذواتهم، ذلك أنّ البرنامج العظيم و العبء الثقيل الذي ينتظرونه ليس برنامجاً فردياً أو عبئاً خاصّة بشخص دون آخر، بل هو عمل لا مناص من أدائه بشكل جماعيّ؛ فلا بدّ من التنسيق بين الجهود و لا بدّ لعُمق ذلك التنسيق و شموليّته أن يكون بمستوى عظمة البرنامج الثوريّ العالميّ المذكور الذي ينتظرونه.

إنّ عدم الرضوخ لملوّثات البيئة و الاستسلام لأدرانها له أثره المهمّ و الواضح

www.noormags.ir

في عملية الانتظار، فالشيء الوحيد الذي يمكنه منح الأمل للمنتظرين و إكسابهم الثبات و ضبط النفس و الحيلولة بينهم و بين انصهارهم في تلك البيئة الفاسدة هو الرّجاء في الإصلاح النهائيّ الكامل.

وهنا لا بأس من البحث في دور الانتظار في تحقيق إنشاء (الأمّة الواحدة)، لكن، و قبل البدء في ذلك، يجدر بنا التعرّف على تركيبة (الأمّة الواحدة) و معناها في المعاجم الدينية.

مفهوم الأمّة الواحدة

تستخدم المعاجم الإنسانية المختلفة الكثير من العبارات لبيان مفهوم (المجتمع community) مثل (الشعب) و (الناس) و (الجماعة) و (القبيلة) و (الطائفة) و (العشيرة) و (القوم) و (الناسيون) و (الطبقة) و (العنصر) و (الفئة) و (المجتمع)؛ و أمّا الدين الإسلامي فقد استعاض عن كلّ تلك المفردات و أطلق كلمة (الأُمّة Ummah) على المجتمع الإنسانيّ الذي يقصده و ينشده، فهو لا ريب يريد بهذه الكلمة معنى خاصّاً و مُعيّناً.

و(الأُمّة) اصطلاح قرآنيّ و دينيّ معاً شاع استعماله بالتزامن مع ظهور الدين الإسلاميّ و انتشاره، فلم يسبق للاصطلاح المذكور أن ظهر في الثقافة الغربية من قَبل على الإطلاق. فالأمّة وفق التعبير و الاصطلاح القرآني تعني الجماعة التي تعتنق ديناً واحداً و تحمل عقيدة واحدة و في زمان واحد و مكان واحد إلى جانب اتّصافها بالمشتركات الإنسانية الأخرى، قال تعالى: {رَبَّنَا و اجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ و مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ و أَرِنَا مَنَاسِكَنَا و تُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.[١] و ثمّة شَبه كبير بين اصطلاح (الأمّة) و (المجتمع) في الوقت الحاضر، وفي نفس الوقت هنالك فروق كذلك بينهما لا يمكن تجاهلها. فـ(المجتمع) في اصطلاح علم الاجتماع يعني الجماعة المنظّمة المكوّنة من أشخاص و أفراد من البشر الذين يعيشون على أرض مشتركة واحدة، و من خلال تعاون أولئك الأفراد و تآزرهم داخل تلك المجموعة تتمّ تلبية احتياجاتهم الاجتماعية الابتدائية و الأساسية، و كذلك من خلال تفاعلهم عَبر ثقافة مشتركة واحدة تصبح تلك المجموعة متميّزة عن سائر المجموعات أو المجتمعات الأخرى.[٢] و أمّا (الأمّة) فهي مجموعة خاصّة من أتباع دين واحد أو عصر واحد بسبب التشابه في نوع العمل أو الاتّجاه الفكريّ.[٣]

---

١. سورة البقرة، الآية ١٢٨.
٢. مساواتي، ١٣٧٣: ١٤٢.
٣. العلامة الطباطبائي، ١٣٧٦: ج٦، ٣٩.

www.noormags.ir

و(الأمّة) من الزاوية القرآنية تمتلك روحاً و حياة يمكن أن تنتهيا في أيّ لحظة من اللحظات تماماً كحياة الفرد نفسه {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً و لَا يَسْتَقْدِمُونَ}[1] و كحقيقة ماثلة تمتلك الأمّة أيضاً كتاباً خاصّاً بها حيث سيتمّ تلاوته عليها يوم القيامة {وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[2] و الأمّة بالمنظار القرآني تَعي و تفهم و تشعر {لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[3] و لأفراد كلّ أمّة عذاب مشترك و عامّ مقابل أفعالهم و ما يجترحون {وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ و جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}.[4] و يبيّن لنا القرآن الكريم أيضاً أنّ لكلّ أمّة سُنّة مثل سنّة إرسال الرّسل و الأنبياء (عَليهمالسّلام) و هلاك الأمّة بعد إتمام الحجّة عليها و تغيير مصائر الأُمم بسبب الأعمال التي يمارسها مجتمعها و ما شابه ذلك.

ويرى (لوي غاردة) _ الباحث الفرنسي في العلوم الإسلامية _ أنّ (الأمّة) مشتقّة من جذر عربي خاصّ و أنّه لا يمكن العثور على مرادف لها في اللغات الأوروبية و لا سيّما (أمّة النبيّ) التي يُحتمل أنّها مأخوذة من الجذر الأصلي (أُمّ) بمعنى (الوالِدة).[5]

وأمّا العلّامة الطباطبائيّ فيقول: «و قد اعتنى القرآن بأمر المجتمع و عدّه حقيقة ذات خواص و آثار كما اعتنى بأمر الفرد من الإنسان و عدّه حقيقة ذات خواص و آثار تستمد من الوجود»،[6] ثمّ يستطرد العلامة في موضع آخر من تفسيره قائلاً: «كان الناس أمة واحدة، الناس معروف و هو الأفراد المجتمعون من الإنسان، و الأمة هي الجماعة من الناس، و ربما يطلق على الواحد... و ربما يطلق على زمان معتدّ به... و ربما يطلق على الملة و الدين كما قال بعضهم ... و أصل الكلمة من أمّ يَأمّ إذا قصد فأطلق لذلك على الجماعة لكن لا على كلّ جماعة، بل على جماعة كانت ذات مقصد واحد و بغية واحدة هي رابطة الوحدة بينها، و هو المصحح لإطلاقها على الواحد و على سائر معانيها إذا أطلقت».[7]

فالأمّة وفق التعاريف المذكورة أعلاه تُعدّ أساس النظام الاجتماعيّ الذي يشمل

---

١. سورة الأعراف، الآية ٣٤.
٢. سورة الجاثية، الآية ٢٨.
٣. سورة الأنعام، الآية ١٠٨.
٤. سورة غافر، الآية ٥.
٥. غاردة، ١٣٥٢: ٢٨٦.
٦. العلامة الطباطبائي، ١٣٧٦: ج٤، ٢٣٦.
٧. المصدر نفسه: ١٧٢ – ١٧٣.

www.noormags.ir

مجالات أوسع؛ و بعبارة أخرى، فقد خصّت الشريعة جزءاً كبيراً من جهودها للنظام الاجتماعي فيما تناول الجزء القليل منها المراسم العبادية و الأخلاق الفردية. و قد ورد التأكيد المتكرّر في السنّة الإسلامية بشأن موضوع (الأمّة) حتى اعتُبر الانتساب إليها و العضوية فيها شرطاً للإسلام، فالمرحلة الإسلامية لم تبدأ بولادة النبيّ الأعظم(ص) و لا بنزول الوحي في أوّل الأمر بل بهجرة الرسول الكريم(ص) و أصحابه إلى المدينة، و لم تحدث الهجرة إلّا بعد أن رجّح المسلمون الوفاء و الإيمان بالله (عَزّوجَلّ) على كلّ الروابط النسبيّة و القبيلية و شرعوا في إنشاء صرح الأمّة الإسلامية.[١]

الأمّة في القرآن الكريم

وردت كلمة (أمّة) في أربع و ستين آية من آيات القرآن الكريم، منها ما أشار إلى معنى المدّة و الفترة الزمنية المُعيّنة {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ}[٢] و {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا و ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ}[٣] أو القائد و الإمام و القُدوة {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا و لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[٤] أو الدين و المذهب و المَسلك {بَلْ قَالُوا إِنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ و إِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * و كَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ و إِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ}[٥] أو مجموعة أو طائفة من الحيوانات {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ و لَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ}،[٦] لكنّ معنى (الأمّة) في أغلب الآيات هو جماعة من الناس أو أفراد البشر.[٧] و في الموارد التي تشير فيها (الأمّة) إلى معنى الجماعة من الناس فالمقصود بذلك تلك الجماعة التي نزلت عليها إحدى الرسالات أو الأديان السماوية ممّا يعني وجود أصول مذهبية و دينية في الاصطلاح المذكور.[٨] و بالاستناد إلى التعاريف المذكورة يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها أنّ المُراد من (الأمّة الإسلامية) هو الجماعة

---

١. مؤتن، ١٣٨٠: ٩٠.
٢. سورة هود (عَليه‌السّلام)، الآية ٨.
٣. سورة يوسف (عَليه‌السّلام)، الآية ٤٥.
٤. سورة النحل، الآية ١٢٠.
٥. سورة الزخرف، الآيتان ٢٢ و ٢٣.
٦. سورة الأنعام، الآية ٣٨.
٧. سورة البقرة، الآيات ١٢٨، ١٣٤ و ٢١٣؛ سورة آل‌عمران، الآيات ١٠٤، ١١٠، و ١١٣.
٨. بندر ريگي، ١٣٦٠: ١٠.

www.noormags.ir

الكبيرة من المسلمين التي تخضع لقيادة و هداية مشتركتيْن و تسير باتّجاه هدف واحد و قبلة واحدة، و هذا المجتمع الإسلاميّ المثالي يتّصف ببعض الخصائص التي تميّزه عن المجتمعات الأخرى.

خصائص الأمّة الإسلامية و صفاتها

يعتبر القرآن الكريم أنّ من بين الأهداف الموكلة إلى الرسول الأعظم(ص) تأسيس الأمّة الإسلامية كما يبيّن لنا كيفية قيام النبيّ(ص) بهذا الأمر و الأسلوب الذي استخدمه حتى استطاع إيجاد النموذج الحيّ لتلك الأمّة في المدينة المنوّرة، الأمّة التي يمكنها أن تكون قدوة و مثالاً لسائر الأُمم و المجتمعات الإنسانية الأخرى.

لا شكّ في أنّ الخصائص الدينية التي شكّلت الأمّة الإسلامية هي خصائص أصيلة، و بعبارات أخرى، فإنّ تحقّق الرسالة الإسلامية و واجباتها و وظائفها لا يكون إلّا في ظلّ مجموعة من الأفراد الذين يشكّلون الأمّة. و في الحقيقة فإنّ اصطلاح الأمّة الإسلامية لا يشير إلى إطار جغرافيّ مُحدّد بل يشمل مجموعة عالمية موحّدة خاضعة لرسالة و دستور إلهيّيْن مُعيّنيْن و جميعهم يؤمنون برسالة نبيّ واحد. و في مثل هذا المجتمع تذوب كلّ الفروق العنصرية و القومية بين أفراد البشر و لا يملك أيّ منها أيّ أصالة بالمرّة، بل المعيار الأفضل الذي يميّز الأفراد في هذا المجتمع هو الإيمان بحقّانية الرسالة الإلهية.[1]

الأمّة الإسلامية و وجوه الاشتراك

بالنظر إلى ما ذكرناه حتى الآن فإنّ القرآن الكريم يسمّي جميع الأفراد الذين يؤمنون بالأنبياء (عَليهم‌السّلام) من حيث أصول العقائد و أوجه الاشتراك و الهدف الذي كان الأنبياء (عَليهم‌السّلام) يحملونه، يسمّيهم (الأمّة الواحدة)، و لعلّ مقصود القرآن الكريم هو تقليص الاختلافات بين أفراد هذه الأمّة إلى أقلّ حدّ ممكن و توحيدهم على أساس النقاط العقائدية المشتركة بينهم من أجل أن يقتربوا من الأهداف الإلهية و الإنسانية تحت راية تلك الوحدة.

والآن، لا بأس من الإشارة إلى أوجه الاشتراك الأخرى الموجودة في الأُمم و التي تؤدّي إلى اتّحادها و تضامنها أكثر فأكثر و لا سيّما في الأمّة الإسلامية، و بيان نقطة الاشتراك المهمّة التي تقرّبهم _ من النظرة القرآنية _ إلى الأمّة الواحدة.

---

١. بابائي زارج، ١٣٨٣: ٨٥.

www.noormags.ir

بيان العلاقة بين الانتظار و الأمّة الواحدة

لا ريب في أنّ الإيمان بقضية ظهور المُنجي الموعود الذي وعد به القرآن الكريم جميع أفراد البشر و خصوصاً المسلمين، لا ريب في أنّ ذلك الإيمان يقتضي انتظار ذلك الموعود، و لا شكّ أيضاً في أنّ هذا الأمل في المستقبل (الانتظار) سيخلق قوّة مضاعفة في أعماقهم و سيوحّدهم من أجل الوصول إلى أهدافهم.

ومن البديهيّ أنّه و من أجل الوصول إلى تحقيق الأمّة الواحدة لا بدّ من أخذ أوجه الاشتراك في الأمّة الإسلامية بعين الاعتبار و العمل على تعزيزها و تقويتها؛ فالمهدوية و الانتظار هما من المشتركات العقائدية الإسلامية التي تتفاوت مع أوجه الاشتراك الأخرى في عدد من الجوانب و على رأسها:

١. النظرة إلى المستقبل الكامنة في العقيدة بظهور المهدي الموعود(عج)، و هو توحيد نظرة المسلمين و رؤيتهم إزاء مستقبل الإسلام.

٢. يُعدّ المستقبل المذكور بمنزلة الهدف و المطلوب بالنسبة للمسلمين كافّة.

٣. و لمّا كان ذلك هدف المسلمين و مطلوبهم لا بدّ لهم من أن يقوموا بالعمل و الالتزام و التصرّف بما يليق بالهدف المذكور.

وبناءً على ذلك ينبغي السّعي إلى جعل هذه النظرية استراتيجية محورية لتوحيد الأمّة الإسلامية، لكن يجب في البدء البحث في موضوع الانتظار بالتفصيل و بيان كيفية استثمار طاقاته في سبيل تشكيل الأمّة الواحدة.

الخوض في فكرة انتظار الموعود

تشتمل فلسفة انتظار الموعود على بعض العناصر و المكوّنات التي يمكن الاستعانة بها في تأسيس الأمّة الواحدة، فانتظار الموعود يعني انتظار المستقبل المشرق الذي وعد القرآن الكريم المسلمين به، و هكذا، فباستطاعة المسلمين في كلّ أنحاء العالم توحيد صفوفهم و الوقوف جنباً إلى جنب لتحقيق ذلك المستقبل المشرق و على أساس محور تحقيق ذلك الهدف العظيم و تشكيل أمّة كبيرة بالاستناد إلى الهدف الواحد. و من أهمّ الوعود التي قطعها الله (عَزّوجَلّ) فيما يتعلّق بمستقبل الإسلام و المسلمين، ما يلي:

أ) جعل الإسلام ديناً عالمياً

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ و دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ و لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}[١]، فبالاستناد إلى تفاسير علماء الشيعة و أبناء العامّة فإنّ هذا

١. سورة التوبة، الآية ٣٣.

www.noormags.ir

الهدف العظيم لن يتحقّق إلّا في ظلّ دولة المهدي(عج) و هذا ما أيّدته أيضاً الروايات الواردة في مصادر الحديث لدى الفريقيْن:

فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ: عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَاضِي (ع)، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ و جَلَّ:... {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى و دِينِ الْحَقِ}؟ قَالَ: «هُوَ الَّذِي أَمَرَ رَسُولَهُ بِالْوَلَايَةِ لِوَصِيِّهِ، و الْوَلَايَةُ هِيَ دِينُ الْحَقِّ». قُلْتُ: {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}؟ قَالَ: «يُظْهِرُهُ عَلى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ عِنْدَ قِيَامِ الْقَائِمِ».[1]

وعن أبي هريرة قال: هذا وعد من اللّه بأنّه تعالى يجعل الإسلام عاليًا على جميع الأديان، و تمام هذا إنّما يحصل عند خروج عيسى. و قال السدي: ذلك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلّا دخل في الإسلام أو أدّى الخراج.[2]

من الواضح أنّ هذه الرؤية المشرقة و المتفائلة يمكنها أن تغدو عاملاً للإسلام و المسلمين على حدّ سواء لاتّحادهم و جمع شملهم فضلاً عن إسهامها في تعزيز الهوية الإسلامية الجماعية.

ب) استخلاف المؤمنين و منحهم الأمان الشامل

قال عزّ و جلّ: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ و عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ و لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ و لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً و مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُون}،[3] نلاحظ في هذه الآية الشريفة أنّ اللّه سبحانه وعد المسلمين بشكل صريح باستخلافهم في الأرض و تثبيت أركان الدين الإسلامي بشكل كامل و أنّه تعالى سيهبهم الأمن و الأمان في جميع أبعاد حياتهم، و بالاستناد إلى التفاسير و الروايات فإنّ حكومة الإمام المهدي(عج) هي المصداق أو في الأقلّ المصداق الكامل لذلك الوعد.

وعن علي بن الحسين7 (عَليهما السّلام) أنّه قرأ الآية و قال: «هم و اللّه شيعتنا أهل البيت، يفعل اللّه ذلك بهم على يدي رجل منّا، و هو مهديّ هذه الأمة، و هو الذي قال رسول اللّه6(ص): "لو لم يَبق مِن الدّنيا إلّا يوم واحد، لطوّل اللّه ذلك اليومَ حتى يَلي رجل مِن عترتي، اسمه اسمي، يملأ الأرضَ عَدلاً و قِسطاً كما مُلِئَت ظلمًا و جَوْرًا»[4].[5]

---

١. الكليني، ١٤٠٧: ج١، ٤٣٢.

٢. الفخر الرازي، ١٤١١: ج١٦، ٣٣.

٣. سورة النور، الآية ٥٥.

٤. الطبرسي، ١٣٧٢: ج٧، ٢٤٠.

٥. بعد نقله للرواية أعلاه علّق الطبرسي على ذلك قائلاً: «ورُوي مثل ذلك عن أبي جعفر (عَليه‌السّلام) و

www.noormags.ir

ج) العباد الصالحون يرثون الله تعالى

قال سبحانه و تعالى: ﴿وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾؛[١] و بالاستناد إلى البشارات الواردة في القرآن الكريم في العديد من آياته و منها هذه الآية الشريفة، فإنّ عباد الله الصالحين سيرثون الأرض في نهاية المطاف و سينتفعون بخيراتها، و هذا الأمر سيحدث في زمان الإمام المهديّ(عج) وفق التفاسير و الأحاديث الكثيرة.

وعن أبي جعفر(ع)7، قال: «قوله عزّ و جلّ: {أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} هم أصحاب المهدي في آخر الزّمان».[٢]

د) إمامة المستضعفين و ميراثهم

قال (عَزّوجَلّ): ﴿وَ نُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ و نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً و نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾؛[٣] تمّ تفسير هذه الآية الشريفة كذلك بظهور الإمام المهديّ(عج).

وعن علي(ع) في قوله: ﴿وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ و نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً و نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ} قال: «هُم آل محمّد(ص) يبعث الله مَهديّهم بعد جهدهم فيعزّهم و يذلّ عدوّهم».[٤]

وعن أبي جعفر(ع)، و أبي عبد الله(ع): «أنّ هذه الآية مخصوصة بصاحب الأمر الذي يظهر في آخر الزمان، و يُبيد الجبابرة و الفراعنة، و يملك الأرض شرقاً و غرباً، فيَملأها عدلاً، كما مُلِئت جَوْراً».[٥]

لاحظ أنّ جميع أشكال الانتظار هذه تُمثّل رؤية واضحة إزاء المستقبل الذي هو مُراد جميع المسلمين و مطلوبهم و لهذا يمكنه أن يكون محور الوحدة و الاتّحاد بينهم.

وبالتحليل العقليّ يمكن اعتبار تلك الوعود القرآنية أمنيات و أهداف بالنسبة للأمّة الإسلامية، بل و لجميع الموحّدين في مشارق الأرض و مغاربها لأنّ الفطرة الإنسانية الطاهرة تسعى إلى تحقيق جميع أشكال الخير و سيادة القيَم و إنشاء

أبي عبد الله (عَليه‌السّلام)». (أنظر: مجمع البيان، ذيل الآية الشريفة).

١. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٢. البحراني، ١٤١٦: ج٣، ٨٤٨.

٣. سورة القصص، الآية ٥.

٤. العروسي الحويزي، ١٤١٥: ج٤، ١١٠.

٥. البحراني، ١٤١٦: ج٤، ٢٥٤.

www.noormags.ir

حكومة الصالحين و انتفاعهم بها إلى جانب المستضعفين في الأرض. فالجميع يتوق إلى شيوع الطهارة في أرجاء الأرض و إيجاد العلاقات الإنسانية الطيبة و قيام المعاملات العادلة بين أفراد البشر و تأسيس حكومة الصالحين. كلّ ذلك موضوع على لائحة الوعود القرآنية الصريحة و هي وعود لا يمكن لها أن ترى النور أو تتحقّق إلّا تحت راية الحجّة الإلهية و قيادتها، و لا ريب في أنّ الوصول إلى كلّ ذلك يُعدّ من أمنيات الناس جميعاً. و بعبارة أخرى، فإنّ تحقيق ذلك المقصود الإلهيّ و الإنسانيّ مرهون بأن تتحوّل الرغبة الفطرية الكامنة في أعماق الإنسان نحو ذلك الهدف السامي إلى رغبة حقيقية حاضرة لكي تتمّ تعبئة جميع قواه الفكرية و كذلك الجسدية في السّير باتّجاه ذلك الهدف السامي، و تتوفّر كذلك جميع المستلزمات و المُقتضيات الخاصة بتحقيقه و بذلك تتمّ إزالة جميع العوائق و الموانع التي تحول دون تحقّقه.

وفي الدعاء الشريف المسمّى بـ(دعاء الافتتاح) نطالع العبارات النورانية التالية: «أللّهُمَّ إنا نَرْغَبُ إلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِها الاِسْلامَ و أَهْلَهُ و تُذِلُّ بِها النِّفاقَ و أَهْلَهُ، و تَجْعَلُنا فِيها مِنَ الدُّعاةِ إلى طاعَتِكَ و القادَةِ إلى سَبِيلِكَ و تَرْزُقُنا بِها كَرامَةَ الدُّنْيا و الآخِرَةِ»؛ و هكذا فإنّ الأمل في تحقيق دولة إسلامية كريمة تتضمّن جميع تلك القيَم و الأماني الإنسانية المذكورة لا بدّ من أن يكون أملاً جماعياً و اجتماعيّاً بامتياز لا أملاً فردياً، و لا شكّ في أنّ ما يتطلّبه مثل هذا الأمر المبارك الغاية في الأهمية هو ارتفاع مستوى الإدراك و المعرفة عند المجتمع الإنسانيّ، أي الوصول إلى نقطة يعرف عندها الجميع أنّ كلّ الخير و المكارم مكنون في الحكومة العالمية للإسلام و المسلمين و ذُلّ المنافقين و أتباعهم من أجل أن يتمّ تعبيد طريق العبودية لجميع الناس و بالتالي بلوغ المؤمنين مرتبة القيادة و دعوة الآخرين إلى سبيل الله و طاعته و الإخلاص له. هذه هي المرتبة الأهمّ من المعرفة التي سيتمكّن المجتمع بواسطتها من التعرّف إلى الكمال الحقيقيّ فتُزرع فيه بذور الحبّ و الشوق إلى ذلك الكمال.

من المعلوم أنّ السبيل الذي يوصلنا إلى تلك النقطة المهمّة يمرّ عبر بذل الجهود الجبّارة، إلّا أنّ هداية المسلمين إلى هذا المطلوب على مختلف اتّجاهاتهم و مسالكهم أسهل و أيسر كثيراً من الناحية العملية لأنّ الإسلام في هذا المشروع الإلهيّ هو الدين الحاكم، و من هنا، فإنّ بإمكان المسلمين الاتّحاد و توفير مستلزمات ذلك الاتّحاد و مقتضياته من خلال تحوّل الإسلام إلى محور عالميّ و شامل.

www.noormags.ir

الانتظار عامل لاتّحاد الأمة الإسلامية

ورد في الكثير من الروايات في مصادر الفريقيْن أنّ: «أفضلَ العِبادَة انْتظار الفَرَج»؛[١] و (الفرج) معناه انفراج الأمور و التخلّص من المعضلات و المشاكل، و قد يكون الفرج جزئياً أو كليّاً شاملاً، فانتظار الفرج بالنسبة للأمة كلّها يعني نجاة كلّ أفرادها من تلك المشاكل و المعضلات و الوصول إلى كلّ أمانيهم و رغباتهم، و لهذا قيل أنّ الانتظار أفضل من العبادة.

ولعلّ من الدلائل الواضحة على أفضلية الانتظار، كون الانتظار يُعدّ الإطار المناسب لاجتماع الأمّة الإسلامية و اتّحادها و انسجامها، فإذا كان المسلمون مؤمنين بهذا الفرج و يعتبروه نعمة من الله (عَزّوجَلّ) فسيدركون أنّ عليهم سؤال الله تعالى وحده عن تحقيق ذلك الفرج، و سيعلمون كذلك أنّ مثل هذا الفرج العظيم لا بدّ و أن يحصل على يَد وليّ من أولياء الله سبحانه فقط و من المعروف أنّ بشارة ذلك الوليّ الإلهيّ وردت في أحاديث الرسول الأعظم(ص) بل و ذُكرت كلّ تفاصيله و أوصافه فيها أيضاً، و هكذا فإنّ انتظار الفرج في الأمة الإسلامية ليس انتظاراً مبهماً أو غامضاً أو مجهول المعالم، بل هو انتظار واضح جليّ ذو معنى عميق.

وليس الانتظار في الدين سوى انتظار قيام الإمام المهديّ(عج) من أحفاد النبيّ الكريم(ص) الذي أخبر عن خلافته و إنشاء حكومته في آخر الزمان، و لا شكّ في أنّ هذه العقيدة تُمثّل أكبر عامل لتحقّق الأمة الإسلامية الواحدة، فبإمكان المسلمين الاقتراب من بعضهم على أساس محورية انتظار الإمام المهديّ(عج) و أن يقفوا صفّاً واحداً و في خندق واحد ضدّ أعدائهم و يقاوموا الظلم و الاستبداد في داخل مجتمعاتهم و مساندة المظلومين و الوقوف إلى جانب المستضعفين؛ و بعبارات أوضح، باستطاعة المسلمين اتّخاذ أهداف موحّدة لهم و بالتالي العمل متّحدين فيما يتعلّق باتّخاذ المواقف ضدّ غيرهم. و في ظلّ الانتظار ينبغي للمسلمين ألّا يداهنوا مع الظلم الصارخ الذي يعاني منه أيّ شعب مظلوم و مشرّد و لا يسمحوا لأنفسهم بالتسامح مع ذلك الظلم و السكوت عنه، لا أن يتعاونوا مع إسرائيل سياسياً و اقتصادياً. إذا كان الانتظار يعني رفض الظلم و الجَور و تأمّل تحقّق العدالة الكاملة فإنّه يجب على المنتظرين أن يكوّنوا جبهة واحدة في الأقلّ و الوقوف بوجه الظالمين في كلّ أنحاء العالم و مساندة المظلومين و المُضطهدين و لا سيّما إذا كان أولئك المظلومين و المضطهدين يمثّلون شعباً بأكمله. أليس بإمكان المسلمين استمداد القوّة و الشجاعة من الطاقة التي يمنحها إيّاهم ذلك الانتظار و أن يصبحوا

١. الشيخ الصدوق، ١٣٩٥: ج١، ٢٨٧؛ الترمذي، ١٣٧٩: ج٥، ٥٦٥.

www.noormags.ir

يداً واحدة على عدوّهم المشترك؟

الانتظار عامل للنشاط و التجدّد للأمة الإسلامية

يبذل أعداء الإسلام في كلّ لحظة جهوداً كبيرة و حثيثة لزرع بذور اليأس و القنوط داخل المجتمعات الإسلامية بهدف إيقاف عجلة التقدّم و التطوّر فيها، و هنا يبرز انتظار دولة المهديّ الموعود(عج) _ من آل‌بيت النبيّ الأعظم(ص) _ كعامل مهمّ في سبيل منح المسلمين الأمل و الفرج بمستقبل الإسلام و المسلمين و ذلك لأنّ جميع البشارات صرّحت بظهور تلك الدولة و أكّدت على أنّ الدين الإسلامي سيصبح ديناً عالمياً و أنّ المسلمين هم الذين سيحكمون هذا العالم. و ممّا لا ريب فيه أنّ هذه العقيدة الخطيرة النابعة من أعماق آيات القرآن الكريم و الروايات الإسلامية ستُضاعف نشاط أفراد الأمّة الإسلامية و تعمل على تجدّدها، لكن بشرط أن يتمّ تعريف المسلمين جميعاً بمُنجي الإسلام و القرآن العظيم و بيان البركات و الخيرات التي سيمنحها لهم ذلك الظهور و تلك الحكومة الإلهية من أجل أن تتّضح لهم صورة ذلك الظهور و حقائقه بشكل لا لبس فيه، فيشعروا في أعماقهم بعظمة الانتظار الحقيقيّ و شوق الحضور إلى جانب الموعود و تعزيز هذه الفكرة لديهم.

وفي هذا الشأن يقول القرآن الكريم:{فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً}[1] و لا شكّ في أنّ انعقاد الأمل بالمستقبل المشرق من شأنه أن يحثّ الفرد و المجتمع على حدّ سواء على بذل الجهود الإيجابية و العمل البنّاء، و من هنا، فإنّ انتظار المهديّ الموعود(عج) يُمثّل عاملاً إيجابياً و عظيماً بالنسبة لمستقبل الإسلام و المسلمين.

الانتظار سبب لصياغة العواطف القلبية و الاجتماعية

إذا كان لدى مُنتظري مُنجي الإسلام تصوّراً واضحاً و رؤية متكاملة عن المنتظر الموعود و الخيرات و البركات التي سيأتي لهم بها ظهوره العظيم فإنّهم سيحبّونه و يعشقونه من أعماق قلوبهم، و ستتحوّل هذه المحبّة و ذلك العشق إلى إحساس و شعور جماعيّ عامّ إزاء الإمام المنتظر(عج) و هو ما كان يحدث منذ أقدم الأزمان داخل المجتمع الشيعيّ حيث أضحت المحبّة الفردية عند كلّ شيعيّ إلى شوق و اشتياق جماعيّ لظهور المهديّ الموعود(عج) و قد تجلّت هذه الحالة خاصة في الاحتفالات التي تُقام خلال شهر شعبان (ولا سيّما في النّصف منه) حيث نشاهد تجمّعات منتظري الإمام(عج) العظيمة على مدى أسابيع في مسجد

---

١. سورة الكهف، الآية ١١٠.

www.noormags.ir

(جمكران) و مراسم إقامة دعاء (النّدبة) المشهور و الأذكار الطيبة الخاصة بالإمام المهديّ(عج) في جميع المحافل و المناسبات و مجالس الأدعية الجماعية الخاصة بتعجيل الفرج للإمام المهديّ(عج). و لا شكّ في أنّ اقتراب القلوب من بعضها و الشعور بالأنس و الألفة من قِبل الجميع هو من الآثار الإيجابية لذلك الاجتماع و أنّ هذا الشوق الإلهيّ الطاهر يُعدّ من ضرورات المجتمع الإسلامي التي ينبغي تعزيزها و تثبيتها.

الانتظار حافز على خلق المسؤولية و الالتزام الاجتماعيّ

إذا وفِّقَ المؤمنون إلى الاجتماع و الاتّحاد فيما بينهم حول محور انتظار الإمام المهدي(عج) فإنّ كلّاً منهم سيشعر بمسؤوليّته تجاه الآخر ذلك أنّ الإنسان الذي ينظر إلى مستقبله و مستقبل مجتمعه المشرق إنّما يقوم بتحرير نفسه من قيود الحصرية و الفردية فيقوى شعوره و يتعزّز إحساسه إزاء الآخرين من إخوة الدين، و لا ريب في أنّ هذا الأمر يُمثّل بداية مباركة لخروج المجتمع من حالة السكون و الركود و التحرّك نحو التحوّل الاجتماعيّ و التطوّر الفكريّ و النُّضْج الثقافي.

والقرآن الكريم من ناحيته يكشف لنا عن هذه الصفة الجليلة في الأمّة الإسلامية، و ربّما كان تحذيره يهدف إلى المحافظة على هذه الصفة و العمل على تعزيز هذه الميزة داخل الأمّة الإسلامية؛ يقول تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ و تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ و تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ و لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ و أَكْثَرَهُمُ الْفَاسِقُونَ}[1]؛ فالأمّة الإسلامية تنتظر مستقبلاً يحكمه الإمام المهديّ الموعود(عج) الذي سيُحيي قيَم القرآن الكريم و السنّة الطاهرة؛ و لذلك فهذه الأمّة ترى في نفسها القدرة و الاستحقاق للتحرّك و السّير باتّجاه ذلك الهدف العظيم و أن تخطو خطوات حثيثة في سبيل صلاح الأمّة و إصلاحها ممّا سيدعم عملية اقتراب المسلمين من بعضهم و العمل على اتّحادهم.

---

١. سورة آل‌عمران، الآية ١١٠.

www.noormags.ir

الانتظار عامل لتعزيز المقاومة الاجتماعية

من المعلوم أنّ قوام المجتمع إنّما يكون في المقاومة و الاستقامة و الثبات في مقابل المشاكل و المُعضلات و هذا ما نلاحظه أيضاً في مختلف أبعاد الحياة الفردية بشكل واضح، و لهذا فإنّ للتحمّل و الصّبر منزلة رفيعة و مكانة خطيرة في الثقافة الدينية الإسلامية. و القرآن الكريم من جانبه يؤكّد على عامل الصّبر و الثبات عند بيانه سعادة الإنسان و كيفية تحقيقها حيث قال تعالى: {بسم الله الرحمن الرحيم و الْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا و عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ و تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ و تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِΦ؛[1] فانتظار المُنجي _ و لا سيّما انتظار المهديّ الموعود(عج) من آل محمّد(ص) الذي يحمل معه برامج واضحة و أهدافاً بيّنة لظهوره _ يُعدّ قاعدة مناسبة لتشكيل صرح المقاومة الاجتماعية، فإذا ازداد اهتمام المسلمين في العالم الإسلامي بمسألة ظهور المهديّ(عج) بالشكل الذي يليق به و أصبح موضوع انتظار دولته و حكومته على رأس جدول أعمال الأمّة الإسلامية فإنّ من شأن ذلك أن يصبح محوراً أساسياً للمقاومة الإسلامية في مواجهة الجبهة المتعاظمة لأعداء الإسلام، و لا شكّ في أنّ الجبهة المتّحدة التي تنشأ على أساس مبدأ (الانتظار الإسلامي) هي أعظم شأناً و أقوى شوكة من الوحدة التي تقوم على أساس العوامل الأخرى مثل القومية العربية و المصالح المادية المشتركة و الإقليمية المحدودة و ما شابه ذلك.

يقول الله (عَزّوجَلّ) في محكم كتابه العزيز:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا و صَابِرُوا و رَابِطُوا و اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}؛[2] و هكذا فإنّ التحمّل و الصّبر و رباطة الجأش كلّها تمثّل دستور دينيّ للمحافظة على المجتمع الإسلامي، لكن، و في الوقت نفسه، إذا لم تكن تلك المقاومة تمتلك محوراً و قاعدة إيجابية ثابتة و مؤمّلة فقد تتعرّض للخلل و الضعف في أيّ لحظة خلال مسارها. عندما يشكّل المسلمون جبهة إسلامية متّحدة و مقاومة بناءً على العقيدة الإسلامية المتمثّلة بانتظار الموعود، فإنّ ذلك يعني تعاظم الحوافز و الأهداف الدينية و الإلهية لديهم من أجل الحفاظ على تلك الوحدة الاجتماعية و حمايتها أكثر من ذي قبل، و عندئذ لن يكون بمقدور الخلافات القومية و الإقليمية و اللغوية إضعاف هذا الاتّحاد أو الإضرار بتلك الوحدة.

---

١. سورة العصر، الآيات من ١ إلى ٣.

٢. سورة آل‌عمران، الآية ٢٠٠.

www.noormags.ir

الانتظار عامل الاتّحاد في تطبيق العدالة

بما أنّ الانتظار الذي نتكلّم عنه هو انتظار لدولة العدل و حكومة القسط فلا ريب في أنّه سيسهم في تأسيس الأمّة الإسلامية الواحدة، فعندما تضع الأمّة الإسلامية نصب عينيها هدفاً مشتركاً واحداً للتحرّك الاجتماعيّ و تشرع باستثمار كلّ طاقاتها و إمكانيّاتها الاجتماعية لذلك الهدف المشترك فإنّ ذلك يعني بكلّ ما في الكلمة من معنى وصولها إلى الانسجام و الوحدة العملية و عندها ستتحقّق الأمة الإسلامية بشكل عمليّ و ليس باستخدام الشعارات الجوفاء. فالإمام المهدي(عج) سيأتي ليطبّق العدالة في جميع أبعادها و يعرض على أفراد الأمّة الإسلامية هدفاً مشتركاً يتمثّل في حثّهم على الاجتهاد و المثابرة في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية فيما وراء الحدود و البلدان و ليس على مستوى المكونات الجغرافية المحدودة. و بعبارات أخرى، على جميع المسلمين أن يفكّروا _ بالاستناد إلى مسألة انتظار دولة العدل _ في إزالة معالم كلّ أنواع الظلم الاجتماعيّ في كلّ بقعة من بقاع الأرض و ذلك من خلال اجتماعهم معاً و وقوفهم إلى جانب بعضهم البعض و أن يضعوا الحلول المناسبة لذلك، و من ثَمّ تطبيق ذلك بشكل عمليّ. لا شكّ في أنّ ذلك يُعدّ إنجازاً كبيراً و ثمرة يانعة للحركة الاجتماعية القائمة على أساس الانتظار الإسلامي و القرآني.

الانتظار عامل تشكيل التعبئة الإسلامية للحماية الدينية

يُمثّل الوقوف إلى جانب دين الله (عَزّوجَلّ) و العمل على حمايته و الدفاع عنه جزءاً من القيَم السامية في القرآن الكريم و في الثقافة الإسلامية على حدّ سواء، بل و ربّما كان من أسمى القيَم الإسلامية المعروفة حتى الآن. يقول سبحانه: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ و يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}[1]؛ فالله تعالى يعتبر نصرة دينه و حمايته و الدّفاع عنه نصرة له سبحانه، و لهذا يؤكّد على تعزيز الحوافز باتّجاه هذا الأمر، و من الواضح أنّ ما يعمل على تقوية تأسيس الأمّة الإسلامية الواحدة تعزيز الحوافز لدى جموع المسلمين من أجل حماية دينهم الحنيف على مختلف الأصعدة و المجالات.

إنّ امتلاك الإحساس المشترك و الحافز الواحد للدفاع عن حياض الدين و المحافظة عليه يلزمه وجه جذّاب مشترك غاية في الأهمية. و يبدو أنّ انتظار المهديّ الموعود(عج) الذي يُمثّل صورة بهيّة و مؤمّلة يُعدّ إطاراً دقيقاً للغاية لولادة

١. سورة محمّد، الآية ٧.

www.noormags.ir

حالة التعبئة داخل الأمّة الإسلامية من أجل حماية الدين و صيانته في مقابل الأخطار التي قد يتعرض لها، و ذلك لِما يتّصف به ذلك الإطار من الناحية الدينية و المثالية ممّا يؤدّي إلى اتّحاد المسلمين و انسجامهم و توافقهم و تشكليهم للأمّة الواحدة.

الانتظار عامل للتعاون الجماعي

من الضروريّ تعزيز شعور التعاون بين المسلمين مع بعضهم و لا سيّما التعاون الاجتماعيّ من أجل الوصول إلى الأمّة الإسلامية الواحدة، و في هذا الصّدد يقول القرآن الكريم: {وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ و التَّقْوَى}؛[1] فالجماعة التي يفتقد أفرادها لأيّ شعور أو إحساس بالتعاون لا ريب في أنّها ستتلاشى و تصبح شيعاً. و من المعروف أنّ تعزيز الإحساس بالتعاون و تقويته مرهون بوجود بعض العوامل المشتركة، و كلّما كَثُرت تلك العوامل و ازداد عددها ازدادت إمكانية الاتّحاد الاجتماعي و أصبح التعاون و التعاضد مبدأً ثابتاً و مقبولاً. و لحُسن الحظّ فإنّ الأمّة الإسلامية تمتلك الكثير من العوامل المشتركة إلّا أنّ العديد من تلك العوامل ما زال مجهولاً و مُهملاً و قد أدّى هذا الأمر بالذات إلى إضاعة الفُرَص و إهمال الطاقات و الإمكانيّات.

إنّ انتظار المهديّ الموعود(عج) الذي يمثّل مرحلة ازدهار الإسلام و إحياء القيَم الإسلامية يُعدّ عاملاً مشتركاً مهمّاً و خطيراً للغاية يمكنه توفير الفرصة الثمينة للانسجام الدينيّ و الإسلامي، و كذلك عاملاً رئيساً لتعزيز الحوافز إزاء مسألة التعاون الاجتماعي في سبيل تحقيق الأهداف الإيجابية و المصالح العامّة للمسلمين، و سبباً قويّاً نحو تأسيس الأمّة الإسلامية الواحدة.

خلاصة البحث

يُعتبر تشكيل الأمّة الواحدة من الضرورات الاجتماعية بالنسبة للمسلمين، كما و تُعدّ مسألة انتظار قيام دولة العدل على يَد الإمام المهديّ(عج) _ باعتبارها أحد أوجه الاشتراك بين المذاهب الإسلامية _ إطاراً مناسباً و فرصة ثمينة لتحقيق الانسجام الدينيّ و الإسلاميّ بين المسلمين كافّة، فإذا تمّت هداية تلك العوامل و التعامل معها و إدارتها من قِبل علماء المذاهب بشكل صحيح فسيكون لذلك آثار و بركات لا تُحصى للمجتمع الإسلامي، و أمّا ما ورد في هذه المقالة فلم يكن سوى بيان جانب

---

١. سورة المائدة، الآية ٢.

www.noormags.ir

بسيط من تلك الآثار و البركات.

www.noormags.ir

المصادر

- بابائي زارج، علي محمد (٢٠٠٤م)، امت و ملت در انديشه امام خمينى (رَحمه الله)، طهران، منشورات (مركز اسناد انقلاب اسلامى).
- البحراني، السيد هاشم (١٤١٦ه) ، البرهان في تفسير القرآن، طهران، منشورات (بنياد بعثت).
- بندر ريگي، محمد (١٩٨١م)، فرهنگ عربى به فارسى، ترجمة (منجد الطلاب)، طهران، منشورات (انتشارات اسلامى).
- الترمذي، محمد بن عيسى (٢٠٠٠م)، سنن الترمذي، بيروت، منشورات (دار الكتب العلميّة)، الطبعة الأولى.
- دهخدا، علي أكبر (١٩٥٥م)، لغت نامه دهخدا، طهران، منشورات (جامعة طهران).
- الرازي، فخر الدين (١٤١١ه)، مفاتيح الغيب، قم، منشورات (مركز نشر مكتب الإعلام الإسلامي).
- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (١٣٩٥ه)، كمال الدين و تمام النعمة، طهران، منشورات (اسلاميه)، الطبعة الثانية.
- الطباطبائي، السيد محمد حسين (١٩٩٧م)، الميزان في تفسير القرآن، ترجمه إلى الفارسية: محمد جواد كرماني و محمد علي گرامي قمي، طهران، منشورات (مؤسسة العلامة الطباطبائي العلمية و الفكرية).
- الطبرسي، الفضل بن الحسن (١٩٩٣م)، مجمع البيان في تفسير القرآن، طهران، منشورات (ناصر خسرو)، الطبعة الثالثة.
- العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة (١٤١٥ه)، تفسير نور الثقلين، تحقيق: السيد هاشم رسولي محلاتي، قم، منشورات (إسماعيليان)، الطبعة الرابعة.
- الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (١٤٠٧ه)، أصول الكافي، طهران، منشورات (دار الكتب الإسلامية)، الطبعة الرابعة.
- غارده، لوي (١٩٧٣م)، اسلام دين راست، ترجمه إلى الفارسية: رضا مشايخي، طهران، منشورات (شركة انتشار المساهمة).
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (١٤٠٣ه)، بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، منشورات (دار إحياء التراث العربي)، الطبعة الثانية.
- مساواتي، مجيد (١٩٩٣م)، مبانى جامعه شناسى، تبريز، منشورات (احرار).
- مؤتن، عبد الرشيد (٢٠٠١م)، «نظم اجتماعى و مردم»، ترجمة: محمد شجاعيان، مجلة (كتاب نقد)، السنة الخامسة، العددان ٢٠ و ٢١.

www.noormags.ir

- موسوي أصفهاني، السيّد محمّد تقي (٢٠٠٠م)، مكيال المكارم، ترجمة: السيّد مهدي الحائري القزويني، طهران، منشورات (مكتب بدر للتحقيق و النشر)، الطبعة الخامسة.
- النعماني، محمد بن إبراهيم (١٣٩٧ه)، الغيبة، طهران، منشورات (صدوق)، الطبعة الأولى.

www.noormags.ir

علاقة التعاليم المهدويّة بالتربية و التعليم الإسلاميّة

الدكتور مجتبي گودرزي[1]

الخلاصة

يبحث هذا المقال في مدى تأثير تعاليم المهدويّة على عمليّة التربية و التعليم.

يبتدئ المقال بمقدّمة ثمّ يبيّن مفهوم التربية و التعليم و العلاقة بينهما، ثمّ ينتقل ليبيّن مكانتهما في تعاليم المهدويّة التي تمثّل جانباً من التعاليم الإسلاميّة، مكتفياً بالبحث في مقولتين أساسيّتين من هذه التعاليم، و هما معرفة إمام العصر(عج)، و انتظار الظهور، و بيان مدى تأثيرهما على التربية و التعليم.

تساعد مقولة معرفة الإمام(ع) في معرفة اللّه و صيانة الدين و الخلافة الإلهيّة، أمّا مقولة انتظار الظهور فمن ثمراتها إشاعة روح التفاؤل و بناء الذات و بناء الآخر، و كلتا المقولتين لهما تأثيرهما البالغ على عمليّة التربية و التعليم.

و إذا تأمّلنا في هذه الموارد في إطار باقي الأساليب التربويّة كالاقتداء و النماذج العمليّة و النصح و الإرشاد التي تؤطّر هذه التعاليم و ترسم مساراتها، نرى أنّها تضمن وصول الإنسانيّة إلى مبتغاها المتمثّل بالكمال و السعادة، و تسمو بها إلى آفاق القرب و العبوديّة التي هي الهدف من خلق الإنسان.

إنّ بيان الأساليب الناجعة للتربية و التعليم في التعاليم الدينيّة و الإسلاميّة ـ و التي يندرج قسمٌ منها في تعاليم المهدويّة ـ يساهم في إشباع الحاجات الفطريّة و الحقيقيّة للإنسانيّة.

و لا شكّ في أنّ معرفة تعاليم المهدويّة و العمل وفقاً لها تصل بالإنسان إلى هدفه المقصود، بينما تدفع الطرق و السبل الأُخرى به إلى مهاوي السقوط و الضياع.

---

١. عضو الهيئة العلمية في مؤسسة (دفتر التبليغات) قم.

www.noormags.ir

الكلمات المفتاحيّة:
التعليم، التربية، المعرفة، الانتظار.

المقدّمة

دفعت الحداثة ـ بزخارفها و إغواءاتها الخادعة في الكثير من ميادين الحياة، و خصوصاً ميدان الأخلاق و التربية و التعليم ـ بالمجتمع البشري إلى مهاوي السقوط و العدم. و بدلاً من أن تسير به نحو التكامل و التطوّر في القيم و التعاليم السماويّة و الإنسانيّة، قادته إلى التراجع و السير القهقرائي، فصار هذا المجتمع يحثّ الخُطى نحو العلم، غافلاً أو متغافلاً عن ما يوجّه و يلجم هذا العلم، ألا و هو التربية.

و في غضون ذلك نرى تعاليم الإسلام المشرقة ـ و خصوصاً تعاليم المهدويّة ـ تلقي بأشعّتها الكاشفة على القلوب المستعدّة و المنفتحة على تقبّل الحقّ.

إلاّ أنّ الحالة المؤسفة في بعض البلدان الإسلاميّة، و جهل البعض من المسلمين بهذه التعاليم، هي حالة مؤلمة تثير القلق لدى كلّ الناس الأحرار و المنتظرين الواقعيّين لإمام الزمان(عج).

إنّنا نشهد اليوم ـ ليس في الدول و المجتمعات الغربيّة و الشرقيّة فقط، بل في المجتمعات الإسلاميّة أيضاً ـ أنّه رغم وجود التعاليم الغنيّة إلاّ أنّ تعاليم المهدويّة ـ كالانتظار، و معرفة إمام العصر(عج)، و الدعاء لتعجيل الفرج، و أساس الإمامة و المهدويّة، و أوصاف المنتظرين و واجباتهم، و أمثال ذلك من أُسس التربية و التعليم الإسلاميّة ـ صارت باهتة اللون و لم يبقَ منها سوى شكلها الظاهريّ، و ذلك لعدّة أسباب منها الغفلة، و فقدان المعرفة و البصيرة، و التساهل في مرحلة العمل، و غيرها.

و لا شكّ في أنّ البحث في موضوع المهدويّة _ من أيّ زاويةٍ من زواياه _ هو في حقيقته بحثٌ عن الأمل، و السعادة، و المعنويّة، و الأخلاق، و العدالة و التقوى، و هي الأُمور التي تبعث الآمال في النفوس بالمستقبل المشرق، مضافاً إلى ما تمثّله من انسجامٍ مع الأوامر الإلهيّة و حاجات الإنسانيّة.

و على هذا الأساس، فإنّ دراسة التعاليم المهدويّة و تأثيراتها في ميدان التربية و التعليم يعدّ من أوجب واجبات الباحثين الدينيّين في موضوع المهدويّة. و الذي نراه أنّ من البرامج الأصليّة للمهديّ(عج) في حكومته العالميّة الموعودة هو ترسيخ ثقافة التربية و التعليم الديني و الإسلامي و العقلي في المجتمع، و ذلك بطريقة تصل فيها قابليّات الإنسان العلميّة و معرفته إلى حدّ الكمال.

يقول الإمام الباقر(ع) في هذا المجال:

«إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد، فجمعَ به عقولهم، و أكملَ به

www.noormags.ir

أخلاقهم»[1].

و في ظلّ حكومة الإمام المهدي تنعدم المشاكل الفكريّة و المعرفيّة، حيث ينهل كافّة الناس من المنابع العلميّة الغنيّة التي لا تنضب، و سيعمّ ذلك حتّى النساء من ربّات البيوت.

و جاء في إحدى الروايات المنقولة عن الإمام الباقر(ع) أنّه قال:

إنّ المهدي(عج) في دولته يعلّم جميع الناس الحكمة و العلم، حتّى لتجد النساء في بيوتهنّ يقضين بكتاب اللّه و سنّة رسوله(ص).[2]

و قد شبّه القرآن الكريم ذلك الإمام بالماء العذب، فقال:

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ».[3]

و قد أوّل الإمام الباقر(ع) ماء الحياة هذا بوجود ذلك الإمام و انتشار العلم و المعرفة في صفوف عباد اللّه.

و تعدّ التربية و التعليم ركناً من أركان تعاليم الدين الإسلاميّ السماويّة، حتّى أنّ اللّه تعالى قد أقسم في القرآن الكريم بـ (القلم) باعتباره رمزاً للتربية و التعليم، و كرّم الإنسان بأن اختصّه به.[4]

كما أنّ الرسول الأكرم(ص) أوجب على كلّ مسلم أن يطلب العلم. و كما كان عليه الحال في عصر صدر الإسلام، حيث اتّسمت هويّة المجتمع الإسلامي بسمات التربية و التعليم نتيجة جهود النبيّ و الأئمّة المعصومين عليهم السلام، فكذلك الحال في عصرنا هذا.

إنّ المصادر الإسلاميّة الغنيّة في مجال التربية و التعليم، و خصوصاً تلك العناصر و الحوافز المهمّة كتعاليم المهدويّة التي تؤصّل و تدعم هذه الهويّة، هي اليوم أكثر ممّا كانت عليه في الفترات السابقة. من هنا فإنّ سهولة الوصول إلى مثل هذه المصادر الدينيّة العظيمة تزيد من مسؤوليّاتنا في نشر تلك التعاليم من الناحيتين العلميّة و العمليّة.

و إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ تعاليم الإسلام تندرج ضمن ثلاثة أقسام، هي الأحكام و العقائد و الأخلاق، و أنّ مسائل التربية و التعليم هي من فروع تعاليمه الأخلاقيّة، فحينئذٍ ينكشف لنا بوضوح ما يترتّب علينا من واجب.

إنّ التساهل في الالتزام بالقوانين و الغفلة عن تعاليم المهدويّة الثمينة، اللذان

---

١. محمّدباقر المجلسي، بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٣٦، نشر دارالتعارف، بيروت، بلا تاريخ.

٢. الشيخ الصدوق، كمال‌الدين و تمام‌النعمة، ج١، ص٣٢٥، منشورات مسجد جمكران المقدّس، قم.

٣. سورة الملك، الآية ٣٠.

٤. « ا قْرَأ و رَبُّكَ الأكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ». سورة العلق، الآيات ٣-٥.

www.noormags.ir

يعبّران في الواقع عن تخريب الركن الأخلاقي و التوقّف _ أو التراجع _ في المسيرة التكامليّة، إنّما يطلقان ناقوس الخطر للمجتمعات الإسلاميّة، و خصوصاً المجتمعات الشيعيّة و المنتظرين الواقعيّين لظهور إمام الزمان(عج).

و المقال الحالي مخصّص للبحث في سياق معرفة و بيان تعاليم المهدويّة و تأثيرها على عمليّة التربية و التعليم، و قد تمّ تنظيم مطالبه ضمن ثلاثة أقسام، هي:

الأوّل: مفاهيم التربية و التعليم و معانيهما، و علاقتهما ببعضهما، و أهمّيتهما.

الثاني: مكانة التربية و التعليم في الإسلام، و نظرة الإسلام إلى هذه المفردة، و التكامل في ظلال التربية و التعليم.

الثالث: و قد اكتفي فيه _ بسبب كثرة تعاليم المهدويّة _ بدراسة بعض النماذج فقط، مثل: معرفة إمام العصر(عج)، انتظار ظهور إمام العصر(عج) و تأثير ذلك على عمليّة التربية و التعليم.

أ) تعاليم المهدويّة، التربية و التعليم

١. التعليم

كلمة التعليم هي مصدر على وزن (تفعيل)، مشتقّة من مادّة (علم). و التعليم في اللغة بمعنى إعطاء العلم،[١] و في الاصطلاح بمعنى انتقال المعلومات من المعلّم إلى المتعلّم.[٢]

و قال الراغب في مفرداته: «والتعليم اختصّ بما يكون بتكرير و تكثير حتّى يحصل منه أثر في نفس المتعلّم».[٣]

و يرى البعض أنّ التعليم الاصطلاحي هو عبارة عن تهيئة مستلزمات تنمية و ازدهار القابليّات الذهنيّة للإنسان.[٤] و قال بعضٌ آخر: إنّ التعليم هو تربية قوّة الفكر و البُعد العقلي للإنسان، و ذلك من خلال إيجاد الإبداع و الابتكار في القوّة الفكريّة.[٥]

و على أيّ حال، فإنّ التعليم يتضمّن قسماً يختصّ بالمسائل الفكريّة، و لا علاقة مباشرة له بالعمل، كالرياضيّات و الفلسفة.

---

١. راجع: ابن منظور، لسان العرب، منشورات دار صادر، بيروت.

٢. السيّد مهدي صانعي، پژوهشى در تعليم و تربيت اسلامى (= بحثٌ في التعليم و التربية الإسلاميّة)، ص١٤، منشورات سناباد، مشهد.

٣. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادّة علم، منشورات المكتبة المرتضويّة.

٤. محمّد علي سعادت، اخلاق اسلامى (= الأخلاق الإسلاميّة)، ص٩، مكتب ممثّليّة القائد في الجامعات.

٥. محمّد حسن رحيميان، اخلاق و تربيت اسلامى (= الأخلاق و التربية الإسلاميّة)، ص١٧، منشورات سمت.

www.noormags.ir

و من جانب آخر، فإنّ التعليم يشمل الإنسان و الحيوان؛ إذ كما أنّ الإرادة و الذاكرة و قوّة التفكير موجودة في الإنسان، فإنّها ـ إلى حدٍّ ما ـ موجودة بشكلٍ غريزيّ في الحيوان أيضاً، و إن كان بشكلٍ أضعف.

و يمكن القول _ بصورةٍ عامّة _ أنّ التعليم بمعنى انتقال المعرفة إلى الآخر، و الذي يتمّ بوسائل مختلفة كالعين و الأُذن و غيرها، ربما كان سبباً و عاملاً للسموّ،[1] أو سبباً للفساد و الظلم،[2] سواءٌ كان المتعلّم إنساناً،[3] أو حيواناً،[4] و لا فرق في ذلك إن تمّ عن طريق الكلام،[5] أم عن طريق الوحي و الإلهام.[6]

و التعليم الذي تبحث هذه المقالة فيه هو التعليم المختصّ بالإنسان، و يكون سبباً في تعاليه، و مصدره كلام الوحي و أحاديث المعصومين و تعاليم المهدويّة.

٢. التربية

و مفردة التربية هي مفردة عربيّة، و هي مصدر على وزن (تفعيل).

و تأتي هذه المفردة أحياناً بمعنى التغذية، و أحياناً بمعنى التهذيب و تطهير أخلاق الفرد من السيّئات، أو بمعنى النموّ و التنمية. و قد ذكر الراغب الأصفهاني في المفردات معنى كلمة الربّ فقال: «الربّ في الأصل التربية، و هو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام».[7]

أمّا دهخدا في معجمه لغت‌نامه فذكر التربية بمعنى التنمية و النموّ و التعليم.

أمّا التربية في الاصطلاح فهي عبارة عن تمتين أو تمهيد السبيل أمام تنامي أو ازدهار القابليّات و إظهار القدرات الكامنة لأحد الموجودات على أرض الواقع.[8]

و قال آخرون: إنّ التربية هي إزالة الموانع و تهيئة مستلزمات تفتّح إمكانات الإنسان في مسيرته التكامليّة، أو بعبارةٍ أُخرى إنّ التربية هي استخراج قوى و قابليّات الإنسان الداخليّة.[9]

---

١. ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾. سورة الكهف، الآية ٦٦.

٢. ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المَرْءِ و زَوْجِهِ﴾. سورة البقرة، الآية ١٠٢.

٣. ﴿عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. سورة العلق، الآية ٥.

٤. ﴿و مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّه﴾. سورة المائدة، الآية ٤.

٥. ﴿و يُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ و الحِكْمَةَ﴾. سورة الجمعة، الآية ٢.

٦. ﴿و إذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ و الحِكْمَةَ﴾. سورة المائدة، الآية ١١٠.

٧. مفردات غريب القرآن، ص١٨٤.

٨. أميرحسين بانكي‌پور، و أحمد قماشچي، تعليم و تربيت از ديدگاه مقام معظم رهبرى (= التعليم و التربية من منظار سماحة القائد)، ج١، ص٥٣، منشورات مركز دراسات التربية الإسلاميّة.

٩. مجيد رشيدپور، آشنايى با تعليم و تربيت اسلامى (= أضواء على التعليم و التربية الإسلاميّة)، ج٧، ص١١، منشورات جمعيّة الآباء و المعلّمين.

www.noormags.ir

و التعريف الأوّل أكثر شموليّة من التعريف الثاني، فهو يشمل كلّ الموجودات، بما فيها
بذرة التفّاح التي تحمل في داخلها قابليّة التحوّل إلى التفّاحة، و انتقال هذه القابليّة إلى الفعليّة عند توفّر الشروط المطلوبة. و لهذا السبب فإنّ بذرة التفّاح هي تفّاحة بالقوّة.

و هكذا الأمر بالنسبة للإنسان أيضاً، فإنّ تهيئة المستلزمات المطلوبة لإظهار قابليّاته الداخليّة في سعيه للوصول إلى المستوى المطلوب يسمّى تربية، و هي التي تغطّي كافّة أبعاده الوجوديّة.

و التربية في المعارف الإسلاميّة هي نموّ القابليّات الروحيّة و الأخلاقيّة في المسيرة الطبيعيّة لتطوّر الإنسان من حالته الجنينيّة إلى البلوغ بعد تشكيل هيكله الجسمي و الحيواني. و ماهيّة الإنسان في مسيرة التربية تقوم على أساس الاختيار و الإرادة. و من هنا قالوا في علم الأخلاق: إنّ الإنسان لمّا كان يمتلك حرّيّة الاختيار فإنّه مستعدّ لتقبّل الماهيّات المختلفة، في حين أنّ الموجودات الأُخرى كالحيوان و النبات ليس أمامها سوى ماهيّة واحدة لا تستطيع تبديلها، كالتفّاحة التي ليس لها سوى ماهيّة التفّاح، أو الفرّوج الذي لا يمكنه إلاّ أن يصير دجاجة. و من هنا ما نراه في عالم الإنسانيّة من وجود أفراد يختلفون اختلافاً كاملاً في ماهيّاتهم الداخليّة و شخصيّاتهم، بل قد يتناقضون أحياناً.

إنّ إنسانيّة الإنسان تتوقّف على ماهيّته الإنسانيّة التي تتشكّل عبر النموّ المتوازن و الانتعاش المنسجم للقابليّات الداخليّة و الأبعاد الروحيّة و الفطريّة. و الإنسان يمتلك قابليّات عجيبة و ثمينة، و هي التي عبّر عنها الرسول الأكرم(ص) و سلّم بقوله: «الناس معادن كمعادن الذهب و الفضّة».[1]

و هذا الكلام يضع على عاتق الإنسان مسؤوليّة السعي في مسيرته التربويّة كي يتغلّب على موانع انتعاش قابليّاته و تهيئة مستلزمات انتقال هذه القابليّات إلى مرحلة الفعليّة و التحلّي بالصفات و الكمالات الإلهيّة.

و هنا يمكن لأحدٍ أن يتساءل: هل التربية الدينيّة ـ التي يبحث المقال الحالي فيها ـ إيجاد شيءٍ في الإنسان لم يكن موجوداً فيه من قبل، أم إنّ أساس التربية الدينيّة مرتكز في الإنسان منذ اللحظات الأُولى لوجوده؟

و الذي نستشفّه ممّا ورد في التعريف الثاني للتربية هو أنّ أُسس التربية هي أُمور فطريّة. و لا شكّ في أنّ الإنسان هو هدف التربية و التعليم، و أنّه يمتاز بخصائصه الفطريّة، و هي التي تستند إليها التعاليم الدينيّة. و من هنا قيل: إنّ منشأ

---

١. سفينة البحار، ج٢، ص١٦٨، مادّة عدن.

www.noormags.ir

التربية هو الوحي و الكلام الإلهي الذي هو السبب في ازدهار قابليّات الإنسان و تربيته الكاملة.[1]

و على هذا فالمراد من التربية في هذا البحث هو التربية الإسلاميّة التي يعدّ الوحي الإلهي و تعاليم الأنبياء و الأئمّة المعصومين(عليهم‌السلام) مصدرها الأساس.

٣ـ علاقة التربية بالتعليم، و الفرق بينهما

يمكن من خلال تعاريف التربية و التعليم استنتاج أنّ التعليم هو جزء من أجزاء التربية؛ لأنّ التعليم يستهدف البُعد الفكري للإنسان، أمّا التربية فهي ثمرة تنمية و ازدهار القابليّات الوجوديّة للإنسان. أضف إلى ذلك أنّ التربية في كلّ ميادينها تحتاج إلى التعليم؛ لأنّ المربّي لكي يربّي المتربّي ملزم بأن يُطلعه على الحقائق و المطالب كي يتمكّن من خلال علمه و عمله وفقاً للموازين التي تعلّمها أن يصل إلى تنمية و تكامل أبعاده الروحيّة و المعنويّة.

و على هذا، فالتعليم هو الشرط اللازم للتربية، و التربية تحتاج إلى التعليم احتياجاً ماسّاً.

و لو قارنّا التعليم بالتربية فلن نجد فيه تلك العموميّة الموجودة فيها، و هو من وسائل تنفيذ قوانينها. بل إنّه يعدّ ـ في الواقع ـ جزءاً من الوسائل العمليّة؛ حيث تحتاج تنمية القابليّات إلى بعض الوسائل التي يعدّ التعليم واحداً منها، و مع ذلك فإنّ أحدهما يعتمد على الآخر.

و النسبة المنطقيّة بين هذين الأمرين هي نسبة العامّ و الخاصّ المطلق، بمعنى أنّ كلّ تعليم هو مصداق للتربية، إلاّ أنّ كلّ تربية ليست مصداقاً للتعليم.[2]

إنّ مفهوم التعليم أضيَق من مفهوم التربية، فوظيفة التعليم هي تجهيز ذهن المتعلّم، و وظيفة التربية هي الاهتمام بتلبية الميول الفطريّة و القابليّات المختلفة للمتربّي. و من هنا نجد مضامين الآيات و الأحاديث قد وضعت التربية في المرتبة الأُولى،[3] أي إنّ التربية الروحيّة و المعنويّة أكثر أهمّيّةً من التعاليم الفكريّة؛ حيث إنّ التعليم من دون تربية تكون ثماره سلبيّة، و يستفاد منه للوصول إلى أهدافٍ منحرفة.

و على هذا فنحن نعتقد إنّنا باتّباع تعاليم المهدويّة ـ مضافاً إلى ما يضمنه ذلك من

---

١. راجع: غلامرضا غياثي، تعليم و تربيت در اسلام (= التعليم و التربية في الإسلام)، ج١، ص٢٧، منشورات بيان الحقّ.

٢. پژوهشى در تعليم و تربيت اسلامى (= بحثٌ في التعليم و التربية الإسلاميّة)، ج١، ص١٦.

٣. راجع: سورة الجمعة، الآية ٢؛ سورة البقرة، الآية ١٥١؛ و سورة آل‌عمران، الآية ١٦٤.

www.noormags.ir

تحقيق البلوغ الفكري و تعميق الوعي بسبيل السعادة ـ يمكن أن نخطو خطوات واسعة في مسيرة تربيتنا حتّى نصل إلى الهدف النهائي، ألا و هو القرب الإلهي.

٤. المراد من تعاليم المهدويّة

من هنا يمكن القول إنّ المراد من تعاليم المهدويّة هي التعاليم و العناوين ذات الصلة بالمهدويّة، كالاعتقاد بالإمام المهدي(عج)، و ظهوره و قيامه. كما تشتمل ـ مضافاً إلى ذلك ـ على الفرضيّات و المسائل الكلاميّة كمبدأ الإمامة و المهدويّة، و تشخيص الإمام و معرفته، و أدلّة إثبات وجود إمام العصر(عج)، و إمكانيّة مقابلته و وقوع ذلك، و الانتظار، و الدعاء لتقريب الفرج، و واجبات المنتظرين، و غير ذلك من المسائل التي تمثّل مواضيع البحث في هذا المقال.

و قد سعينا في هذا التحقيق إلى البحث في موضوعين من المواضيع المختلفة في تعاليم المهدويّة، و هما مسألة معرفة إمام العصر(عج) و مسألة الانتظار ـ باعتبارهما من التعاليم المهمّة و الأساسيّة للمهدويّة ـ و أثرهما على الجوانب المختلفة من عمليّتي التربية و التعليم، و من ثمّ نحاول من خلال خلاصة البحث و نتيجته تقديم نظرية موثّقة و معقولة.

لقد كانت التربية و التعليم ـ و منذ أزمانٍ طويلة ـ مورداً لبحث علماء الأخلاق، و قد تناولها بالبحث أمثال الشيخ نصير الدين الطوسي في كتابه اخلاق ناصري (= الأخلاق الناصريّة)، و الغزّالي في كيمياى سعادت (= كيمياء السعادة)، كما تدلّ آثار هؤلاء العلماء على أهمّيّة هذا الموضوع. و قد بحث علماء النفس و المتخصّصون في التربية و التعليم أيضاً هذا الموضوع و ناقشوا في العوامل المؤثّرة في التربية. و يضاف إلى ذلك أنّ الأُمم المتحضّرة اليوم تعطي أهمّيّة فائقة للتربية و التعليم و تضعهما في صدر برامجها للحياة الفرديّة و الاجتماعيّة؛ و ذلك لأنّها أدركت أنّ رفاه الإنسان و استقراره و مهارته و تخصّصه ـ و سعادته و كماله و حركته بالاتّجاه الصحيح في النظرة المتعالية ـ كلّها تتوقّف على كيفيّة التربية و التعليم.

إنّ التربية هي من أصعب الأعمال في الحياة الإنسانيّة؛ لأنّ الإنسان يمتاز بصفات معقّدة و مجهولة من الرغبات و الإحساسات و الحاجات و المتطلّبات و الميول، و أنّه مع امتلاكه للقوى المعنويّة و العقل و المنطق و الفطرة يمكن التأثير عليه و تكوينه و توجيهه تربويّاً. كما أنّه مع ذلك يمتلك قابليّات واسعة و قدرات محيّرة أيضاً. و كلّ ذلك يجعل من موضوع التربية واحداً من أعقد المسائل الإنسانيّة، و من أوجبها أيضاً. و هذه الأهمّيّة ليست منحصرة في البلاد الشرقيّة و الإسلاميّة

www.noormags.ir

فقط، بل إنّ هذا الأمر لم يعد خافياً حتّى على علماء الغرب.

يقول الفيلسوف كانط عن هذا الأمر:

إنّ التربية و التعليم من أهمّ و أعقد المسائل التي تجابه الإنسان... إنّ ابتكارين من ابتكارات البشر يمكن أن نعتبرهما من أعقد المسائل التي تجابه الإنسان: نهي الحكومة للناس، و سرّ تعليمهم و تربيتهم... .[1]

و يمكن إدراك خطورة التربية و التعليم إذا تصوّرنا زماناً لا تتوفّر فيه للإنسان أيّ

إمكانيّة للتأثير في الآخرين بالتربية و التعليم. و من البديهي أنّ الحال في مثل هذه الظروف سيؤول بعد مدّة إلى أن يصير الإنسان كامل الشبه بالحيوانات، و يبتعد عن

التربية و التعليم و ثمارهما المتمثّلة بالفنون و الآداب و المعنويّات و الفضائل و التقاليد الاجتماعيّة و الإنسانيّة.

هذا من ناحية، و من ناحية أُخرى فإنّ الإنسان المحروم من التربية و التعليم سوف لن يعثر على شخصيّته الواقعيّة، و يبقى جاهلاً بحقيقته و هويّته المستقلّة.

من هنا، يمكن للتربية و التعليم أن تسموا بروح الإنسان الملكوتيّة إلى قمّة الكمال و تكشفا عن وجهه الواقعي. إذن، فالتربية و التعليم بمفهومهما الديني و الإلهي هما اللذان يمكنهما أن يبعثا شخصيّة الإنسان و هويّته الواقعيّة الإنسانيّة، و يوصلانه إلى ذروة الكمالات المعنويّة، و هنا تكمن ضرورتهما.

٥ـ مكانة التربية و التعليم في الإسلام

مع ظهور الإسلام بلّغ الرسول الأكرم(ص) و سلّم آخر البرامج الهادفة إلى كمال البشر و سعادتهم. و في الوقت الذي كانت البشريّة فيه غارقة في ظلمات الجهل و الهمجيّة، انبرى ليحثّهم على تحصيل العلم و التحلّي بالفضائل الأخلاقيّة، و أوجب طلب العلم على كلّ مسلم.[2]

و قد شبّه الإسلام ذلك الشخص الذي لم يحظَ بحظٍّ من التربية و التعليم بالشخص التائه في الصحراء القاحلة، و الذي تكون عاقبته الهلاك و الخسران.[3]

و قال اللّه تعالى في قرآنه الكريم: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو

---

١. له تان خوي، آموزش و پرورش، فرهنگها و جوامع (= التعليم و التربية، الثقافات و المجتمعات)، ترجمة محمّد يميني دوزي سرخابي، ج١، ص١١، منشورات جامعة الشهيد بهشتي.

٢. راجع: محمّد بن يعقوب الكليني، أُصول الكافي، باب فرض العلم، منشورات گل گشت.

٣. Γو نُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّه كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَΦ. سورة الأنعام، الآية ٧١.

www.noormags.ir

عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ و يُزَكِّيهِمْ و يُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ و الحِكْمَةَ».[١]

و طلب الإمام السجّاد(ع) من اللّه سبحانه أن يعينه على تأديب أبنائه و تربيتهم و الإحسان إليهم، فقال: «وأعنّي على تربيتهم و تأديبهم و برّهم».[٢]

فمن جهة يكون دور التربية و التعليم هو تعيين الأهداف، و من جهة ثانية تكون أُصول التربية الإسلاميّة و مبادؤها وحيانيّة. و على هذا تكون الأهداف أهداف سامية أيضاً، و هي مشتقّة من نفس هذه المعارف و المبادئ. و هذه الأهداف تتّسم بالشموليّة و الترابط، و يمكن البحث فيها من زوايا المحاور العقائديّة و الأخلاقيّة و العلميّة و الثقافيّة و الاجتماعيّة. و هي بالتالي تتمحور حول المحور المشترك المتمثّل في عبادة اللّه الواحد، أي في الهدف الأصلي لخلق الجنّ و الإنس.[٣]

و هكذا يمكن القول إنّ عبوديّة الإنسان تصير سبباً في أن تكون جميع أبعاد حياته الفرديّة و الاجتماعيّة في إطارٍ منسجمٍ مع الفطرة. و يمكن القول بعبارةٍ أُخرى إنّ الهدف النهائي للتربية و التعليم في الإسلام هو الرقيّ في المراتب و الدرجات القلبيّة في ظلال المعرفة الإلهيّة، و ذلك كي ينال الإنسان لياقة القرب الإلهي.

و لمّا كان الهدف الأصلي في الإسلام هو القرب الإلهي، فإنّ تعاليم المهدويّة المستقاة من المَعين القرآني و الروائي، تستهدف نفس هذا الهدف، و تكون نسبتها إلى تعاليم الإسلام و قوانينه هي نسبة العامّ و الخاصّ المطلق.

إنّ تعاليم المهدويّة ـ في الواقع، و كما سنشير إلى نموذجٍ منها ـ هي جزء من تعاليم الإسلام و ممارساته التربويّة، و إنّهما يشتركان في الهدف المتمثّل في القرب الإلهي.

و الوجه الآخر المشترك بين تعاليم المهدويّة و بين التربية و التعليم هو مصادرهما المشتركة؛ لأنّ مصدر كلا الأمرين هو القرآن الكريم و سنّة الرسول الأعظم(ص) و سلّم و العقل،[٤] و موضوعهما هو الإنسان.

و يكمن الفرق الوحيد بينهما في تسمية الساعي إليهما، فطالب تعاليم المهدويّة هو المنتظِر، و طالب التربية و التعليم هو المتربّي. و لا شكّ في إمكانيّة أن يتّحد المنتظِر و المتربّي في العمل بالتعاليم الإسلاميّة و تعاليم المهدويّة.

---

١. سورة الجمعة، الآية ٢.

٢. الصحيفة السجّاديّة، الدعاء ٢٥.

٣. ﴿و مَا خَلَقْتُ الجِنَّ و الإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾. سورة الذاريات، الآية ٥٦.

٤. راجع: العلاّمة محمّد تقي الجعفري، تعليم و تربيت اسلامى (= التعليم و التربية الإسلاميّة)، ج١، ص١٣، منشورات پيام آزادي (= نداء الحرّيّة).

www.noormags.ir

ب) تأثير تعاليم المهدويّة على عمليّة التربية و التعليم

تنحو تعاليم المهدويّة في مسارها نفس منحى عمليّة التربية و التعليم، بل هي جزء منها، و هي تأخذ بيد الإنسان لتسير به في اتّجاه الرفعة و التعالي و الوصول إلى الكمال، حتّى ينال القرب الإلهي.

و واسطة هذه التعاليم الإلهيّة هم القادة السماويّون الذين صاروا بفضل تألّقهم الفكريّ و الذهني و التربويّ مظاهراً لأسماء اللّه و صفاته، و مشاعل هدايةٍ لعباده.

و في هذا المقال _ و بسبب كثرة تعاليم المهدويّة _ نكتفي بالبحث في نموذجين فقط من هذه التعاليم، و هما معرفة إمام العصر(عج)، و الانتظار، و اللذان هما من أهمّ هذه التعاليم و أكثرها نفعاً.

١_ معرفة إمام العصر(عج)

قلنا سابقاً أنّ الهدف من خلق الناس و الجنّ هو لغرض عبادتهم للّه تعالى. و القرب الإلهي يحصل من خلال العبوديّة، و هذه العبوديّة لها الأفضليّة بين أعمال الإنسان الاختياريّة، و في الآخرة تكون سبباً في استحقاق الإنسان للثواب أو للعقاب.

إنّ الإنسان يدرك من خلال عقله أنّه يجب أن يكون عبداً لخالقه و المُنعم عليه. و هذا العقل نفسه يقضي بأنّ على الإنسان أن يتعلّم سبيل العبوديّة و كيفيّتها من اللّه نفسه، خصوصاً إذا علمنا أنّ اللّه لم يتركنا وحيدين حائرين بل أرسل الرسل كي يعلّمونا الطريقة الصحيحة لعبادته.

إنّ النقطة الأهمّ في فلسفة النبوّة و الإمامة هي قيام الأنبياء و الأئمّة بتعليم الناس طريق عبوديّة اللّه بصورةٍ صحيحة. و يمتاز الرسول الأكرم(ص) و سلّم و أهل بيته على باقي رسل اللّه و أوليائه بميزة خاصّة في هذا المجال.[١]

و قد جاء في الروايات أنّ كلّ مَن نالَ شيئاً من الكرامات إنّما نالها بسبب هذه الميزة الخاصّة، أي ميزة معرفة فضيلة أهل‌البيت(عليهم‌السلام) و الإقرار بها. و بهذا المعنى قال الإمام الصادق (ع): «ما نُبّئ نبيٌّ قطّ إلاّ بمعرفة حقّنا، و بفضلنا على مَن سِوانا».[٢]

و لمّا كانت أعلى المراتب الإلهيّة _ و هي النبوّة _ تحصل بسبب المعرفة، فمن باب أولى أن تتوقّف باقي المراتب عليها أيضاً.[٣]

و من هنا نفهم ما ورد في الخبر التالي عن الحارث بن المغيرة، قال: قلت لأبي

١. راجع: بحارالأنوار، ج٢٦، ص٢٧٣ و ٣١٠؛ كمال‌الدين و تمام‌النعمة، ج٤، الباب ٢٣.
٢. بحارالأنوار، ج٢٦، ص٢٨١.
٣. راجع: المصدر نفسه، ج٤٠، ص٩٦؛ و ج٢٤، ص٢٠١.

www.noormags.ir

عبدالله (ع): قال رسول اللّه(ص) و سلّم: «مَن مات [و] لا يعرف إمامه مات ميتةً جاهليّة». قال: «نعم». قلت: جاهليّة جهلاء، أو جاهليّة لا يعرف إمامه ؟ قال: «جاهليّة كفرٍ و نفاقٍ و ضلال».[١] و قال رسول اللّه(ص) و سلّم أيضاً: «مَن مات و لم يعرف إمام زمانه ماتَ ميتةً جاهليّة».[٢]

و هذا النوع من المعرفة ليس شكليّاً و لا مظهريّاً، بل هي معرفة صحيحة و عميقة لجميع الأبعاد الوجوديّة للإمام و القائد السماوي، إنّها معرفة بجميع شؤون الإمام بما فيها زعامته السياسيّة و مكانته القضائيّة، و مرجعيّته الدينيّة، و ولايته المعنويّة و التكوينيّة و التشريعيّة. و هي معرفة يتبعها محبّة الإمام و قبول ولايته، و لها آثارها الواسعة في التكامل الفردي و الاجتماعي.

و يمكن تعيين و تشخيص مصاديق معرفة الإمام من خلال الرجوع إلى الأدلّة النقليّة في أحاديث رسول اللّه(ص)، و قد صرّحت حتّى بغَيبتَي الإمام الثاني عشر. و الذي يظهر من أدلّتها القطعيّة أنّ المراد من معرفة الإمام في عصر الغَيبة هو معرفة إمام العصر(عج)، تلك المعرفة التي لها دورها المهمّ في تعليم الإنسان و تربيته.

٢ـ تأثير معرفة إمام العصر(عج) على التربية و التعليم

قلنا أنّ التعليم يختصّ بالبُعد الذهني و الفكري للإنسان، و أنّ التربية هي تفتّح القابليّات الداخليّة للإنسان، و العلاقة بينهما في مقام التعريف هي علاقة العامّ و الخاصّ المطلق.

و الواقع أنّ التعليم يُعدّ جزءاً من التربية، و لكنّ هذه التعاريف إنّما تكون مستقلّة و منفصلة في مقام التحليل الذهني و العلمي، بينما هي في مجال الأخلاق الإسلاميّة كلٌّ لا يتجزّأ، و لا معنى لها إلاّ حينما تكون معاً. و التعليم له قيمة و آثار إيجابيّة هي نفسها التي تخلّفها التربية وراءها أيضاً.

و ما نجده في المعارف الإسلاميّة أنّ التعليم إذا لم يكن مرفقاً بالتربية يكون ضارّاً و له آثار سلبيّة و غير تربويّة. و بناءً على ذلك يكون أثر التعليم متوقّفاً على اقترانه بالتربية، بينما تمتاز التربية بالفضيلة إذا استندت إلى العلم و المعرفة و البصيرة. و من هنا استعملت مفردتَي التربية و التعليم بمعنىً واحد في المعارف الإسلاميّة.

و هذا المقال هو تحقيق يسعى إلى التنظير من خلال بيان التأثير، و يبحث تأثير

---

١. أُصول الكافي، ج٢، باب مَن مات و ليس له إمام، ح٣.

٢. القندوزي الحنفي، ينابيع المودّة، الباب ٢٩، ص١٣٧، منشورات المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف.

www.noormags.ir

معرفة الإمام(ع) _ التي هي إحدى تعاليم المهدويّة _ على التربية و التعليم، مرّةً من زاوية النظريّة و العلم، و أُخرى في مقام العمل و التطبيق.

إنّ معرفة الإمام تؤثّر على التربية و التعليم من عدّة منافذ، نكتفي نحن بالبحث عن ثلاثٍ منها، أي: معرفة اللّه، صيانة الدين و الخلافة الإلهيّة.

الأوّل: معرفة اللّه

طبقاً لما تقرّره الروايات و الأحاديث فإنّ معرفة اللّه بالمعنى الصحيح للمعرفة، تحظى بأهمّيّة خاصّة؛ لأنّ كلّ الأشياء هي بمثابة المقدّمة للوصول إلى هذه المرحلة.

و هذه المعرفة إمّا أن تكون حضوريّة أو حصوليّة. و الحضوريّة _ أو الشهوديّة _ هي تلك التي يصل لها الإنسان دون واسطة، و ذلك بأنّ يجد الإنسان رضا اللّه في فطرته و يتعرّف عليه. كما أنّ صفات اللّه أيضاً يمكن معرفتها عن طريق الشهود أيضاً.

أمّا المعرفة الحصوليّة فلا يمكن الوصول إليها إلاّ بالواسطة. و هذه الواسطة إمّا أن

تكون من خلال صفات اللّه كالعلم و القدرة و الحكمة، أو من موارد أُخرى كالنظام و الطبيعة، أو من خلال خلفائه الذين هم محلّ تجلّي الصفات الإلهيّة كالرسل و الأئمّة بما فيهم إمام العصر(عج).

و على هذا فإنّ معرفة إمام العصر(عج) في بُعدها النظري تتضمّن التعليم و المعرفة الصحيحة للّه، الأمر الذي يعدّ من أركان و مبادئ النظرة الكونيّة للإنسان؛ لما يترتّب على هذه المعرفة من الآثار التربويّة العديدة.

و ورد في دعاء طلب المعرفة الشهير: «اللهمّ عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك. اللهمّ عرّفني رسولك، فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك. اللهمّ عرّفني حجّتك، فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللتُ عن ديني».[1]

و هذا الدعاء يدلّ على معرفة اللّه الحضوريّة، مثلما يدلّ على معرفته الحصوليّة؛ لأنّ المرء إذا عرف اللّه بأسماء و صفات كمال و جمال و جلال الحقّ باعتبارها الطريق الوحيد لمعرفته، فإنّه سيدرك بحكمته وجوب وجود وسائط كالأنبياء و الأئمّة في صفوف عباد اللّه لهداية البشر و توجيههم نحو صراط السعادة، و إلاّ فإنّه سوف لا يُعرف.

و بعبارةٍ أُخرى فإنّ طريق معرفة اللّه _ بمقتضى ذاته و صفاته _ يتوقّف على

١. أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب في الغَيبة، ح٥. و قد ورد هذا الدعاء عن الإمام الصادق عليه السلام ضمن إجابته على سؤال زرارة الذي كان قد سأله: جُعلت فداك، إن أدركت ذلك الزمان [أي زمان الغيبة] أيّ شيءٍ أعمل؟

www.noormags.ir

معرفة المصطَفين من خلقه.

أضف إلى ذلك، إنّ الإنسان إذا لم يعرف حجّة اللّه فإنّه سوف لن يتمكّن من حفظ دينه. و الآن حيث الإمام المهدي(عج) هو حجّة اللّه و خليفته في أرضه، فإنّ الإنسان إذا لم يعرف هذا الإمام سوف لن يتمكّن من معرفة اللّه.

و على هذا، تكون معرفة اللّه معرفة حضوريّة عن طريق معرفة الإمام؛ لأنّ الأئمّة المعصومين يأخذون بأيدي الآخرين و يقودونهم على الطريق الصحيح حتّى يوصلونهم إلى الهدف المقصود.

يقول الإمام الباقر(ع) بهذا الصدد: «بنا عُبِدَ اللّه، و بنا عُرِفَ اللّه، و بنا وحِّدَ اللّه تبارك و تعالى، و محمّد حجاب اللّه تبارك و تعالى».[1]

كما ورد عن الإمام الصادق(ع) أيضاً: «الأوصياء هم أبواب اللّه عزّ و جلّ التي يؤتى منها، و لولاهم ما عُرف اللّه عزّ و جلّ، و بهم احتجّ اللّه تبارك و تعالى على خلقه».[2]

و على هذا، و كما ذكرنا، فإنّ معرفة الإمام هي من الأُمور الواجبة، و هي جزء من تعاليم المهدويّة، و واحدة من طرق معرفة اللّه. إنّ الإمام هو خليفة اللّه و مظهر أسمائه و صفاته، و هو قادر على أن يرسم الصورة الصحيحة لمعرفة اللّه أمام أنظار الآخرين كي لا يضلّوا و يسلكوا الطريق الخاطئ إلى هذا الركن العقائدي. و على هذا تكون معرفة الإمام واحدةً من ثمرات التعليم.

و يمكن القول من الناحية العلميّة و التربويّة أنّ مثل هذا النوع من المعرفة الصحيحة لإمام العصر(عج) تصير سبباً في نجاة الإنسان من الانحراف و سوء الظنّ في زمن غَيبة الإمام، و يواصل مسيرته الولائيّة راسخ القدم في قبوله العمليّ للإمام، و تكون أعماله مستندة إلى الوعي النابع من العلم و المعرفة التي لديه.

يقول الإمام السجّاد(ع) لأبي خالد الكابلي: «إنّ للقائم منّا غَيبتَين، إحداهما أطْوَل من الأُخرى... و أمّا الأُخرى فيطول أمدها حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر مَن يقول به، فلا يثبت عليه إلاّ مَن قَوَى يقينه، و صحّت معرفته، و لم يجد في نفسه حَرَجاً ممّا قضَينا، و سلَّمَ لنا أهل‌البيت».[3]

و هذا يعني أنّ المعرفة الصحيحة بالإمام و حديثه _ بعد اقترانها بالتعليم و إراءة الطريق الصحيح _ تجعل الإنسان راسخ القدم و صامداً في ميدان العمل بحيث لا يملّ و لا يتعب من تطبيق أحكام الإسلام النورانيّة، بل يضاعف من إصراره و

١. أُصول الكافي، كتاب التوحيد، باب النوادر، ح٥. و الحجاب في هذا الحديث بمعنى الواسطة.
٢. الكافي، ج١، ص١٩٣، باب أنّ الأئمّة هم خلفاء اللّه في أرضه، ح٢.
٣. كمال‌الدين و تمام‌النعمة، الباب ٣١، ح٨.

www.noormags.ir

مواصلته بفضل ما لديه من العلم و المعرفة.

الثاني: حفظ الدين

إنّ الدين هو مجموعة القوانين و الأوامر التي أنزلها اللّه على أنبيائه لهداية عباده، و جعل أوصياء هؤلاء الأنبياء حرّاساً و حماةً لهذا الدين.

و هكذا دين الإسلام الذي أنزله اللّه تعالى على رسوله الأكرم(ص) و سلّم أيضاً، حيث تقع مهمّة صيانة هذا الدين على أوصياء الرسول، و هم الأئمّة الاثنى عشر.

و هكذا فمعرفة الإمام(ع) هي في الحقيقة معرفة الحافظين الذين هم معلّمي الدين و مترجميه. بل يمكن القول إنّ الدين يساوق معرفة حافظ الدين (الإمام) الذي تكون نتيجة عدم معرفته هي الضياع و الانحراف. الأمر الذي يؤيّده دعاء طلب المعرفة الذي علّمه الإمام الصادق(ع) لزرارة، و طلب منه أن يقول: «اللهمّ... إن لم تعرّفني حجّتك ضللتُ عن ديني».[1]

إنّ علّة هذا الضياع ليست مجرّد أنّ عدم معرفة الإمام تكون سبباً في الجهل بالدين و عدم معرفة أحكامه، لأنّ من المسلّمات أنّ أحكام الدين و فروعه لا يمكن الوصول إلى معرفتها إلاّ عن طريق أهل‌البيت(عليهم‌السلام)؛ و لكنّ الأهمّ من ذلك هي أُصول الدين و الركائز العقائديّة، و معرفة الإمام هي محور العقائد و خلاصتها جميعاً، لأنّ وجود الإمام يعني توفير كلّ العقائد الصحيحة في متناول الإنسان.

يقول عبدالله بن سنان إنّ الصادق(ع) قد تحدّث عن فترة غياب الإمام المهدي(عج) و قال: «ستصيبكم شبهة، فتبقون بلا عَلَمٍ يُرى، و لا إمام هُدى؛ لا ينجو منها إلاّ مَن دعا بدعاء الغريق»، و الدعاء هو أن تقول: «يا اللّه، يا رحمن، يا رحيم، يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك».[2]

و هنا يجب الالتفات إلى اسم هذا الدعاء (الغريق)، فالغريق هنا يعني ذلك الشخص الذي غرق في فِتَن و شبهات مآزق عصر الغَيبة، و قد يئسَ من نجاته من حبائل هذه الفِتَن و أسْرِها، إلاّ إذا جاء من ينجيه و يخلّصه من هذه المآزق. و هذا الدعاء يشير إلى الشخص الذي يجب طلب مساعدته، و ما هي الموارد التي يطلب الإنسان فيها مساعدة المنقذ.

و في عصر الغيبة، و بسبب غياب إمام العصر(عج)، و بُعده الظاهري، و انعدام إمكانيّة زيارته أو مقابلته، فإنّ الإنسان يجابه العديد من المشكلات التي تجعله حائراً و لا يبقى أمامه سوى طلب العون من اللّه. و قد قضت السنّة الإلهيّة أنّ مثل

---

١. أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب في الغيبة، ح٥.

٢. بحارالأنوار، ج٥٢، ص١٤٩.

www.noormags.ir

هذا النوع من المساعدة إنّما يأتي من مجراه الطبيعي، ألا و هو النبوّة و الإمامة التي هي مظهر التعاليم الإلهيّة. مضافاً إلى أنّ الواجب في هذا العصر هو اللجوء إلى القوانين الدينيّة لنيل الاطمئنان القلبي من خلال العمل بهذه القوانين، و هنا أيضاً نجد أنّ المفسّر و المبيّن لهذه القوانين الدينيّة هم الأئمّة الهداة إلى الدين و أدلّته.

و وفقاً لبعض الروايات فإنّ حفظ الدين في عصر الغيبة هو من الأُمور الصعبة جدّاً، إلاّ أنّ ذلك ممكن أن يحصل للبعض من خلال الاستعانة بهداية الإمام التي هي من فروع معرفته، و لا شكّ أنّ هناك مَن هذا هو حاله.[١]

و نُقل عن رسول اللّه(ص) و سلّم أنّه دعا في حضور أصحابه فقال: «اللهمّ لَقِّني إخواني»، فقال له أصحابه: ألسنا نحن إخوانك ؟ فأجابهم: «لا، إنّكم أصحابي، و إخواني قومٌ في آخر الزمان، آمنوا و لم يَرَوني. لقد عرّفنيهم اللّه بأسمائهم و أسماء آبائهم من قبل أن يخرجوا من أصلاب آبائهم و أرحام أُمّهاتهم، لأحدهم أشدُّ بقيّةً على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا،[٢] أُولئكَ مصابيح الدجى، يُنجيهم اللّه من كلّ فتنة غبراء مظلمة».[٣]

إنّ حفظ دين المرء و تديّنه بهذا الشكل الذي لا يخلو من تحمّل المشاقّ و الصعوبات القاسية، و الذي ينال به الأجر الأُخروي، لا يمكن حصوله دون معرفة إمام العصر(عج) و الإقرار العملي بولاية الإمام.

و على هذا، فإنّ معرفة هذه المسألة بالنسبة للمسلمين _ و خصوصاً المنتظرين الحقيقيّين لظهور ذلك الإمام _ هي التي تقودهم إلى السعادة و ترسم لهم البرنامج الذي يوصلهم إليها.

إذن، فلا شكّ في أنّ وجود مثل هذا المشعل يتيح للإنسان _ من خلال إرادته و اختياره و إدراكه للواجب _ أن يستفيد من هذه التعاليم و يعمل بها في مسيرة تنمية قابليّاته الداخليّة. و يقال إنّ مَن تزداد معرفته و علمه، فإنّ هذا العلم سيدفعه _ غالباً _ إلى العمل و ترسيخ و انتعاش ما يمتاز به من القابليّات.

و هكذا تكون معرفة إمام العصر(عج) في عصر الغيبة سبباً في إدراك حقيقة عدم إمكانيّة حفظ الدين إلاّ من خلال معرفة الإمام. و هكذا في مقام التربية فإنّها

---

١. ورد عن الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أ نّه قال: «يا عليّ، و اعلم أنّ أعجب الناس إيماناً و أعظمهم يقيناً، قومٌ يكونون في آخر الزمان، لم يلحقوا النبيّ و حجَبَتهم الحجّة، فآمَنوا بسواد على بياض». كمال‌الدين و تمام‌النعمة، الباب ٣٥، ح٨.

٢. الغضا: شجرة يدوم احتراق خشبها مدّةً طويلة، و يحتفظ بالحرارة في داخله، و لذلك يكون فحمها من النوعيّة الجيّدة.

٣. بحارالأنوار، ج٥٢، ص١٢٤.

www.noormags.ir

تصنع منه إنساناً متديّناً ثابت الجنان؛ لأنّ التديّن لا يعدو كونه الوصول إلى معرفة أهل‌البيت(عليهم‌السلام) و الإقرار بولايتهم.

و من هنا قال الإمام الباقر(ع) عن معنى الدين و الإسلام في قوله تعالى: « إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّه الإسْلامُ»[1] أ نّه هو: «التسليم لعليّ بن أبي طالب(ع) بالولاية».[2]

و لا يخفى أنّ نتيجة هذا التسليم هي التسليم للّه تعالى؛ لأنّ التديّن يُطلق على روح التسليم و عبادة اللّه، أمّا الأعمال الخارجيّة فهي آثار و نتائج لهذا التسليم، كما أنّ قيمة الأعمال تتوقّف على وجوب اشتمالها على هذه الروح و الحقيقة.

الثالث: الخلافة الإلهيّة

يكتشف الإنسان في سيره و سلوكه نحو معرفة إمام العصر(عج) أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام هم خلفاء اللّه و أُمناؤه على أرضه، و أ نّهم على صلةٍ به، بحيث أنّ الآخرين لا ينالهم سخط اللّه أو يحظون برضاه، و لا يمكنهم سلوك سبيل العبادة للوصول إلى القرب الإلهي إلاّ عن طريق خلفائه الحقيقيّين، الأمر الذي يعبّر عن إرادة اللّه تعالى الذي قال: «إنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً».[3]

و الخليفة هو الشخص الذي يتولّى معالجة كافّة الأُمور عند غياب الآخر الذي استخلفه. إذن، فالإمام الذي هو خليفة اللّه و المبيّن لحدوده و أحكامه، و الذي يجب الرجوع إليه لفهم كلام اللّه، لا يمكن تجاهله و السير في مسير السعادة بدونه. و من هنا وجب التسليم له، و هذا التسليم يجب أن لا يكون متّسماً بالطريقيّة فقط، بل إنّ التسليم و استلام الأوامر الإلهيّة عن طريقه له سمة الموضوعيّة أيضاً.

و الواقع أنّ اللّه عندما يبيّن أسماءه و صفاته إنّما يكون بذلك قد دعا الناس إلى التوجّه نحوه،[4] و هو يعتبر الإنسان مسافراً سوف يلاقي ربّه في النهاية.[5]

إنّ الحركة نحو الأسماء و الصفات، هي الحركة نحو العلم و الحكمة و القسط و... ؛ و هي في حقيقتها حركة نحو اللّه، و كلّ مَن كان أكثر سعياً في هذا السير الملكوتي فهو الأكثر حظوةً بالقرب الإلهيّ.[6]

و قد تحرّك الأنبياء و أولياء اللّه من خلال طاعتهم للّه نحو الحياة الحقيقيّة و الاتّصاف بتلك الصفات، فاتّصفوا بصفات كالقدرة و العلم و العدل. كما أ نّهم قد

---

١. سورة آل‌عمران، الآية ١٩.

٢. السيّد هاشم البحراني، تفسير البرهان، ج١، ص٢٧٤.

٣. سورة البقرة، الآية ٣٠.

٤. « و عَلَّمَ آدَمَ الأسْمَاءَ كُلَّهَا ». سورة البقرة، الآية ٣١.

٥. « يَا أ يُّهَا الإنسَانُ إنَّكَ كَادِحاً حإلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ ». سورة الانشقاق، الآية ٦.

٦. عبداللّه الجوادي الآملي، تفسير موضوعى قرآن كريم (= التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، ج١٤، ص٣٨٠، منشورات الإسراء.

www.noormags.ir

تحمّلوا مسؤوليّة هداية الآخرين أيضاً من خلال تعليم أسماء اللّه و العمل بها. و بعبارة أُخرى إنّهم كما كانوا خلفاء كانوا مربّو خلفاء أيضاً.[١]

و من هنا، فإنّ إحدى مراحل معرفة الإمام هي معرفة مقامه في خلافة اللّه. و هذا الأمر له أبعاده التعليميّة، فالاستفادة من كلام الأئمّة و التسليم لهم _ أي الإقرار العملي بالولاية _ و العمل بتعاليم أولياء اللّه، سوف يكون عملاً بالقوانين و الأوامر الإلهيّة، كما أنّ التربّي في مدرسة هؤلاء الأئمّة يمتاز بأنّ المتربّي فيها يصير خليفةً للّه.

و رغم البون الشاسع بين المعصومين عليهم السلام و الناس العاديّين، و انعدام إمكانيّة المقارنة و المقايسة بينهما، إلاّ أنّ التحلّي بالصفات الإلهيّة هو أمرٌ متاحٌ لجميع البشر، و كلّ إنسان يستطيع أن ينال منها بمقدار قابليّاته الروحيّة و المعنويّة.

إذن، ففي هذا المسير تصير معرفة إمام العصر(عج) _ الذي هو وليّ اللّه و حجّته _ سبباً كي يتعرّف الإنسان من الناحية التعليميّة على مقام الخلافة الإلهيّة و يدرك أنّ هذه الخلافة إنّما يحصل عليها عن طريق تعلّم أسماء اللّه و صفاته و العمل بها، الأمر الذي هو متاحٌ لكلّ أحد. هنا و من خلال عمل الإنسان بالأحكام الواقعيّة و أداء تكاليفه العباديّة يربّي نفسه، حتّى يصير إنساناً إلهيّاً نورانيّاً و خليفةً للّه على أرضه.

و على هذا يمكن القول إنّ معرفة الإمام ما هي إلاّ القبول بمناصبه و مقاماته الإلهيّة، و التي أحدها هو منصب خليفة اللّه الذي له أثره الكبير في تعليم و تربية الآخرين.

و تحفل الآيات و الروايات بالشواهد الكثيرة على هذا المنصب،[٢] نكتفي بالإشارة إلى نموذج واحد منها.

قال الإمام الرضا(ع): «الإمام أمين اللّه في خلقه، و حجّته على عباده، و خليفته في بلاده، و الداعي إلى اللّه، و الذابّ عن حرم اللّه، الإمام المطهّر من الذنوب، و المبرّأ من العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين و عزّ المسلمين و غَيظ المنافقين و بوار الكافرين».[٣]

و قد ظهر من هذا الحديث بوضوح مقام الخلافة الإلهيّة و حجّيّة اللّه على عباده، مع التنبيه على بعض مميّزات الإمام من قبيل العلم و الحلم و البراءة من العيوب و

١. إنّ الإمام عليّ عليه السلام قد نال الخلافة الإلهيّة بتقوى اللّه، و من ثمّ صار خليفةً مربيّاً لخليفة. المصدر نفسه، ص٢٩٠.

٢. راجع: أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمّة خلفاء اللّه عزّ و جلّ؛ سورة المائدة، الآيتان ٥٥ و ٥٦؛ سورة الأحزاب، الآية ٦؛ سورة الحشر، الآية ٧؛ و غيرها.

٣. أُصول الكافي، كتاب الحجّة، باب نادر جامع في فضل الإمام و صفاته، ح١.

www.noormags.ir

المساوئ و غيرها. مضافاً إلى ذلك ما يفرضه علينا من مضاعفة المسؤوليّة من ناحيتي العلم و العمل؛ لأنّ كلّ مَن يسلك طريق الخلافة، سواء أدرك المقصد و صار كاملاً، أم لا يزال يحثّ الخطى و متكاملاً، فعليه أن يتابع حركته حتّى يدرك الصفات الإلهيّة من خلال الجهاد المستمرّ و تهذيب النفس المتواصل.[1]

ج) تأثير انتظار[2] ظهور إمام العصر(عج) على التربية و التعليم

الانتظار هو العنصر الآخر من تعاليم المهدويّة، بل من أهمّها، و له أثره الكبير في ميدان التربية و التعليم. و قد اعتبرت الروايات الانتظار بمعناه الخاصّ _ أي انتظار فرج إمام العصر(عج) _ من أفضل العبادات، حيث قال الرسول الأكرم(ص) و سلّم: «أفضل العبادة انتظار الفرج».[3]

يضاف إلى ذلك، إنّ الانتظار له فضيلته الخاصّة، بحيث وصف المنتظرون لظهور الإمام الغائب (الإمام المهدي(عج)) بأنّهم أفضل أهل كلّ زمان، كما جاء في الرواية المنقولة عن الإمام السجّاد(ع) أنّه قال لأبي خالد الكابلي: «يا أبا خالد، إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته و المنتظرين لظهوره أفضل من أهل كلّ زمان».[4]

و يكفي في بيان مدى أهمّيّة و فضيلة انتظار الظهور أنّ الشخص الذي يموت و هو على هذه الحالة، فهو كمَن كان مع ذلك الإمام في خيمة واحدة، أو كمَن جاهد بسيفه معه، بل كانَ كمَن استشهد و هو يقاتل في ركاب رسول اللّه(ص).[5]

و الحقيقة أنّ هؤلاء الأشخاص لا يكتفون بالاعتقاد بالإمام الغائب، بل ينتظرون ظهوره أيضاً، فيكون اعتقادهم بمثابة الأساس الذي يرسم الانتظار برنامج حركته و كيفيّتها، فيتجلّى بهما أكمل مظاهر العبوديّة للّه. و هكذا تكون جميع فضائل و درجات أمثال هؤلاء الأشخاص نابعةً من خصلة الانتظار هذه، و يكون الانتظار سبباً في تكامل الأشخاص و كمالهم.

---

١. تفسير موضوعى قرآن كريم (= التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، ج١۴، ص٢٨٧.

٢. نظراً لأهمّيّة الانتظار هنا و تأثيره على عمليّة التعليم و التربية، سيتمّ البحث عنه بشكلٍ مستقلّ و تحت عنوان أحد التعاليم المهمّة للمهدويّة. هذا مع أنّ التأمّل البسيط يقودنا إلى أنّ الانتظار فرعٌ لمعرفة الإمام، الأمر الذي أشرنا إليه في القسم السابق.

٣. لطف اللّه الصافي الگلپايگاني، منتخب الأثر، الفصل ١٠، الباب ٣، ح١۶.

۴. كمال‌الدين و تمام‌النعمة، ج١، الباب ٣١، ح٢؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص۵٠، منشورات الأعلمي، بيروت.

۵. قال الإمام الصادق عليه‌السلام: «مَن ماتَ منكم و هو منتظر لهذا الأمر، كمَن هو مع القائم في فسطاطه... لا بل كمَن قارع معه بسيفه... لا و اللّه إلاّ كمَن استشهد مع رسول اللّه صلّى‌اللّه عليه وآله وسلّم». بحارالأنوار، ج۵٢، ص١٢۶، ح١٧.

www.noormags.ir

و هذه المفردة لها أبعادها الواسعة و معانيها الحسّاسة و العميقة و الدقيقة إلى أقصى الحدود، بحيث أنّ كلّ معنىً من هذه المعاني يعبّر عن جانبٍ واحدٍ فقط من مفهوم الانتظار. و ما يمكن قوله بصورةٍ عامّة هو أنّ حقيقة الانتظار في الثقافة المهدويّة تعني الحاجة و الاضطرار إلى إنسانٍ كامل و إمامٍ معصومٍ موعود يتولّى ـ بإذن اللّه و اعتماداً على وحيه ـ إقامة حكومة العدل العالميّة، و يأخذ بيد أهل العالم ليوصلهم إلى غايتهم النهائيّة المنشودة.

و على هذا، فالانتظار الذي نبحث عنه هو بالذات انتظار الفرج، و انتظار قدرة الإسلام، و ظهور إمام الزمان(عج) و حكومته العالميّة.[١]

و هذا الانتظار يحقّق أمرين مهمّين طالما سعى أنبياء اللّه أيضاً لتحقيقهما، و هما: إقامة العلاقة الصحيحة بين العبد و خالقه،[٢] و إقامة الروابط الحسنة بين أفراد المجتمع.[٣]

و على هذا الأساس يمكن من خلال التأمّل في مفهوم روايات الانتظار أن نستخلص حقيقة أنّ (انتظار المهدي الموعود(عج) هو بالدرجة الأُولى انتظارٌ لاستقرار العدالة).[٤]

و على أيّ حال فإنّ الانتظار الصحيح و الإيجابي و البنّاء يمكن أن يفتح آفاقاً جديدة من التربية و التعليم أمام الإنسان، و يربّيه في إطار هذه الآفاق حتّى يصل به إلى مبتغاه المتمثّل بالسعادة.

و الانتظار له آثاره المهمّة في أبعاد الحياة الفرديّة و الاجتماعيّة كافة، فهو الباعث لارتقاء و إصلاح و مقاومة و تقدّم و يقظة و بقاء المجتمع و حيويّته و نهضته. و هو في الواقع البذرة الأصليّة لنهضة الإمام المهدي(عج) العالميّة.

و آثار الانتظار في هذا المجال أكثر من أن تُحصى، لكنّنا نكتفي هنا بالبحث في بعضٍ منها، مشيرين إلى علاقتها بالتربية و التعليم.

١. بثّ روح التفاؤل

الانتظار هو حالة تحمل في طيّاتها دلالات على رفض الوضع الموجود و تطلّعاً

---

١. قال الإمام الخميني عن الانتظار: إنّ انتظار الفرج هو انتظار سلطة الإسلام. صحيفه نور (= صحيفة النور)، ج٢٠، ص١٩٦، منشورات مؤسّسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني رحمه اللّه.

٢. «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً و مُبَشِّراً و نَذِيراً * و دَاعِياً إِلَى اللّه بِإِذْنِهِ و سِرَاجاً مُنِيراً». سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥ و ٤٦.

٣. «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ و أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ و المِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ». سورة الحديد، الآية ٢٥.

٤. السيّدعلي الخامنئي، نصّ كلمة سماحته بتاريخ ٨ / ٥ / ١٣٨٥ شمسي. راجع: موقع الإنترنيت لمكتب توثيق و نشر آثار سماحة آية اللّه الخامنئي، http: // www. Khamenei. ir.

www.noormags.ir

نحو وضعٍ آخر. و يقوّي الانتظار ثقة الإنسان بنفسه و تفاؤله بالمستقبل، و روح الانتظار هي التي تعلّم الإنسان أن يكافح في سبيل الخير و الصلاح و أن لا يخشى من أيّ شيء.

و يمكن القول إنّ ماهيّة حياة الإنسان ممتزجة بالانتظار و الأمل في المستقبل، بحيث إنّ الحياة إذا خلت من الانتظار و الأمل فلا يبقى لها أيّ مفهوم، و تفقد الحافز و الدافع اللازم لاستمرارها، فالحركة و السعي نحو الغد لا يمكن أن يحصلا دون توفّر الأمل و التفاؤل.

و الانتظار هو الذي يبعث روح الأمل في الإنسان و يبعده عن التشاؤم و اليأس.

و من ثمار الانتظار في البعد التعليمي هو توجيه الناس نحو المستقبل المشرق، و بثّ الآمال في تطبيق العدالة و تأسيس الحكومة الإسلاميّة العالميّة، و ظهور الشخصيّة الإلهيّة.

أمّا في البعد التربوي فتتمثّل ثماره في الاستعداد و التهيّؤ التامّ في كافّة المجالات الفرديّة و الاجتماعيّة، و المبادرة و السعي في بناء الحياة الواقعيّة و الممهّدة للآخرة، و العمل بتعاليم الإسلام و كسب رضا الإمام الذي هو في حقيقته كسبٌ للرضا الإلهيّ.

و في الزيارة الخاصّة للإمام المهدي(عج) نقرأ في كلّ صباحٍ و مساء: «ونصرتي لكم مُعَدّة».

إنّ الانتظار هو فرع الوعي و المعرفة و العلم بوجود الإمام الغائب و الوعد الإلهي. و هذه الأُمور تبثّ الحياة في روح الأمل و تترك آثارها الإيجابيّة في تربية أفراد المجتمع و تعليمهم.

إنّ الشخص المتفائل يكون من الزاوية التعليميّة ذو بصيرة توحيديّة، فيرى كلّ أُمور العالم خاضعة للأوامر الإلهيّة، و يعي تماماً وعد اللّه له في الظروف الصعبة و التراجعيّة، و تغمره الثقة التامّة في أنّ حكومة الأرض هي لوارثيها الحقيقيّين،[1] و هو واثق و متيقّن من انتساب النصر له.[2]

و مثل هذا الشخص يكون واعياً لسنن اللّه في المجتمع و كيفيّة مساهمته و نشاطه في هذا المجال، و هو يعلم أنّ الناس إذا لم يكونوا راغبين في تغيير الوضع الموجود و لا يحدوهم الأمل في النصر، فإنّ اللّه سوف لا يغيّر حالهم.[3]

---

١. «و نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ و نَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً و نَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ * و نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ». سورة القصص، الآيتان ٥ و ٦.

٢. «كَتَبَ اللّه لَأَغْلِبَنَّ أَ نَا و رُسُلِي». سورة المجادلة، الآية ٢١.

٣. «إنَّ اللّه لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأنفُسِهِمْ». سورة الرعد، الآية ١١.

www.noormags.ir

كما أ نّه يعلم أنّ عليه أن يبذل ما بوسعه للتهيّؤ و الاستعداد في كلّ المجالات[١]، و أن يجتثّ روح اليأس التي يسعى الشياطين و أعداء إمام العصر(عج) و الاستكبار العالمي إلى زرعها في أوساط الناس.

إنّ الانتظار التفاؤلي في البعد التربوي أيضاً يؤدّي إلى المقاومة و تحمّل الصعوبات و المشاكل و الاندفاع في مسيرة العدالة و النضال من أجلها، و يؤول في النهاية إلى حفظ الكرامة الإنسانيّة؛ لأنّ الأمل النابع من الانتظار يجعل الإنسان أكثر مقاومةً و ثباتاً في مسيرته التربويّة.

٢. البناء الذاتي الفردي

الانتظار هو مفردة تنتمي إلى نوع التضايف، كالأُبوّة التي بمجرّد استعمالها يتبادر إلى الذهن معنى البنوّة إلى جانبها.

و هكذا الحال مع كلمة الانتظار، إذ بمجرّد النطق بها يتقدّم المنتظِر و المنتظَر ليذكّرا بوجودهما. و هذا يعني وجود رابطة تربط بين هذه المفردات الثلاث، لا يخلو التأمّل في طبيعتها من النتائج الإيجابيّة للإنسان.

و قد أشرنا سابقاً إلى أنّ الانتظار هو حالة مركّبة من عنصرَي النفي و الإثبات. و عنصر النفي فيه هو القضاء على الفساد و الانحطاط و الخلل و الظلم، بينما يتمثّل عنصر الإثبات في تعويض كلّ ما سبق ذكره بعوامل الإصلاح و البناء و القِيَم و الأخلاق الإسلاميّة.

و على هذا، فالشخص الذي ينتظر أفضل الناس و المعصوم و حجّة اللّه، يجب عليه بعد هذا أن يتعلّم مبدأ البناء و التهذيب الذاتي و أن يؤدّي دوره في مرحلة العمل أيضاً فيخضع للتعاليم و الأوامر الإلهيّة و يسلّم لها.

و بعبارةٍ أُخرى، إنّ معرفة حقيقة أنّ الإمام المهدي(عج) سوف يظهر في يومٍ ما و يقيم حكومة العدل العالميّة، و أنّ هناك أفراداً لائقين سوف يعينونه على إنجاز هذه المهمّة؛ كلّ ذلك سوف يحفّز المنتظرين و يزيد في إصرارهم على أن يربّوا أنفسهم على طريقة إمامهم و قائدهم و يسعوا في تنمية قابليّاتهم الداخليّة و قواهم الروحيّة.

و الحقيقة أنّ هؤلاء المنتظرين في نفس الوقت الذي يقومون فيه بتهيئة الظروف الملائمة في أنفسهم، إنّما يقومون بتهيئة الأرضيّة المناسبة لذلك الإمام أيضاً؛ لأنّ البناء الذاتي إنّما يراد به أداء التكاليف الفرديّة و الاجتماعيّة.

١. «و أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ». سورة الأنفال، الآية ٦٠.

www.noormags.ir

إنّ الانتظار يفرض على الإنسان المنتظِر أن يهذّب نفسه، و يراقب أعماله و تصرّفاته و أقواله، و يقوّي صلته بالإمام يوماً بعد يوم، و يهيّئ نفسه للظهور، و كلّ ذلك من خلال رعاية أحكام اللّه و اجتناب المعاصي.

أضف إلى ذلك، إنّ معرفة أنّ زمان ظهور الإمام هو زمانٌ مجهول لنا، بحيث تنعدم معه فرصة القيام بالبناء الذاتي؛ يفرض على الإنسان المنتظِر أن يبذل غاية جهده في العمل بتعاليم الانتظار. و قد جاء عن إمام العصر(عج) أ نّه قال: «... فليعمل كلّ امرئٍ منكم بما يقرّب به من محبّتنا، و يتجنّب ما يدنيه من كراهتنا و سخطنا، فإنّ أمرنا بغتةً فجأة، حين لا تنفعه توبة، و لا ينجيه من عقابنا ندم على حَوبة، و...».[1]

و ممّا ذكرنا نخلص إلى أنّ نفس الانتظار له آثاره الكبيرة على التربية و التعليم و
البناء الذاتي.

٣_ بناء الآخر

من الآثار التربويّة الأُخرى للانتظار هو بناء الآخر، و هو يمثّل في الواقع البُعد التربوي للانتظار في المجتمع.

إنّ وجود الانتظار و آثاره التربويّة على مستوى المجتمع و كلّ فردٍ من أفراده، يؤدّي إلى تهيّؤ و استعداد الناس لظهور الإمام و نهضته؛ لأنّ شرط الظهور هو استعداد الناس من كلّ الجهات، و تربية عموم الناس و تعليمهم يعدّ واحداً من هذه الجهات.

و بتعبيرٍ آخر نقول إنّ تعليم الناس و تربيتهم هو جعلهم أُناساً صالحين. و قد وعداللّه تعالى في كتابه الكريم «أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ».[2]

و وجود حالة الانتظار في أفراد المجتمع تؤدّي إلى أن يسعى هؤلاء _ إلى جانب إصلاح الآخرين و نشر الأخلاق و الفضائل _ إلى تهيئة المجتمع المثالي و المهدوي؛ لأ نّهم إنّما ينتظرون شخصاً تمتاز حكومته و عدالته بالشمول و العموميّة.

و هذا هو السبب في ازدياد تألّق و انتشار تعاليم الإسلام التربويّة كالأمر بالمعروف و
النهي عن المنكر، و الابتعاد عن الذنوب و المفاسد و الوقوف بوجه انتشارهما، و العزّة و الشموخ، و التواضع أمام المؤمنين، و انتشار ثقافة الموعظة و النصيحة، و

١. الاحتجاج، ج٢، باب ذكر طرفٍ ممّا خرج أيضاً عن...، ص٤٩٥.
٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

www.noormags.ir

ترسيخ القيم الأخلاقيّة و الفضائل الإنسانيّة، و غيرها من الصفات الحميدة التي تساهم في تشييد أُسس المجتمع المهدوي.

و كلّ فردٍ من أفراد هذا المجتمع سيكون كالمشعل الذي يهدي الآخرين. و قد ذكر الإمام عليّ(ع) أوصاف هؤلاء الأشخاص فقال: «أُولئك مصابيح الهدى و أعلام السرى، ليسوا بالمساييح[١] و لا المذاييع[٢] البُذر،[٣] أُولئك يفتح اللّه لهم أبواب رحمته، و يكشف عنهم ضرّاء نقمته».[٤]

و يضاف إلى ما لتعاليم المهدويّة من تأثيرٍ على تربية الناس و تعليمهم، أنّ لها دوراً مهمّاً فى تنمية قابليّاتهم و تفتّح قواهم الداخليّة، و هي التي تضمن السعادة البشريّة أيضاً.

و في هذا السياق، يستفاد من الأساليب التربويّة المختلفة لزيادة هذا التأثير، و من هذه الأساليب التأكيد على النموّ العقلي في مرحلة التفكير، و التعقّل، و التوعية و التبصير، و المنهج النموذجي أو النموذج العملي، و أُسلوب الوعظ و النصيحة.

و على هذا الأساس، فإنّ مسألتَي معرفة إمام العصر(عج) و انتظار ظهوره لهما آثارهما الواسعة في إطار الأساليب التربويّة المذكورة.

و لكنّنا نعتقد أنّ على المختصّين التربويّين أن يختاروا الأساليب من خلال تعاليم الإسلام النورانيّة، لا أن يعتبروا هذه الأساليب قوالب تفرض علينا أن ننظّم الروايات و التعاليم وفقاً لمقاساتها.

و على أيّ حال، فإنّ تعاليم المهدويّة لا تساهم في تسريع عمليّة بناء الإنسان و مراحل وصوله إلى الكمال و السعادة الدنيويّة و الأُخرويّة فقط، بل هي الضامن لكلّ ذلك. أمّا ما سوى هذا الطريق فلا يوصل إلاّ إلى الضياع و المتاهات.

---

١. المساييح: جمع مسياح، و هو الذي يسيح بين الناس بالفساد و النمائم.
٢. المذاييع: جمع مذياع، و هو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها و نوّه بها.
٣. البُذْر: جمع بَذور، و هو النمّام.
۴. نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، ص١۴٩، الخطبة ١٠٣.

www.noormags.ir

طريق الرشاد الي علامات الظهور

عائده طالب[1]

المقدمة

أحمده وهو للحمد أهل علي ما أنعم علينا من معرفته، والتمسك بعروة ولايته، وانتخاب إمامة حجته، الحبل المتصل بين الأرض والسماء، الإمام المهدي المنتظر(عج).

أصل الخليقة، وخلافة الإنسان في الأرض إنما هو للحصول على الرفاهية والسعادة في الدنيا، وإقامة العدل بين بني البشر Γيَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاًΦ [المؤمنون: ٥١] للوصول إلى الكمال والجلال في الآخرة.

وقد أعطى الله تعالي الانسان صفات، يستطيع العروج بها من دركات الشقاء النسبي إلى الملكوت الأعلي.

وفي مقابل ذلك "كان الإنسان عجولاً، ظلوماً، جهولاً، ضعيفاً، كفوراً... فأخلد إلي الأرض واتبع هواه. فعثا في الأرض فساداً.

ويريد الله أن يحق الحق بكلماته، فلذا لابُدَّ من أن يحقق هدفه الأصلي، وغايته في الخلق في الدنيا، لينعم الخلق، ويأخذ المظلوم حقه من الظالم في الدنيا قبل الآخرة.

فقال تعالى: Γوَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَΦ [القصص: ٥ - ٦].

في هذا البحث المهدوية ومستقبل العالم سنلقي الضوء على أهم مفاصل الحياة، ما قبل ظهور الإمام المهدي، وما بعده.

وقد قسّمت البحث إلى أبوابٍ وفصول. العنوان جعلته باباً.

---

١. استاذة لحوزة في منطقة حمص.

www.noormags.ir

الباب الأول: المهدوية ومستقبل العالم، وفيه ثلاثة فصول: الفصل الأول ولاة الجور، الفصل الثاني: علماء الدين، الفصل الثالث: العوام.

الباب الثاني: حوادث عصر الظهور، وفيه فصلان، الفصل الأول: العلامات الحتمية، والفصل الثاني: العلامات غير الحتمية.

الباب الثالث: تشكيل دولة الإمام المهدي (ع)، وفيه فصلان، الفصل الأول: الأصحاب وعلاماتهم، والفصل الثاني: الأنصار وأدوارهم.

الباب الرابع: العالم في عصر قيادة الإمام المهدي (عج)، وفيه فصلان، الفصل الأول: العالم والدين الإسلامي، العدالة، الأمان، التنعم، العمران، توسعة العلوم، الفصل الثاني: الأديان الأُخر في عصر الإمام المهديA.

الباب الأول: المهدوية ومستقبل العالم

الفصل الأول: ولاة الجور

لقد ابتلي العالم ومنذ نشأته بذنوب ثلاث: الكبر والحسد والحرص. وتشعبت منها سائر المعاصي، وتمثلت كلها في ولاة الجور، فخاطوا على أنفسهم خيوط العنكبوت، ولكنَّها كانت أوهن البيوت، فتآكلت وتهدمت كما هي سُنّة الله تعالى للظالم.

وقد صوَّر أهلالبيتβ لوحة واضحة مشرقة، تبين حال ولاة الجور في حق أنفسهم ومع رعيتهم، بحيث لا يخفى أمرهم ليتوقى المؤمن الحذر، ويرعوي الضال عن ضلالته.

ومن هنا فقد قسم الامام الصادق(ع) اللوحة الى قسمين حال ولاة الجور في حق أنفسهم وفي حق رعيتهم.

القسم الأول: في حق أنفسهم

ففي رواية صحيحة رواها محمد بن يعقوب الكليني في روضة الكافي سأل بها حمران بن أعين الإمام الصادقA، فقال: إلى متى هؤلاء يملكون؟ أو متى الراحة منهم؟

فقالA: أليس تعلم أنَّ لكل شيءٍ مدة؟ قال: بلى.

فقالA: هل ينفعك علمك أنَّ هذا الأمر إذا جاء كان أسرع من طرفة العين؟

"إِنَّكَ لَوْ تَعْلَمُ حَالَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَيْفَ هِيَ كُنْتَ لَهُمْ أَشَدَّ بُغْضاً ولَوْ جَهَدْتَ وَجَهَدَ أَهْلُ الْأَرْضِ أَنْ يُدْخِلُوهُمْ فِي أَشَدِّ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ لَمْ يَقْدِرُوا فَلَا يَسْتَفِزَّنَّكَ

www.noormags.ir

الشَّيْطَانُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُون"[1]
فقد قسَّم الإمامA فيها حال: الولاة والرعية.

القسم الثاني: الرعية، فقسّمها ثلاثة أقسام:
الأول: المؤمنون
فقالA: "أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَنِ انْتَظَرَ أَمْرَنَا وَصَبَرَ عَلَى مَا يَرَى مِنَ الْأَذَى وَالْخَوْفِ هُوَ غَداً فِي زُمْرَتِنَا ... وَرَأَيْتَ السُّلْطَانَ يُذِلُّ لِلْكَافِرِ الْمُؤْمِن"،[2] فالكافر مكرّم ويذل المؤمن لأجله، وهذا يعكس مدى توغلهم في الظلم "حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله".
فوعدهم الإمامA بأنّكم معنا، "أليس الصبح بقريب" وهذا يعطي طاقة قوية على الصبر؛ لأنّهم أمّنوا حسن العاقبة.
الثاني: الرعية الكفار والفسقة
ورأيت الولاة يقربون أهل الكفر، ويباعدون أهل الخير، ورأيت الولاة يرتشون في الحكم، ورأيت الولاية قبالة لمن زاد، وهذا يعكس مدى ازدرائهم بالدين، وقوتهم بأهل الكفر يبتغون عندهم العزة، إذ يروا أنَّ الدين هو الدافع الأصلي لزعزعة صروحهم، وكسر عنفوانهم، وأنَّ اللوذ والاستعانة بالكافرين هو السبيل لبقاء عروشهم واستيلائهم على رقاب الرعية.
ثم يؤكّد الإمامA أنَّهم لا ينظرون إلى من له بصيرة في الدين أو عقل، ومن له أهلية التنصيب والولاية، بل مصالحهم تعلو على الهمج والرعاع في نظرهم، فلذا يأخذون الرشوة والسحت والمال الحرام؛ لكي ينصبوا من بعدهم ولي الأمر ويجعلوه حاكماً، أو لمن يجعلونه في وزارتهم ومن حاشيتهم، فالمحور الأساس عندهم هو المال وزخارف الدنيا، بل الولاية قبالة لمن زاد، فمن يعطيهم الأموال أكثر ويرتشي منه أكثر فهو قبلتهم وهو قبالهم وهو الواجهة وله الصدارة، وإن كان عميلاً مباغتاً.
الثالث: الرعية النواصب
"وَرَأَيْتَ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنَ الْوُلَاةِ مَنْ يَمْتَدِحُ بِشَتْمِنَا أهل‌البيت"،[3] فالبيت الملكي المتوّج، أو الرؤساء المترئسين، أخشى ما يخشونه آخر الزمان، ليس من المسلمين فحسب، بل من يرفع راية أهل‌البيت، وهو "البيت الشيعي"، فهذا الذي ينكأ جراحهم، ويسهر ليلهم، وكل العيون ساهرة خوفاً من هذه الثلة القليلة، فلذا يتقرب

---
١. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٥٦
٢. المصدر السابق، ص٢٥٨
٣. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٥٨

www.noormags.ir

الناس الأُمّعة إلى ولاتهم بشتم أهل‌البيت فيطمئنوا إليهم؛ لأنّهم يعرفون بأنّ الحرارة الحسينية التي أججت الثورات في العالم لم تزل تغلي في عروق أتباع الحسين، فهم يريدون إطفاء ذاك النور.

ومن هنا تغدق الأموال على النواصب ليصبوا جام غضبهم وشعرهم وأضاليلهم وحياكة مؤامراتهم على تلك الفئة القليلة.

ثم يوعَز إلى القضاة بأن يفتكوا بشهادة من نهج منهج تلك العصابة المؤمنة، بل يهمل في الإدارات المحلية والمركزية.

فيقول الإمام الصادقA: "وَرَأَيْتَ مَنْ يُحِبُّنَا يُزَوَّرُ وَلَا يُقْبَلُ شَهَادَتُه".[١]

تعطيل الحدود

"وَرَأَيْتَ الْحُدُودَ قَدْ عُطِّلَتْ وَعُمِلَ فِيهَا بِالْأَهْوَاء".[٢]

ينبؤ الإمام الصادقA على تقهقر الدين ورجوع الناس إلى الجاهلية الأولى، فلا يعرف من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، أمّا قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٧٩) فقد وقع عليها الغبار، وأكلتها الآكلة، إذ تتلى على المنابر وتصدح بها الحناجر، ولكنّها حبرٌ على ورق.

فلا يُقام حدُّ الله على مجرم، نعم تُقام عقوبات، لكن حسب القانون المدني الذي لا يعزو إلى شريعة السماء السمحاء بصلة.

ملك النساء

"وَرَأَيْتَ النِّسَاءَ قَدْ غَلَبْنَ عَلَى الْمُلْكِ وَغَلَبْنَ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ لَا يُؤْتَى إِلَّا مَا لَهُنَّ فِيهِ هَوًى"[٣]

ليس بخساً في حظ النساء، أو تحقيراً لعقولهن، يُحظر عليهن الـمُلك، إنّما الملك يحتاج الى رجاحة عقل لا رجاحة العاطفة، يحتاج إلى استشارة عقول الرجال، إلى احتكاك عظيم مع الرعية.

يقول الإمام الخمينيH: "لو كانت امرأة نبيّة لكانت فاطمةη" إنما وكلت النبوة للرجال" لأنّها تحتاج إلى بذل جهدٍ عظيم لا تقوم بها بنية المرأة، فلذا أسقط الله عزَّ وجلَّ هذه المسؤولية، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم﴾ (يوسف: ١٠٩)، ولم يُسقط عنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التبليغ والإرشاد في نطاق القدرة، وعلى المستوى الخاص، لا العام.

فلذا تحكم في الرعية بأهوائها وعاطفتها، أو قسوتها التي تضاهي وترجح على

---

١. المصدر السابق

٢. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٥٨

٣. المصدر السابق

www.noormags.ir

قسوة الرجال، إذا قست وعندت وتمردت.

احتكار الطعام

"وَ رَأَيْتَ السُّلْطَانَ يَحْتَكِرُ الطَّعَام"[1]

لأنَّ السلطان إذا أراد أن يُركع شعبه، ويقودهم بسلاسله وزناجيره، فإنَّه يترك البطون غرثى، كما فعلت أمريكا بمصر وشعوب افريقيا والبلاد العربية، وكانت تلقي ما تبقى في البحر على أن تعطيه بسعرٍ زهيد للبلاد الفقيرة.

ائتمان الخونة والجور في الحكم

"وَرَأَيْتَ الْوُلَاةَ يَأْتَمِنُونَ الْخَوَنَةَ لِلطَّمَعِ وَرَأَيْتَ الْمِيرَاثَ قَدْ وَضَعَتْهُ الْوُلَاةُ لِأَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ يَأْخُذُونَ مِنْهَا وَيُخَلُّونَهُمْ وَمَا يَشْتَهُون"[2]

فيجعلونهم في حاشيتهم مؤتمنين على أموال الدولة وسياستها وتصريف أمور الناس، فتفسد المؤسسات، ومصالح العباد، كما يكون لهم نصيب منها، كما في أموال الأوقاف، والأيتام، ومشاريع الدولة من تعبيد الطرقات وإنشاء المباني، والسدود، والمدارس والمستشفيات... فإنَّها تلزم وتُعهد إلى من لا عهدَ له ولا ذمة، ليقتسم قرص الجبنة بينهما.

أما الجور في الحكم، فأشدّ ما يكون التداعي في القضاء على الأموال، فإذا تداعى فريقان على ميراث فإنّهم يجنحون مع الفاسق فيدلوا له بدلو الباطل، ويحكمون له بالميراث بغير حق، ليرتشفوا منه، ويكون لهم نصيبٌ مما حكموا، وليقتل بعد ذلك بعضهم بعضاً.

الفصل الثاني: علماء الدين

"وَرَأَيْتَ الْقُرْآنَ قَدْ خَلُقَ وَأُحْدِثَ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَوُجِّهَ عَلَى الْأَهْوَاءِ وَرَأَيْتَ الدِّينَ قَدِ انْكَفَأَ كَمَا يَنْكَفِئُ الْإِنَاء ... وَرَأَيْتَ بَيْتَ اللَّهِ قَدْ عُطِّلَ وَيُؤْمَرُ بِتَرْكِه... وَرَأَيْتَ الْفَقِيهَ يَتَفَقَّهُ لِغَيْرِ الدِّينِ يَطْلُبُ الدُّنْيَا وَالرِّئَاسَة ... وَرَأَيْتَ الْقُضَاةَ يَقْضُونَ بِخِلَافِ مَا أَمَرَ اللَّه ... وَرَأَيْتَ الْمَنَابِرَ يُؤْمَرُ عَلَيْهَا بِالتَّقْوَى وَلَا يَعْمَلُ الْقَائِلُ بِمَا يَأْمُر".[3]

الإمام عليA يعكس مرآة قلوب العلماء التي صدأت، فلم يستطع بعد ذلك أتباعهم أن يتجملوا بهم، أو يرون أنفسهم فخراً وعزاً من خلالهم؛ لأنَّهم أخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم؛ لأنَّهم لم يجعلوا القرآن راية وهدفاً يحملونه في كل محفل، ولم يجعلوه محورهم وأساس كلامهم، فلذا لـمَّا خَلُق القرآن واهترئ، وأهمل ووقع عليه

١. المصدر السابق، ص٢٨٩

٢. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٦٠

٣. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٥٦-٢٥٧-٢٥٨

www.noormags.ir

التراب، كان حرياً بالعوام أن يتركوه.

لـمّا أهمل درس تفسير القرآن وعلومه وتجويده وحفظه، وجنح لغيره من العلوم وصار درساً فرعياً، استطاع المغرضون أن يحدثوا فيه من التزوير ما شاؤا، وأن يؤولوه بالرأي والاستحسان.

فلذا لـمّا قال تعالى عن بني إسرائيل ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧] نبذوا العمل بالتوراة، وأهملوا أحكامه، فعاقبهم الله على إهمالهم، مع أنَّهم بقوا على العمل ببعض آياته ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] لكن في آخر الزمان يقع الدين وينقلب فلا يعرف له أتباع إلا كصبابة عيش خسيس.

أمّا بيوت الله فتُعطّل؛ لأنَّ العلماء لم يوقظوا الضمائر بيقظتهم صباحاً لتعمير المساجد بالصلوات وتلاوة القرآن، فرقدوا مع من رقد، فكان حرياً بالناس إهمالهم تلك الفريضة العملاقة والسنة البرّاقة.

أما العمامة فتصبح رواجاً لا تاجاً، ومتعة لا طاعةً، كما قال الإمام الخميني: "لا تجعل العمامة تدل عليك، بل اجعل عملك يدل على عمامتك"

أصبح اليوم طالب العلم الديني، يجعل علمه فقط عملاً كسائر الأعمال، كالطباخ والحداد والمهندس، بل يرى فيها شرفاً أكبر، وذلك لعمامته وشهرته... وكذا القضاة الذين يجترون بكسبهم، فيتجرؤون بحكمهم.

وإذا جنحنا إلى جانب التقوى _ الذي لخَّص الله تعالى هداية القرآن كلها بها (وهي التقوى)_ فترى كماً هشاً تذروه الرياح، وهذا هو السبب الأصلي بابتعاد الناس عن العلماء، إذا يأمرون لا يأتمرون، ويعظون ولا يتعظون، فكلامهم جواهر وأفعالهم خناجر.

الفصل الثالث: العوام

العوام قسمان، المؤمن، والفاسق

المؤمن في آخر الزمان

" أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَنِ انْتَظَرَ أَمْرَنَا وَصَبَرَ عَلَى مَا يَرَى مِنَ الْأَذَى وَالْخَوْفِ هُوَ غَداً فِي زُمْرَتِنَا... وَرَأَيْتَ النَّاظِرَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِمَّا يَرَى الْمُؤْمِنَ فِيهِ مِنَ الِاجْتِهَاد ... وَرَأَيْتَ الْكَافِرَ فَرِحاً لِمَا يَرَى فِي الْمُؤْمِن، وَرَأَيْتَ أَصْحَابَ الْآيَاتِ يُحَقَّرُونَ وَ يُحْتَقَرُ مَنْ يُحِبُّهُم .... وَرَأَيْتَ مَنْ يُحِبُّنَا يُزَوَّرُ وَلَا يُقْبَلُ شَهَادَتُه ... وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُومُ إِلَيْهِ مَنْ يَنْصَحُهُ فِي نَفْسِهِ فَيَقُولُ هَذَا

www.noormags.ir

عَنْكَ مَوْضُوع... وَرَأَيْتَ مَسْلَكَ الْخَيْرِ وَ طَرِيقَهُ خَالِياً لَا يَسْلُكُهُ أَحَدٌ".[1]

بدأ الإمامA روايته لحمران: "أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَنِ انْتَظَرَ...." وبعدها أكمل سرد الرواية، ليعطيها طاقة وعزيمة وإرادة على تلقي المصاعب والمصائب، وليهيئه بالمبادرة إلى الاستعداد للتصدي لأي صاعقة تحاول زهق نفسه بالبلاء، فلذا ليستعد المؤمن للبلاء، فعسى أن يأتي الفرج قريباً.

وهذا النبأ العظيم من الإمامA يجعل المؤمن كالجبل لا تكسره المعاول، فلو صفّد بالحديد، وسجن بالمطامير لرأى أنَّ هذا بلاء حسناً.

ويعود الخيل إلى مضماره حزيناً فينعزل المؤمن للعبادة ليله، ويتراخى سدول الليل على مناجاته، وفي الجهة الأخرى ترى المجون والعزف والغناء ودنيا أسدلت إزارها لشمل المتفكهين بألسنة حادة على المؤمنين، مدعين فيهم المرض، وما بالقوم من مرض، ويقولوا قد خولطوا من كثرة عبادتهم، فيحاولوا أن يثنوهم عن عزمهم بالرجوع إلى الله لترك العبادة بأنَّها أثقلت كاهله.

أما الفريضة المهجورة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فصاحبها منبوذٌ طريدٌ، لا يُصغى إليه، وقد يُعاقب ويسجن ويُقتل، فلذا يفرح الكافر؛ لأنَّ الدنيا قد بسطت جناحيها له، تهرول نحوه مسرعةً، مزغردةً بالأهاجيز، ضاحكة مستبشرة، أما المؤمن ففي ضنك المعيشة ممّن حوله.

أما حملة القرآن، فلا شهادة معه تؤهله لخوض غمار العلم، فلا يملك علماً وسلاحاً وقوة في نظرهم، بل تظهر نبوءة أميرالمؤمنينA في آخر زمان: "لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله".

بل تنقلب موازين العدل، إذ ينصح المؤمن بترك الكلام، وليترك الرسن على الجادة، أو لتسير سفينة الحياة بقبطانها كما تشاء، فلست بقبطان ولست بمسؤول.

العوام الفسقة

"فَإِذَا رَأَيْتَ الْحَقَّ قَدْ مَاتَ وَذَهَبَ أَهْلُهُ وَرَأَيْتَ الْجَوْرَ قَدْ شَمِلَ الْبِلَاد ... وَاكْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاء، وَرَأَيْتَ الْمُؤْمِنَ صَامِتاً لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ وَرَأَيْتَ الْفَاسِقَ يَكْذِبُ وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ كَذِبُهُ وَفِرْيَتُهُ وَرَأَيْتَ الصَّغِيرَ يَسْتَحْقِرُ بِالْكَبِيرِ وَرَأَيْتَ الْأَرْحَامَ قَدْ تَقَطَّعَت ... وَرَأَيْتَ الْخُمُورَ تُشْرَبُ عَلَانِيَةً وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا مَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ... وَرَأَيْتَ الْفَاسِقَ فِيمَا لَا يُحِبُّ اللَّهُ قَوِيّاً مَحْمُوداً ... وَرَأَيْتَ الْبِدَعَ وَ الزِّنَا قَدْ ظَهَر وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَعْتَدُّونَ بِشَاهِدِ الزُّور ... وَرَأَيْتَ الْأَيْمَانَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرَةً

---

١. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٥٦-٢٥٨

www.noormags.ir

عَلَى الزُّور ... وَرَأَيْتَ الْقِمَارَ قَدْ ظَهَر ... وَرَأَيْتَ الْمَلَاهِيَ قَدْ ظَهَرَت يُمَرُّ بِهَا لَا يَمْنَعُهَا أَحَدٌ أَحَداً وَلَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ عَلَى مَنْعِهَا ... وَرَأَيْتَ الْقُرْآنَ قَدْ ثَقُلَ عَلَى النَّاسِ اسْتِمَاعُهُ وَخَفَّ عَلَى النَّاسِ اسْتِمَاعُ الْبَاطِلِ وَرَأَيْتَ الْجَارَ يُكْرِمُ الْجَارَ خَوْفاً مِنْ لِسَانِه ... وَرَأَيْتَ طَلَبَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ لِغَيْرِ اللَّه ... وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ مَعِيشَتَهُ مِنْ بَخْسِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَان...".[١]

في هذه الرواية فصَّل الإمام تفصيلاً الفحشاء والمنكر، والفتنة الصماء الصيلم، بحث لا ترى للخير سبيلاً، وقد لخصها النبي9 فقال: "تملأ الأرض ظلماً وجوراً".[٢]

فعند انقطاع خير أهل الأرض، وبقاء ثلة من المؤمنين مكممي الأفواه لا يستطيعون إرساء المعروف في الأرض؛ لأنَّه لا يقبل قولهم، فكان لابدُّ من تدخل الأيادي الغيبية، وتتحقق نبوءة النبي9: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُمْلَأَ الْأَرْضُ ظُلْماً وَعُدْوَاناً، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي ... يَمْلَأُهَا قِسْطاً وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَعُدْوَاناً"،[٣] وفي رواية أخرى: "إنَّ علياً وصيي، ومن ولده القائم المنتظر المهدي، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً".

الباب الثاني: حوادث عصر الظهور

الفصل الأول: العلامات الحتمية

تلاطمت أمواج الكفر التي تمثَّلت بالوهابية صادحة بثغائها، مترنمةً بسيفونة حلمها، عازفة على وتر وهمي، تائهةً، ومتهمةً الرافضة بمقولة "علم الغيب".

مفنِّدةً ألاعيبها من كتاب الله، زاعمةً أنَّ كتاب المسلمين ينفي قدرة الوصول إلى العلم الإلهي، بل إنَّ الله تعالى استأثر بهذا العلم، وما يحيكه جهابذتهم وعلماؤهم ما هو إلا أفيون للشعوب يخدرونهم به، ليسيطروا على الغفَّل ويشوهوا وجه الحقيقة.

وأردفوا قائلين إنَّهم بهذه الأطروحة التي يتقولونها عندهم "علم الغيب" يستطيعوا أن يبطشوا بقوة وبيد حديدية القوى العظمى التي تسلحت بسلاح يستطيع هدم العَالَم، ولكن لا يستطيع هدم العالِم.

فقالوا: "إنَّ قرآنكم يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]

ويقول: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾

---

١. روضة الكافي، ج٨، ص٣٦، حديث أبي عبد الله مع المنصور في موكبه.
٢. بحارالأنوار، ج٥١، ص
٣. دلائل الإمامة، ص٤٦٧

www.noormags.ir

(الأعراف: ١٨٨)، ويقول أيضاً: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن: ٢٦)

وأمَّا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ٣)، فالمقصود بها الجنة والنار، ويوم الحشر، والمعاد...، أي الأمور الماضية كقصص الأنبياء وما يتعلّق بيوم القيامة، وليس المقصود كما يقول به الرافضة هو التنبؤ بالمستقبل، والأمور التي تتعلّق بالمهدي المخلِّص.

لينفوا بأنَّ القوى المؤمنة تتحد في آخر الزمان فيما بينها، لتصبح قوة قاهرة بالفتوحات، منتصرة وحاكمة للقارات.

وغفَّلوا شعوبهم وتناسَوْا أنَّ الله تعالى يقول: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]

ورسل الله تعالى كلهم مرضيون.[١]

أما أهل الكتاب من اليهود والمسيحية فإنَّ نظرياتهم متكاتفة ومتقاربة من التنبؤات المستقبلية التي تؤكِّد الحوادث التي تقع قُبيل ظهور الإمامA.[٢]

العلامات الحتمية عند المسلمين

برواية صحيحة في روضة الكافي عن عمر بن حنظلة قال: "قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِA يَقُولُ: خَمْسُ عَلَامَاتٍ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ: الصَّيْحَةُ وَالسُّفْيَانِيُّ وَالْخَسْفُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ وَالْيَمَانِيُّ فَقُلْتُ :جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنْ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ قَبْلَ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ أَ نَخْرُجُ مَعَهُ قَالَ لا".[٣]

وقد علَّق عليها السيد جعفر مرتضى قائلاً: "وإن كان الحديث تام السند لكن الظاهر أنَّ الحديث فيها وفيما سبقها هو الخروج مع المدعين للمهدوية، وهم من قرابة النبي9، ويزيد ذلك وضوحاً أنَّه جاء بعد علامات القائم الدالة عليه دلالة تامة".[٤]

وعلق الشيخ محمد السند في فقه علائم الظهور، فقال: وهذا تنبيه بالغ على عدم الانخداع وراء أدعياء أسماء الظهور قبل علامات الظهور الحتمية، من الصيحة

---

١. انظر: موقع الشيخ سفر الحوالي+الغيب وعلم الستقبل/الشريعة والحياة-نت-مكة المكرمة، ٢٠١٠/١١/١١، انظر: مواقع الغيب للوهابية.

٢. انظر: موقع Max forums.net أحداث نهاية العالم التوراتية والإنجيلية وتطابقها مع تنبؤات الإسلام.

٣. الكافي، ج٨، ص٣١٠

٤. المختصر المفيد، ج٣، ص١٨٠

www.noormags.ir

والنداء من السماء والسفياني والخسف لجيشه في صحراء المدينة المنورة، وان من اهم علامات الظهور الصيحة والنداء من السماء.[١]

وعلق الشيخ المنتظري: ونهي عمر بن حنظلة وأمثاله عن الخروج قضية في واقعة، ولعل النظر في الخروج مع من كان يدعي المهدوية في ذاك العصر ولا ربط للحديث بالجهاد الدفاعي في زماننا.[٢]

وفي بعض الروايات عشر علامات حتمية: فعن حذيفة بن اسيد الغفاري: قال: كنا جلوساً في المدينة في ظل حائط، وكان رسول اللهﷺ في ظل حائط فاطّلع علينا، فقال: فيم أنتم؟ فقلنا: نتحدث، قال: عمَّاذا؟ قلنا: عن الساعة؟ فقال: إنكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات، طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، وثلاثة خسوف تكون في الأرض، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وتكون في آخر الزمان نار تخرج من اليمن من قعر الأرض، لا تدع خلفها أحداً، تسوق الناس إلى المحشر".[٣]

وهناك روايات كثيرة، منها ما أجمل ومنها ما فصَّل.

١. السفياني

وأما "الكوفان فيخرج بها رجل من آل عنبسة بن أبي سفيان يعني السفياني".[٤]

وقال أبو عبد اللهA: "قال أبيA: قال أميرالمؤمنينA: يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس... اسمه عثمان وأبوه عنبسة، وهو من ولد أبي سفيان".[٥]

وقال أميرالمؤمنينA في كتابه لمعاوية: "وأن رجلاً من ولدك مشوم وملعون جلف جاف منكوس القلب فظ غليظ قاسٍ، قد نزع الله من قلبه الرأفة والرحمة، أخواله من كلب..."[٦] ويصب السفياني على الأمم العذاب صباً، ويعض عليهم الأنامل من الغيظ، ويترشح منه عرق الحقد، حتى يكاد يتميز من الغيظ، ولم ير في بني البشر أشدَّ منه لؤماً وعذاباً، وهيهات منه فرعون ونمرود والحجاج ومن حذا حذوهم.

"يقتل السفياني كل من عصاه، وينشرهم بالمناشير، ويطبخهم بالقدور ستة أشهر"

---

١. فقه علائم الظهور، ص٣٧

٢. دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، ج١، ص٣٤٤

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج٣، ص٣٧٨/ موسوعة أحاديث الإمام المهدي، ج٤، ص١٧

٤. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١، ح٢٨٩

٥. موسوعة الإمام المنتظر، ج٤، ص١٠٢

٦. المصدر السابق، ص١٠٤، نقلاً عن: كتاب سليم بن قيس، ج٢، ص٧٤٨

www.noormags.ir

"يخرج السفياني فيقاتل حتى يبقر بطون النساء، ويغلي الأطفال في المراجل".[1]

صفاته في خلقه وخُلُقِه

ويُخال إليك من سوء منظره أنَّ مخلوقاً وحشياً من كوكبٍ آخر قد هبط إلى الأرض لإرعابها، فيقول أمير المؤمنينA: "يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس،[2] وهو رجل رَبعة، وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر الجدري، إذا رأيته حسبته أعور"،[3] وفي رواية ثانية عن الإمام الباقرA: السفياني أحمر أشقر أزرق".[4]

ويبدو أنَّ حركته هي حركة نفاق، وأنَّها تبدو بهجة للناظرين، وتقوم على الدعوة للدين والإسلام والتقى، والتمسك بعروة القرآن الكريم، ودعوة الموحدين، فينحدر إليه الناس بكلامه ودعوته وإرشاده حتى ليقال: إنَّ كمال الدين، واستقامة المؤمنين إنَّما يكون على يديه.

فعن عمرو بن يزيد قال: قال لي الإمام الصادقA: إنَّك لو رأيت السفياني، رأيت أخبث الناس أشقر أحمر أزرق، يقول: يا رب يا رب يا رب، ثم للنار، وقد بلغ من خبثه أنَّه يدفن أم ولدٍ له وهي حيَّة، مخافة أن تدل عليه".[5]

وقال الإمام الباقرA: "لم يعبد الله قط، ولم يرَ مكة ولا المدينة قط، يقول: يا رب ثاري والنار، يارب ثاري والنار".[6]

وكيف له أن يرى مكة والمدينة وهو لم يؤمن بالله؟!!!

ويُظهر حسن سريرته بقوله: يا رب يا رب ... أمام الملأ، رافعا يديه بالدعاء، حتى تصبح الناس والدم يغلي في عروقها طالبين بثأره؛ لأنَّه بظنهم طالباً ثأر المسلمين، يريد أن يرجع عزّهم ومجدهم، وبلادهم التي تسلطت عليها رقاب الملحدين.

ويقصد والنار: أي النار لمن عصى، يذكرهم بربهم خبثاً، إنَّ ربكم لبالمرصاد لمن يتخلف عن الجهاد، ثم الويل للمسلمين منه !! إذ يتنصر ويرتد عن دينه ويُعلن للملأ أنَّه اختار النصرانية له ديناً بدل الإسلام، مستبشرا بذلك ومتباهيا بالصليب في

---

١. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١، ح٢٨٥

٢. الوادي اليابس: درعا أو حوران، حوران: سهل يقع في جنوب سوريا وشمال الأردن، حيث يشمل أراضي من ريف دمشق حتى درعا من سوريا، وعاصمتها درعا (أذرعات الشام).

٣. موسوعة الإمام المهدي، ج٤، ص١٠٤

٤. موسوعة الإمام المهدي، ج٤، ص١٠٥

٥. موسوعة الإمام المنتظر، ج٤، ص١٠٥

٦. نفس المصدر

www.noormags.ir

عنقه، فعن بشير بن غالب، قال: "يُقبل السفياني من بلاد الروم منتصراً، وفي عنقه الصليب وهو صاحب القوم".[١]

بداية حركة السفياني

عن أبي عبد اللهA قال: "إنَّ أمر السفياني من الأمر المحتوم، وخروجه في رجب".[٢]

وفي حديث آخر للإمام الصادقA: "السفياني لابدُّ منه، ولا يخرج إلا في رجب".[٣]

فيهتك الأشهر الحرم، ولا يُراعي لله حرمة، في حرمة القتال بها، بل ترجع جاهلية أولى، ويواليتها ترجع نسيئة كما كانت تفعل الجاهلية، إنَّما يضرب بعرض الحائط آيات الله ويمزق شريعة الله تمزيقاً.

وتكون بداية حركته من الشام كما وردت الرواية المؤكدة، منها ما قاله الإمام الباقرA: "وخروج السفياني من الشام"،[٤] وفي بعضها "الوادي اليابس"

وفي كتاب الغيبة للطوسي: "وإذا استثارت عليكم الروم والترك، ويتحالف الروم والترك، وتكثر الحروب في الأرض، وينادي منادٍ عن سور دمشق، ويلٌ للأرض من شرٍ قد اقترب، ويُخسف بغربي مسجدها، حتى يخرّ حائطها، ويظهر ثلاثة نفرٍ بالشام، كلهم يطلب الملك، رجلٌ أبقع،[٥] ورجلٌ أصهب،[٦] ورجل من أهلبيت أبي سفيان يخرج في كلب، ويحضر الناس بدمشق، ويخرج أهل الغرب إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك أمارة السفياني".[٧]

مدة ملكه وحدوده

تراوحت الروايات في مدة ملكة ما بين الثمانية أشهر إلى عشرة أشهر.

وصرَّحت بعض الروايات بقولها: "يملك حملَ امرأة"،[٨] وفي بعضها عن أبي عبد اللهA قال: السفياني من المحتوم وخروجه من أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً، ستة أشهر يُقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم

١. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٠١٧/ الغيبة للطوسي، ص٤٦٣
٢. موسوعة الإمام المنتظر، ج٤، ص١٠٧/ الكافي، ج٨، ص٢٦٤
٣. ا المصدر السابق
٤. موسوعة الإمام المنتظر، ج٤، ص١٠٩
٥. الأبقع: من فيه سواد وبياض، ولعلَّ من فيه برص، المنجد: مادة بقع
٦. الأصهب: من كان فيه حمرة أو شقرة، ويطلق الأصهب على الأسد، وعلى الرجل الطويل، المنجد: مادة صهب
٧. الغيبة للطوسي، ٤٦٣
٨. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج٤، ص٤١٩

www.noormags.ir

يزد عليها يوماً".[1]

وفي الغيبة للطوسي عشرة أشهر، فعن محمد مسلم، قال سمعت أبا عبد اللهA يقول: "إنَّ السفياني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة، ثم قالA: أستغفر الله، حِملُ جمل، وهو من الأمر المحتور الذي لابدُّ منه".[2]

وعن أميرالمؤمنينA: "وإذا كان ذلك خرج السفياني فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر، يخرج بالشام فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق، يعصمهم الله من الخروج معه".[3]

وفي هذه الأشهر القليلة ينقاد له أهل الشام إلا من عصمه الله من هذه الفتنة، (وما أكثرُ الناس ولو حرصت بمؤمنين) فيقاتل بهم، وعندها تشاهد الناس كثرة أتباعه، يتبعون الداعي بلا بصيرة، فيرون دون تروي !! بأنَّه لو لم يكن محقاً لما كثُر أتباعه.

فيكون عندئذٍ أهل الشام هم الشعلة الوقَّادة التي يضيء بها دربه، ويفتح بهم الفتوحات، كما كان جده معاوية.

ثم يزحف نحو العراق فيقاتل مقتلة عظيمة.

فعن الإمام الصادقA: "إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن، وقنسرين[4] فتوقعوا عند ذلك الفرج، قلت: يملك تسعة أشهر؟ قال: لا، ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً".[5]

جبل من ذهب

وبينما يسير بجبروته مبتهجاً بانتصاراته إذ يتراءى لهم عند الفرات جبل من ذهب، فتجتمع عنده جحافل الجيوش لا يرى أولها من آخرها، فيتناسوا البلاد وفتحها مقابل هذا الكنز، لعلمهم أنَّ الاستيلاء عليه يعني دخول البلاد طوعاً أو كرهاً بعد أن يركع أمامهم أصحاب الأطماع حرصاً وحسداً، وينزوي من بطشهم أصحاب الحق خوفاً ورهبةً "ينحسر الفرات عن جبل من ذهب وفضة، فيقتل عليه من كل تسعة سبعة، فإن ادركتموه فلا تقربوه" وفي حديث أيضاً "الفتنة الرابعة" ثمانية عشر عاماً، ثم تنجلي وقد انحسر الفرات عن جبل من ذهب، تنكب عليه الامة فيقتل من

---

١. الغيبة للطوسي، ص١٨

٢. نفس المصدر

٣. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٥٢

٤. قنسرين: قرية في سوريا تُعرف باسكي حلب، المنجد

٥. بحارالأنوار، ج٥٢، ص١١٨

www.noormags.ir

كل تسعة سبعة.[١]

وعن رسول اللهﷺ: "يقتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم".[٢]

ولعل المقصود هو الاقتتال على النفط الحالي، وقد عبر عنه بأفضل الأموال وهو الذهب والفضة.

عن الإمام الباقرA: "ثم لا يكون له همّة إلا الإقبال نحو العراق بقرقيسا[٣] فيقتتلون بها، فيقتل من الجبارين مائة ألف".[٤]

فتنة الكوفة

لا يفتك السفياني بقوم كما يفتك وينكّل بأهل الكوفة، فالويل ثم الويل لأهل الكوفة من فتنة لا تدخل داراً إلا هدمته، ولا ستراً إلا هتكته.

يقول أمير المؤمنينA: "ويدخل جيش السفياني إلى الكوفة، فلا يدعون أحداً إلا قتلوه، وإنَّ الرجل منهم ليمُرُّ بالدرّة المطروحة العظيمة لا يتعرض لها، ويرى الصبي الصغير فيلحقه فيقتله...".[٥]

وعن الإمام الباقرA: "ويبعث جيشاً إلى الكوفة، وعدّتهم سبعون ألفاً، فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً...".[٦]

وفي رواية ثانية، قال أبو حمزة الثمالي: سمعت الإمام الباقرA يقول: إذا سمعتم باختلاف الشام فيما بينهم فالهرب من الشام، فإنَّ القتل بها والفتنة، قلت: إلى أي البلاد، فقال: إلى مكة فإنّها خير بلادٍ يهرب الناس إليها، قلت: فالكوفة؟ قال: الكوفة ماذا يلقون! يقتل الرجال إلا شامي، ولكن الويل لمن كان في أطرافها، ماذا يمر عليهم من أذىً بهم، وتسبى بها رجال ونساء".[٧]

وفي بعض الروايات "إنَّه يقتل على جسر الكوفة سبعون ألفاً، حتى تحمّى الناس من الفرات ثلاثة أيام من الدماء ونتن الأجساد"[٨] ويحتمل أن المقصود تحمّى من الحمية وترك الشرب منه، أو تصاب بالحمّى.

ويظهر من التتبع أنَّ همهم في الكوفة وغايتهم إنَّما هو إخلاؤها من أهلها بالقتل

---

١. الامام المهدي واليوم الموعود، ص٣٣٣ نقلاً عن الفتن لابن حماد ص٩١ _ ٩٢
٢. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١، ح٣٩٤
٣. قرقيسا: مدينة بسوريا (محافظة الجزيرة) عند ملتقى الخابور بالفرات، المنجد.
٤. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٣٧
٥. موسوعة الإمام المنتظر، ج٤، ص١١٨
٦. المصدر السابق
٧. موسوعة الإمام المنتظر، ج٤، ص١٢٠
٨. المصدر السابق

www.noormags.ir

والتشريد، وملك الأوطان والبلاد، وتوسعة رقعة الاستيلاء على المناطق، لا على أموالها، ولكن بعدما يسومونهم سوء العذاب، ويطمئنون بالسيطرة عليها، يسلبونهم خيرات بلادهم.

ففي خبر جابر الجعفي عن أبي جعفرA: "ويظهر السفياني ومن معه حتى لا يكون له همّة إلا آل محمدg وشيعتهم، فيبعث بعثاً إلى الكوفة".[1]

نهاية حركة السفياني

وبعد أن يطوف بالبلاد فساداً، تبقى الأماكن المقدّسة التي كان يخشى من السيطرة عليها خوفاً من بطش المسلمين وتكتلهم، ولكن عندما يرى خضوع المناطق تحت سيطرته، فإنّه يندفع بقوة، لا حاجز ولا قوة قاهرة تقف في وجهه، إلا وكسر شوكتها، عندئذٍ يعزم على الدخول إلى المدينة المنورة، ثم على مكة المكرَّمة.

فعن حذيفة بن اليمان، أنَّ النبيg ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: "فبينما هم كذلك، يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق وآخر إلى المدينة... يحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام بلياليها، ثم يخرجون منها متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبرائيل فيقول: يا جبرائيل، اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها، ولا يفلت منها إلا رجلان من جهينة، فلذلك جاء القول: "وعند جهينة الخبر اليقين".[2]

الوشاية على المؤمنين

بما أنَّ السفياني أخشى ما يخشاه على ملكه من شيعة عليA، فلذا يشتري قلوب الناس بأمواله، فتنتزع الرحمة من قلوبهم.

فعن أبي عبد اللهA قال: "كأني بالسفياني أو بصاحب السفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة، فنادى مناديه: من جاء برأس رجلٍ من شيعة عليّ فله ألف درهم، فيثب الجار على جاره، ويقول: هذا منهم، فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم".[3]

وفي رواية: "ثم يسير إلى الكوفة فيقتل أعوان آل محمدg".[4]

انشقاق الفرات

يبدو أنَّ السفياني عندما يعجز عن الاستيلاء على الكوفة، يخطط بأن يهلك أهلها بمنعهم من الماء، فيفجر سد الفرات، فتطوف الكوفة وبيوتها، وطرقاتها، ويهلك

١. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٢٢، موسوعة الإمام المنتظر، ج٤، ص١١٢
٢. بحارالأنوار، ج٥٢، ص١٨٦/ مجمع البيان في تفسير الآية: ولو ترى إذ فزعوا/ سبأ: ٥١
٣. الغيبة للطوسي، ص٤٥٠
٤. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٠٨

www.noormags.ir

الحرث والنسل، فعن أبي عبد اللهA: "عام الفتح ينشق الفرات حتى يدخل أزقة الكوفة".[١]

نهاية السفياني، الخسف في البيداء

وفي رواية مُفصّلة للأحداث:

يدخل السفياني الكوفة، فيسبيها ثلاثة أيام، ويقتل من أهلها ستين ألفاً...

ويظهر بخراسان قوم يدعون إلى المهدي، ثم يبعث السفياني إلى المدينة فيأخذ قوماً من آل محمد حتى يرد بهم الكوفة، ثم يخرج المهدي ومنصور من الكوفة هاربين، ويبعث السفياني في طلبهما، فإذا بلغ المهدي ومنصور مكة، نزل جيش السفياني البيداء فتُخسف بهم، ثم يخرج المهدي حتى يمر بالمدينة فيستنقذ من كان فيها من بني هاشم، وتقبل الرايات السوداء حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ويخرج قوم من سواد الكوفة، يُقال لهم العُصَبُ، ليس معهم سلاح إلَّا قليل، وفيهم نفر من أهل البصرة، فيدركون أصحاب السفياني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي.[٢]

وينزل أمير جيش السفياني البيداء فينادي منادٍ من السماء، يا بيداء أبيدي القوم، فيخسف بهم فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر، يحوِّل الله وجوههم إلى أقفيتهم وهم من كلب[٣]

مقتل السفياني

وشاء الله أن يخزي السفياني بالعقاب الدنيوي، بالخسف بأصحابه، فيدمل بذلك قلبه، وتشظى قواعد ملكه، ولكنه لا يبالي بعد أن يشتري قلوب من تبقى من رجال استطاع أن يستميلهم.

"وإنَّ السفياني يبعث إلى المهدي من الشام جيشاً، فيخسف بهم بالبيداء، فلا ينجو منهم إلَّا المخبر، فيسير إليه السفياني بمن معه، ويسير إلى السفياني بمن معه، فتكون النصرة للمهدي ويُذبح السفياني".[٤]

---

١. الغيبة للطوسي، ص٤٥١

٢. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١، ص٤٠٠، ح٢٦٠

٣. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٥٣٨

٤. تاريخ ما بعد الظهور، ج٤، ص٢٤٠، للسيد محمد صادق الصدر، نقلاً عن اسعاف الراغبين، ص١٣٨

www.noormags.ir

وفي حديث آخر: "ثم يقول له القائمA: خذ حذرك، فإنني أديت إليك، وأنا مقاتلك، فيصبح فيقاتلهم، فيمنحه الله أكتافهم، ويأخذ السفياني أسيراً، فينطلق به يذبحه بيده".[1]

فإنَّ الإمامA قبل أن يقابله ويواجهه للقتال، فإنَّه يعرض عليه النزول إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى الاستسلام وإقامة العدل، مع كل الجور الذي ألحقه بالمؤمنين، ولكن مع ذلك يبقي له الأمل في التوبة والتراجع عن القتال، ولكنَّ بطانته الخبيثة وباطنه المتلوث يأبى عليه الاستسلام، فيناجزه الإمامA، فلذا يأخذ(ع) عندئذٍ برقابهم وأكتافهم فيثخن في الأرض ويجرهم أسرى.

ثم يذبحهA بيده ويشفي صدور قوم مؤمنين.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا هو يوم "الإبدال" فعندما يلتقي الإمامA مع السفياني، فإنَّ قوماً من أصحاب الإمامA يلتحقون بالسفياني، وقومٌ ممن مع السفياني يلتحقون بالإمامA، وهذا ما يُسمَّى بيوم "الإبدال".

ففي حديث عن جابر الجعفي عن الباقرA: "ثم يأتي الكوفة (أي الإمامA) فيطيل فيها المكث ما شاء الله أن يمكث حتى يظهر عليها، ثم يسير حتى يأتي العذرا[2] هو ومن معه، وقد لحق به ناس كُثُر، والسفياني يومئذٍ بوادي الرملة.

حتى إذا التقوا وهم يوم الإبدال يخرج ناس كانوا مع السفياني، من شيعة آل محمد، ويخرج ناس كانوا مع آل محمد إلى السفياني، منهم من شيعته حتى يلحقوا بهم، ويخرج كل ناس إلى رايتهم، وهو يوم الإبدال"[3] أي يبدلوا عقيدتهم خوفا ورهبة من السفياني، او خشية.

٢. الخراساني

وتشرئب أعناق الموالين لأهل بيت النبوة، تغلي في عروقهم الحمية الحسينية، التي ألزمتهم الحجة الإلهية، في وجوب نصرة المسلمين فيحملون الرايات السوداء التي تشير إلى الحزن المستمر على الحسين بأخذ ثأره، فيتوالون تترى بجيش منظم إلى الكوفة لقتال السفياني، وتخليص الأمة المستغيثة بهم.

---

١. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٤٤

٢. مرج عذرا: قريب من دمشق، وهو المكان الذي فيه قبر حجر بن عدي.الرملة:بلدة في فلسطين شمال شرقي القدس.

٣. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٢٤

www.noormags.ir

لم تذكر الروايات اسم الخراساني، لكن ذكرت وصفاً: "يخرج شاب من بني هاشم، بكفه اليمنى خال، من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح يُقاتل أصحاب السفياني"[١]

فعن أبي عبد اللهA: "خروج الثلاثة: الخراساني والسفياني واليماني في سنةٍ واحدة، في شهر واحد، في يومٍ واحد"[٢]

الخراساني شابٌ فتيٌ تذكر الروايات أنَّه غلام، وأكثر ما يُعبِّر عنه بغلام أنَّه في ريعان شبابه.

وأنَّه سيدٌ من ولد علي بن أبي طالبA، حسني أو حسيني، ففي بعض الروايات: "يخرج رجلٌ من ولد الحسين من قبل المشرق، ولو استقبلته الجبال لهدها، واتخذ فيها طرقاً"[٣]

وفي بعضها: "يخرج رجلٌ من ولد حسنٍ من قبل المشرق، ولو استُقبل به الجبال لهدَّها، فلا يؤخذ فيها طريق"[٤]

وفي رواية يُسمى منصور، فعن رسول اللهÙ قال: "يخرج رجل من وراء النهر،[٥] يقال له الحارث بن حرّاث، على مقدمته رجل يُقال له المنصور، يوطّن أو يُمكّن لآل محمد، كما مكَّنت قريش لرسول اللهÙ، وجب على كل مؤمن نصره، أو قال: إجابته"[٦]

وفي بعضها: "آخر الزمان سيخرج رجل صالح من وراء النهر، اسمه الحارث، معه جيشٌ عظيم، يقوده رجلٌ عظيم اسمه منصور، يُهيِّئ ذلك الرجل لذرية محمدÙ..."[٧]

وعبَّر عنه "بالفتى التميمي"،[٨] وعبَّر عنه: رجل من تميم، مولى لهم، أصفر قليل اللحية، يخرج إليه في خمسة آلاف، إذا بلغه خروجه، فيبايعه، فيصيِّره على مقدمته"[٩]

---

١. الإمام المهدي واليوم الموعود، ص٣٨١، نقلاً عن: عقد الدرر، الشافعي السلمي، ح١٢٩، ص١٧٦
٢. الغيبة، ص٤٤٧/ موسوعة الإمام المنتظر، ص١٢٤
٣. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١، ص٣٩٣، ح٢٥٣
٤. المصدر السابق
٥. المقصود وراء النهر: إما وراء نهري دجلة والفرات، او ما وراء نهر جيحون من سمرقند ونجارى وغيرها/ المفردات من معجم الأحاديث.
٦. المصدر الساق
٧. المصدر السابق
٨. المصدر السابق
٩. المصدر السابق

www.noormags.ir

الرايات السود من خراسان

يُروى عن محمد بن الحنفية: "تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء، قلانسهم سوداء، وثيابهم بيض، على مقدمتهم رجلٌ يُقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب، من تميم، يهزمون أصحاب السفياني، حتى تنزل بيت المقدس، توطِئ للمهديA سلطانه"[1]

وفي رواية يبعث السفياني خيله وجنوده،فيبلغ عامة الشرق من أرض خراسان، وأرض فارس، فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم، ويكون بينهم وقعات في غير موضع، فإذا طال عليهم قتالهم إيّاه، بايعوا رجلاً من بني هاشم، وهم يومئذٍ في آخر الشرق، فيخرج بأهل خراسان على مقدمته رجلٌ من بني تميم، مولىً لهم، أصفر قليل اللحية... لو استقبله الجبال الرواسي لهدّها[2]

"تجيء الرايات السود من قبل المشرق، كأنَّ قلوبهم زبر الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم فيبايعهم ولو حبواً على الثلج"[3]

وعن أبي جعفر الباقرA قال: "تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة فإذا ظهر المهدي بعث إليه بالبيعة"[4]

وفي حديث آخر عن الباقرA: "بينما هم كذلك إذ أقبلت رايات من خراسان، تطوي المنازل طيَّاً حثيثاً، ومعهم نفر من أصحاب القائم..."[5]

والروايات المتواترة تؤكد أنَّ القوة القاهرة التي يمتلكها السفياني تتمتع بالأسباب الطبيعية للانتصار، لولا التدخل الإلهي، وهو خسف البيداء بالسفياني وأتباعه.

لكن على الإنسان أن يُهيّئ الظروف ويستعد بكل قواه المادية والمعنوية، وهذا يقتضي أن يكون الإنسان قد أعدَّ نفسه من قبل، وإلّا فلا يمكن للإنسان الصمود في وجه الرياح العاتية التي يستحيل بطبيعته الإنسانية التي تميل إلى الشهوات إلا أن يستسلم لها.

وتؤكد الروايات أنَّ الأكثرية الساحقة تكون من أنصار السفياني، فلذا يشتد ذراعه وتقوى عزائمه، ويقتل البشر، حتى أنَّ الروايات تقول إنَّه يقتل ثلثي الناس ويبقى الثلث فقط

وهذا يُملي علينا أن نؤكد لمصيرنا الأُخروي بقوة العقيدة والبحث بالأمور

---

١. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١، ص٣٩٧، ٢٥٦

٢. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١، ص٤٠٢

٣. الإمام المهدي واليوم الموعود، ص٣٨٣، نقلاً عن عقد الدرر، ص١٢٩

٤. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢١٧

٥. نفس المصدر، ص٢٣١

www.noormags.ir

العقائدية التي تشد حزام الإيمان، فلا يفلت عند أي اهتزاز.

إضافة إلى أنَّ الحقائق تُشير إلى أنَّ المنهجية التي تسير عليها ولاية الفقيه التي اندلعت من إيران الإسلام، إنَّما تسير على نهج الحق، وأنَّ الخلاص إنَّما يكون بالتكتُّل والوحدة والانضمام تحت راية ولاية الفقيه.

وأنَّ الضربة الحديدية القاتلة لا بد أن تكون على أيدي رجال الله.

أمَّا التراخي واجترار التبعية، فلن يجرنا إلَّا إلى الانقراس والرجعية، وأنَّ التضامن والاتحاد بالاستعداد للقوة القاهرة لا بد أن تُهيّئ له الأجيال، بترسيخ العقيدة بالإمام المهدي (عج)، وما ننتظره في المستقبل القريب.

٣. اليماني

ورد عن الإمام الصادقA: "خروج الثلاثة الخراساني والسفياني واليماني في سنةٍ واحدة في شهرٍ واحد في يومٍ واحد، وليس فيها راية أهدى من راية اليماني يهدي إلى الحق"[١]

وفي حديث عن الإمام الباقرA: "خروج السفياني واليماني والخراساني في سنةٍ واحدة ... ونظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كل وجه..."[٢]

وعن الصادقA: "اليماني والسفياني كفرسي رهان"[٣]

وهذا يعني أنَّ هذا يكر وهذا يفر، وأحياناً يتعادلان في النصر والهزيمة، وهكذا هما في مقابل بعض، يقاتل بعضهما بعضاً.

وعن عبيد الله بن زرارة قال: ذكر عند أبي عبداللهA السفياني فقال: "أنّى يخرج ذلك؟! ولم يخرج كاسر عينه بصنعاء"[٤]

والمقصود أنَّ اليماني على قمة الاستعداد للمواجهة، يمتلك قوة تضاهي الجبال، قلوبهم كزبر الحديد، يتمنون الشهادة في هزيمته، ومع كل القوى التي يمتلكها السفياني،إذ انقادت معه الأمم طائعة، وقد تطلعت نفسه لا إلى منطقة الشام والدول العربية فحسب، بل بهم سيستعمر الأرض، فلا يكسر عينه وشوكته وبطشه وجبروته وكبرياءه إلا اليماني.

اليمانى و القائمA

في رواية صحيحة في روضة الكافي عن يعقوب السراج قال: قُلْتُ لِأَبِي عبدالله ع مَتَى فَرَجُ شِيعَتِكُمْ قَالَ فَقَالَ إِذَا اخْتَلَفَ وُلْدُ الْعَبَّاسِ وَوَهَى سُلْطَانُهُمْ وَطَمِعَ فِيهِمْ مَنْ

١. بحارالأنوار، ج٥٢، ص١٢٤
٢. المصدر السابق، ص٢٣٢
٣. المصدر السابق، ص٢٥٣
٤. المصدر السابق، ص٣٤٥

www.noormags.ir

لَمْ يَكُنْ يَطْمَعُ فِيهِمْ وَخَلَعَتِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا[1] وَرَفَعَ كُلُّ ذِي صِيصِيَةٍ صِيصِيَتَهُ[2] وَظَهَرَ الشَّامِيُّ وَأَقْبَلَ الْيَمَانِيُّ وَتَحَرَّكَ الْحَسَنِيُّ وَخَرَجَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ بِتُرَاثِ رَسُولِ اللَّهِ9 ...وَيَسْتَأْذِنَ اللَّهَ فِي ظُهُورِهِ فَيَطَّلِعُ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ مَوَالِيهِ فَيَأْتِي الْحَسَنِيَّ فَيُخْبِرُهُ الْخَبَرَ فَيَبْتَدِرُ الْحَسَنِيُّ إِلَى الْخُرُوجِ فَيَثِبُ عَلَيْهِ أَهْلُ مَكَّةَ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَبْعَثُونَ بِرَأْسِهِ إِلَى الشَّامِيِّ فَيَظْهَرُ عِنْدَ ذَلِكَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ فَيُبَايِعُهُ النَّاسُ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيَبْعَثُ الشَّامِيُّ عِنْدَ ذَلِكَ جَيْشاً إِلَى الْمَدِينَةِ فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُونَهَا[3]

تؤكد هذه الرواية أنَّ العرب تتفرّق وتنقسم على أنفسها، فكل يريد الحكم لنفسه، وكلٌ يتخذ قوة وتحصيناً ضد الآخر، وعندئذٍ يقوم السفياني بقواه العظمى علانية، ويقبل اليماني من صنعاء، بألوية الهداية، هادية إلى الحق، وهو يد الله الباطشة، ولسانه الناطق، آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، وتؤكِّد الرواية ليس هناك راية أهدى منها.

أما الحسني فيظهر أنَّه النفس الزكية.

٤. النفس الزكية

عن صالح بن ميثم التمار قال: سمعت أبا عبد اللهA يقول: ليس بين قيام القائمA وبين قتل النفس الزكية إلَّا خمس عشرة ليلة"[4]

وفي كتاب سليم بن قيس: "... ويقتل صاحب ذلك الجيش رجلاً من ولدي زكياً بريئاً عند أحجار الزيت،[5] ثم يصير ذلك الجيش كله إلى مكة ... فإذا دخلوا البيداء واستوت بهم الأرض خسف الله بهم"[6]

وعن عمار بن ياسر: "ثم يسير السفياني إلى الكوفة فيقتل أعوان آل محمد ... ثم يخرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح، فإذا رأى أهل الشام قد اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان فالتحقوا بمكة، فعند ذلك يقتل النفس الزكية وأخوه بمكة ضَيعةً،

---

١. العنوة: الذي والقهر والقسر، أي خلعت لباس الذل والمسكنة، وصحت (الصحوة الإسلامية).

٢. تطلق على الحصن وكل ما امتنع به، وعلى الوتد والقوة، مادة (صيص): أي كل اتخذ قوة وتحصيناً وجعل له أركاناً وأوتاداً.

٣. الكافي، ج٨، ص٢٢٥

٤. الغيبة للطوسي، ص٤٤٥

٥. يطلق على موضعين، الأول: عند الزوراء بجوار مشهد سنان بن مالك، وهو موضع استسقاء النبي(ص)، وقد دخل هذا المكان في توسعة المسجد النبوي الشريف من الجهة الغربية، وهناك قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، عندما قال له الإمام الصادق(ع) لأبيه عبد الله: "والله ما هي إليك، ولا إلى ابنك، وإنما هي لهذا (يعني السفاح) ثم لهذا (يعني المنصور يقتله على أحجار الزيت). والثاني: فهو في الحرة الشرقية من المدينة، عند منازل بني عبد الأشهل، وقد كان عندها معركة الحرة.

٦. كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج٢، ص٧٧٥

www.noormags.ir

فينادي منادٍ من السماء: أيُّها الناس إنَّ أميركم فلان، وذلك هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً".[١]

من شدة التأسُّف على النفس الزكية والقهر الذي أدمى القلب قال عمار "ضَيعةً"، أي ذهب ضياعاً وخسارةً، وأسفاه فكم كان يلوذ ويدافع عن المسلمين، فثلم في الإسلام وفي القيادة ثلمة، لا يسدها إلَّا ظهور الإمامA،فعندئذٍ يأتي النداء من السماء بالبشارة،بظهور الإمامA ليسد تلك الفجوة العظيمة التي خلَّفتها شهادته.

من هو النفس الزكية؟ وكيفية مقتله

وقع خلاف في اسمه، فقيل إنَّ النفس الزكية غلام من آل محمد اسمه "محمد بن الحسن يُقتل بلا جرم ولا ذنب، فإذا قتلوه لم يبقَ لهم في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر"[٢]

وعن الإمام الباقرA: وقتل غلامٍ من آل محمد9 بين الركن والمقام، اسمه محمد بن الحسن: النفس الزكية..."[٣]

وفي روايةٍ أنَّ الإمامA هو الذي يبعثه إلى أهل مكة ليلقي الحجة عليهم، وليستعدوا لمبايعة الإمامA، ويخبرهم بظهوره، ولكنَّ الدعوة لم تكن علنية إلى الحد الذي يعرف الأقصى والداني ذلك، فإذا أخبرهم بذلك؛ هتكوا حرمة المسجد الحرام، فذبحوه بين الركن والمقام، فعن الإمام الباقرA: "يقول القائم لأصحابه: يا قوم إنَّ أهل مكة لا يريدونني، ولكني مرسل إليهم لأحتجَّ عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتجَّ عليهم.

فيدعوا رجلاً من أصحابه فيقول له: امضِ إلى أهل مكة فقل: أنا رسول فلان...

فإذا تكلَّم هذا الفتى بهذا الكلام، أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية"[٤]

ويتسنى للنفس الزكية بطريقة معينة، إمَّا لتقربه من السلاطين، وإمَّا باستعمال مكبّر صوت معيَّن، والناس تكون حينئذٍ مجتمعة في مكة؛ لأنَّ الروايات تقول بإنَّ الإمامA يظهر بعد قتله بـ (١٥) يوماً، في عاشوراء، فينبغي حينئذٍ أن يكون مقتل النفس الزكية حوالي ٢٤-٢٥ ذي الحجة، وهذا الوقت في العادة تكون الناس في مكة بعد انقضاء مناسك حجها بقليل.

---

١. الغيبة للطوسي، ص٤٦٤

٢. المصدر السابق

٣. بحارالأنوار، ج٥٢، ص١٩٢، موسوعة الإمام المنتظر، ج٤، ص٢٠٣

٤. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٠٧، موسوعة الإمام المنتظر، ج٤، ص٢٠٤

www.noormags.ir

والروايات متضافرة كلها تؤكّد أنَّه يُقتل في مكة أو بين الركن والمقام، ولم تذكر إلَّا رواية واحدة فقط أنَّه يُقتل عند أحجار الزيت، ولعلَّ هذا المقصود هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن الذي قُتل بأمر أبو جعفر المنصور، في زمن الإمام الصادقA.

وفي البحار: "وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين، والمذبوح بين الركن والمقام..."[1]

ولا تنافي هذه الرواية الروايات التي تقول بأنَّ النفس الزكية يُذبح بين الركن والمقام؛ لأنَّ المؤمنين الأتقياء كلهم ذوات نفسٍ زكية.

٥. الدجال

ورد اسم الدجال في عشرات الروايات من الفريقين السنة والشيعة، بحيث لم يطرأ شك في حتمية هذه العلامة في آخر الزمان.

عَنْ عبدالله بْنِ سُلَيْمَانَ وَكَانَ قَارِئاً لِلْكُتُبِ قَالَ قَرَأْتُ فِي الْإِنْجِيلِ وَذَكَرَ أَوْصَافَ النَّبِيّ9 إِلَى أَنْ قَالَ تَعَالَى لِعِيسَى أَرْفَعُكَ إِلَيَّ ثُمَّ أُهْبِطُكَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ لِتَرَى مِنْ أُمَّةِ ذَلِكَ النَّبِيِّ الْعَجَائِبَ وَلِتُعِينَهُمْ عَلَى اللَّعِينِ الدَّجَّالِ، أُهْبِطُكَ فِي وَقْتِ الصَّلَاةِ لِتُصَلِّيَ مَعَهُمْ إِنَّهُمْ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ."[2]

من هو الدجال؟ وما هي صفاته؟

اجمعت الروايات على أنَّ الدجال قد صُبغ بدم الضغائن والخبائث وطلي بأنواع الشرور والروائث، بل لم يدع دماً إلا سفكه، وعرضاً إلا انتهكه، وقد زيّف نفسه ببيرق الإصلاح والمحبة.

فلذا نحله أهل‌البيتβ اسم الدجال، ووصفوه بالقبح خَلْقاً وخُلُقاً.

بل قال9: "إنَّه لم يكن نبي قبلي إلا وقد وصف الدجال لأمته"[3]

وقال: الدجال لا يولد له، ولا يدخل المدينة ولا مكة"[4]

وقال أمير‌المؤمنينA: "يخرج من بلدة يُقال لها أصبهان، من قرية تُعرف باليهودية"[5]

وذكرت بعض الروايات أنَّه يخرج من خراسان، فعنه9: "يخرج المسيح الدجال

---

١. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٧٣

٢. بحارالأنوار، ج٥٢، ص١٨١

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج٢، ص٦

٤. المصدر نفسه، ص٣٥، ح٣٩٤

٥. موسوعة الإمام المنتظر، ج٤، ص٢٢١

www.noormags.ir

من مرو من يهودينها"[١]

وفي بعضها: خارج خلة بين الشام والعراق[٢]

صفته في خَلْقه

ورد عن رسول الله9: "إنّي قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إنَّ المسيح الدجال رجلٌ قصير، أفحج جعد أعور، مطموس العين، ليست بناتئة ولا حجراء، فإنَّ التبس عليكم فاعلموا أنَّ ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"[٣]

وفي بعضها: "الدجال أعور عين الشمال، بين جبينه مكتوب كافر، وعلى عينه ظفرة غليظة".[٤]

بل من شدة افتتان الناس به في آخر الزمان، وأنَّه الحد الفاصل بين الإيمان والكفر قال9: "ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الدجال، ألا وإنَّه أعور... مكتوب بين عينيه كافر، يقرأه كل مؤمن"[٥]

النبي9 يؤسس قاعدة محكمة لفتنة آخر الزمان، فلذا صبَّ كلماته وصهرها في بوتقة التعجب، ليفيق السابت من غفوته، وينقلها للأجيال بحدث مهم، حتى ليكاد يجن مستمعها ويفقد عقله، من شدة دهشته بالفتن المقبلة على ذريته في آخر الزمان.

وفي أحاديث كثيرة "ثلاث فتن في هذه الأمة... وملحمة الروم، وملحمة الدجال، ليس بعد ملحمة الدجال ملحمة".[٦]

وعن كعب "إذا رأيت همدان المشرق، وقد نزلت بين الرستن وحمص فهو حضور الملحمة وخروج الدجال".[٧]

فأعطى أوصافه ليتقي شرَّه كل من رآه، وهذا يقتضي أن يكون الإنسان قد مهَّد نفسه قبل ظهوره، لئلا يلحق في ركب قافلته.

وأنّ يكون قد حذَّر ذريته وقبيلته، بل أهل ملته من الالتفاف تحت عبائته المشبوهة.

ثمّ إنَّ النبي9 يؤكد على التفصيل بعد الإجمال، فيقول إنَّ عينه ليست بناتئة،

---

١. عقيدة المسيح الدجال، ٣٧٧

٢. المصدر السابق

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج٢، ص٥، ح٣٨٢

٤. الإمام المهدي واليوم الموعود، ص٣٦٢، نقلاً عن الفتن لابن حمادة، ص١٤٦

٥. المصدر نفسه

٦. معجم أحاديث الإمام المهدي، ٢٣١

٧. المصدر نفسه، الحاشية

www.noormags.ir

فهي لم تخرج إلى الخارج، وليست حجراء في الحجر داخلة، بل عين طبيعية لكنّها مغمضة لا نور فيها.

ثم يؤكّدﷺ أنَّه فرعون ونمرود هذه الأمة فادعى الربوبية كما ادعياها، ثم يحجم نطاقه ويعطي قاعدة عقائدية، إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليس بجسمٍ ولا صورة وليس له مكان ولا زمان.

وقد احتمل البعض أن يكون كلام رسول البشريةﷺ عن الدجال وأعماله، إنَّما هو رمز (شيفرة) لحالة الهذيان والكذب والتزوير، وإلى انقلاب الصورة الإسلامية التي تخرج الناس من الظلمات إلى النور، إلى صورة مشوَّهة القلب والقالب، إلى الحالة التي تسود المجتمع الإسلامي، فلا يرى الناس الحق والحقيقة لانطماس الحقائق، ولا يرون إلا من جانبٍ واحد فقط، فيميلوا حيث مالت بهم أهواؤهم.

ولكنَّ الصواب، إنَّه رجل متموّل غني له أتباع، فيمسح عقول البشر، بالغسل الدماغي من جرَّاء تزييف المعادلات والكذب المتكرر، لكن هو نفسه قد يكون أعمى البصيرة لا البصر.

والدليل على ذلك

قولهﷺ: فإن التبس عليكم فاعلموا أنَّ ربكم ليس بأعور! وهل يمكن لله تعالى أن يتجسَّد؟! ألا تكون هذه الجملة لَغْوية، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ بل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَايَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾.

أتباعه أهل الشره في الطعام

وبيَّن النبيﷺ أنّ سلطانهم المبين وهمهم العظيم بطونهم، فقالﷺ: "يخرج الدجال فيتبعه ناس فيقولون: نحن شهداء أنَّه كافر، وإنّما نتبعه لنأكل من طعامه ونرعى من الشجر، فإذا نزل غضب الله نزل عليهم جميعاً".

بل إنَّ وجوههم من كثرة الطعام ضخمة وكأنَّها مشوهة من الاحمرار والبثور والتشققات فهيئتهم تشعر بالرعب، إذ سيماه الصفاء والنقاء والمحبة قد نزعت، وبدت عليها علامة القساوة والحقد من كثرة القتل والتنكيل والحقد الذي يكيلونه لأصحاب الإمامA.

الدجال سامري الأمة

ويبدوا أنَّه رجلٌ ذكي، ولكنَّه ماكر وداهية، فاستعمل قدراته السلبية في إضلال عباد الله.

فقد ورد عن النبيﷺ في وصفه: "يخرج ومعه جنّة ونار، وجبل من خبز، ونهر من ماء، أكثر أتباعه اليهود والنساء والأعراب، يدخل الآفاق كلها إلا مكة ولابتيها،

www.noormags.ir

والمدينة ولابتيها".[١]

فيتبين من روايته أنَّ الشاحنات العظيمة المليئة بالطعام وزخارف الدنيا معه.

الابتلاءات التي يبتلي بها الناس من الدجال

١. تدفق الأموال والطعام والشراب

قبل خروج الدجال يُبتلى الناس بالجوع والفقر، فعن النبيﷺ: "يكون قبل خروجه سنون خمس جدب، يهلك كل ذي حافر"،[٢] فالناس تكون بحالة شدّة واستغاثة، وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ ذلك في كتابه: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٨٦)، ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٢]

فتتهافت الناس عليه من كل صوبٍ وحدب.

وعن الإمام الباقرA: "وَلَكِنْ إِذَا اشْتَدَّتِ الْحَاجَةُ وَالْفَاقَةُ وَأَنْكَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَقَّعُوا هَذَا الْأَمْرَ صَبَاحاً وَمَسَاء"[٣]

وعن أمير المؤمنينA: "يَأْخُذُهُمُ الْقَحْطُ وَالْغَلَاءُ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى يَبْلُغ"[٤]

٢. تعذيب المؤمنين وقتلهم

يقول النبيﷺ: "معه جنة ونار، فناره جنّة وجنته نار"، كما يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]

معه جنة الدنيا من كل ما لذَّ وطاب، فيعرض على المؤمن فيأبى، ويكون حجر المجاعة على بطنه فيعذب، فيكشف الله تعالى الغطاء عن وجه المؤمن فيرى ببصيرته عين سريرة الدجال بأنه هوائي النفس، وانه رجل كافر، كما قال أمير المؤمنينA: "بين عينيه مكتوب كافر يقرأه كل كاتب وأمي"[٥] فيعرفه بسمته؛ لأنَّ أمارة الكفر وعلائمها على وجهه فلا يخفى عليه وجه الصواب.

ولو كتب على وجهه كافر؛ لأزالها بنفسه ولما ضلّ أتباعه؛ لأنَّه مموّه وموشح بوشاح الخير، إذ أنَّه يوعز إليهم بأصدق على الفقراء، يريد أن ينجيهم من بوائق الدهر فلبّس عليهم دينهم.

---

١. إكمال الدين وإتمام النعمة

٢. الإمام المهدي واليوم الموعود، ص٣٦٨، عن مجمع الزوائد، ج٧، ص٣٤٧

٣. بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٨٥

٤. المصدر السابق، ص٢١٩

٥. المصدر السابق، ص١٩٤

www.noormags.ir

وقد حذَّر النبيﷺ من تهوّر الناس وانقلابهم على أعقابهم، ومن عبادة الله على حرف، ومن نقض الغزل من بعد قوة انكاثاً، فقالﷺ: "لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها، وما صُنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال"[1]

ومن هنا دقَّ رسول اللهﷺ ناقوس الخطر، وأعطى أمته خطام زمام أحاديثه، ودعاهم للحذر من الفتن الشعواء، ما أقلتهم الغبراء، مؤكداً على التهيئة والاستعداد في كل زمان ومكان وتخطي العقبات لئلا ينزلق المؤمن في متاهات النفس الأمارة بالسوء لأنَّه إن استطاع اقتحام العقبات كان أقدر على الانفلات من براثن فتنة الدجال.

٣. الجاه والشهرة

بما أنَّ الدجال يملك على شرق الأرض وغربها -إلا مكة والمدينة وما حولهما كما ذُكر- لأنَّ الناس كما قال أمير المؤمنينA أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

فإنَّ الناس تتهافت على الدجال يبتغون عنده العزة، ومن كان له حظوة وسعادة فإنَّه يرفو ويركض للانضمام إليه، حتى يوعز الناس بعضهم إلى بعض ويسرون إليهم النبأ السار، بسرعة الالتحاق به، ويعطى بعضهم الرشاوي ليقبله من جنوده، بل يزرى ويهمل بالذي ينوء بنفسه خوفاً من سقوطه في مهوى طغيانه.

قال النبيﷺ: "يتّبع الدجال من يهود أصبهان (أصفهان) سبعون ألفاً عليهم الطيالسة، وثلاثة عشر ألف امرأة"[2]

والطيلسان هو اللباس الفاخر الذي يلبسه العلماء والخواص والكبراء، وأكثر ما يكون منه الأخضر الفاخر.

وفي رواية أخرى "ليهبطنّ الدجال خوز "خوزستان" وكرمان في ثمانين ألفاً كأنَّ وجوههم المجان المطرقة يلبسون الطيالسة وينتعلون الشعر"[3] وهذا دلالة على أنَّه حتى في أقدامهم يلبسون الريش والشعر، وهذا أقصى ما يكون من لباس الشموخ والكبرياء.

وتبين الروايات الأخر أنه ليس المقصود اليهود هم أهل التوراة، بل اليهود ومن تهوَّد وخطى خطاهم، وعانق مبادءهم، بل كان قلادة في أعناقهم يتزينون بها، ويلوحونها كما شاؤا، وقد قالﷺ: "من أبغضنا أهل‌البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً،

---

١. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج٢، ص١٨، ح٣٨٨

٢. المصدر السابق، ج١، ح٢١٠

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١، ح٢١١

www.noormags.ir

فإن أدرك الدجال كان معه، وإن هو لم يدركه بعثه الله في قبره فآمن به"[١]

وقال9: "يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً عليهم السيجان"،[٢] وقال أيضاً: "كأني بمقدمة الأعور الدجال ستمائة ألف من العرب يلبسون السيجان"

والسيجان هو نوع من السمك، أي جيش منظّم عليهم لباس مموّه ومموّج كأنّه قشور السمك، ويموجون موجاً من كثرتهم فتراهم وكأنهم بحر لا يرى أوله من آخره.

٤. أسلم المواضع في فتنة الدجال

سأل أبو موسى الأشعري أميرالمؤمنينA عن أسلم المدن وخير المواضع عند نزول الفتن وظهور السيف، فقالA: "فأسلم المواضع يومئذٍ قصبة قم، تلك البلدة التي يخرج منها أنصار خير الناس أباً وأماً وجداً وجدّةً وعماً وعمّةً"[٣]

وفي حديث عن بعض أصحاب الإمام أبي عبد اللهA قال: "كُنَّا عِنْدَهُ جَالِسِينَ إِذْ قَالَ مُبْتَدِئاً خُرَاسَانُ خُرَاسَانُ سِجِسْتَانُ سِجِسْتَانُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِهِمَا رَاكِبِينَ عَلَى الْجِمَالِ مُسْرِعِينَ إِلَى قُمَّ".[٤]

وعن سليمان بن صالح قال: "كُنَّا ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِA فَذَكَرَ فِتَنَ بَنِي عَبَّاسٍ وَمَا يُصِيبُ النَّاسَ مِنْهُمْ، فَقُلْنَا: جُعِلْنَا فِدَاكَ، فَأَيْنَ الْمَفْزَعُ وَالْمَفَرُّ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟ فَقَالَA: إِلَى الْكُوفَةِ وَحَوَالَيْهَا، وَإِلَى قُمَّ وَنَوَاحِيهَا، ثُمَّ قَالَA: فِي قُمَّ شِيعَتُنَا وَمَوَالِينَا وَتَكْثُرُ فِيهَا الْعِمَارَةُ وَيَقْصِدُهُ النَّاسُ وَيَجْتَمِعُونَ فِيهِ حَتَّى يَكُونَ الْجَمْرُ بَيْنَ بَلْدَتِهِمْ".[٥]

وفي بعضها: "إنَّ قم يبلغ من العمارة إلى أن يشترى موضع فرس بألف درهم".[٦]

فأوتاد الأرض هم العلماء والمتقون، فبفضلهم وتكتلهم واستشاراتهم ووحدتهم يديرون أمر البلد، وينظمونه، فلن يجعلوا سبيلا للفتن بالدخول إليها، علاوة على ذلك، فإنَّ ارتباطهم بحبل الله المتين يُهبط عليهم الرحمة، ولا يذيقهم بأس عدوهم.

٥. انهزام الدجال ومقتله

وبينما القتال مستعراً، ولم تشتّد أواصر حكومة الدجال "ينزل عيسى بن مريمA عند انفجار الصبح، ما بين مهرودين، وهما ثوبان أصفران من الزعفران... بيده

---

١. موسوعة الإمام المهدي، ج٣٢٤/٤

٢. معجم أحاديث الإمام المهدي

٣. موسوعة الإمام المنتظر، للسيد محمد حسين مير باقري، ج٤٤، ص٢٣٢

٤. بحارالأنوار، ج٥٧، ص٢١٥، والأخبار في هذا المعنى متضافرة.

٥. المصدر السابق

٦. المصدر السابق

www.noormags.ir

حَرْبة يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويهلك الدجال"[1]

"يقتل ابن مريم الدجالَ بباب لُدْ[2] ".[3]

وفي رواية الشيخ الصدوق: "يقتله الله عزَّ وجلَّ بالشام على عقبة تُعرف بعقبة أُفيق،[4] لثلاث ساعاتٍ مضت من يوم الجمعة على يد من يصلي عيسى بن مريم خلفه".[5]

وفي رواية طويلة يقتله الإمامA: "آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال، ويطهر الأرض من كل جورٍ وظلم"[6]

ويُمكن الجمع بين الروايات أنَّ قاتله نبي اللهA بأمر من الإمام الحجةA؛ لأنَّه هو القائد حينئذٍ، فكل المعركة والأحداث فيها تُنسب إليه حقيقة سواء كان المباشر أم بالإذن.

٦. النداء من السماء

عن أبي الحسن الرضاA: "كم من مؤمن متأسف حرَّان حزين عند فقد الماء المعين، كأني بهم أسر ما يكونون، وقد نودوا نداءً يسمعه من بَعُدَ، كما يَسمعه من قَرُبَ، يكون رحمة للمؤمنين وعذاباً للكافرين، فقلت: وأيُّ نداء هو؟ قال: ينادون في رجب ثلاثة أصواتٍ من السماء، صوتاً منها: ألا لعنة الله على الظالمين،[7] والصوت الثاني: أزفت الأزفة يا معشر المؤمنين،[8] والصوت الثالث يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس، هذا أميرالمؤمنين قد كرّ في هلاك الظالمين.[9]

وعن سيف بن عميرة قال: "كنت عن أبي جعفر المنصور فسمعته يقول ابتداءً من نفسه، يا سيف بن عميرة: لا بدُّ من منادٍ ينادي باسم رجلٍ من ولد أبي طالب من السماء، فقلت يرويه أحد من الناس؟

قال: والذي نفسي بيده لسمع أذني منه يقول: لا بدُّ من منادٍ ينادي باسم رجل من السماء... ثم قال: يا سيف لولا أنّي سمعت أبا جعفر محمد بن علي يحدثني به، ثم

---

١. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١، ح٣٦١

٢. اللُد: مدينة في فلسطين

٣. المصدر السابق، ح٣٧٥

٤. عقبة بفلسطين قرب نابلس

٥. إكمال الدين، الصدوق، باب حديث الدجال، نقلاً عن الإمام المهدي واليوم الموعود، ص٣٧٤

٦. النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب، آية الله الشيخ حسين الطبرسي النوري، ج١، ص٣٩٩

٧. هود: ١٨

٨. النجم: ٥٧

٩. الغيبة للطوسي، ص٤٣٩

www.noormags.ir

حدثني به أهل الدنيا ما قبلت منهم، ولكنَّه محمد بن عليA.[1]

وفي حديث عن الإمام الصادقA قال: "ينادي منادٍ من السماء أول النهار يسمعه كل قومٍ بألسنتهم: ألا إنَّ الحق في عليٍّ وشيعته، ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الأرض: ألا إنَّ الحق في عثمان وشيعته، فعد ذلك يرتاب المبطلون".[2]

فالصيحة والنداء من السماء كانت من الأمور البديهية الحتمية التي يتلقفها الناس، حتى أنَّ أبا جعفر المنصور مع عِدائه للإمام الباقرA يعلم في قرارة نفسه أنَّ العلم اللدني الغيبي إنَّما هو عند أهل‌البيتβ، وأنَّ أقوالهم حجة.

متى يكون النداء؟

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد اللهA: "إنَّ القائم صلوات الله عليه ينادي اسمه ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم يوم عاشوراء، يوم قتل فيه الحسين بن عليA".[3]

وفي حديث آخر عن الإمام الباقرA: "كأني بالقائم يوم عاشوراء يوم السبت قائماً بين الركن والمقام، بين يديه جبرائيلA ينادي البيعة للّه...".[4]

الفصل الثاني: العلامات غير الحتمية

من المعلوم أنَّه يحصل البداء في بعض الحوادث، والوقائع، وليس هذا نقص في علم الله تعالى، وإنَّما هو إمَّا تقصير من العباد، وإمَّا خفاء علمه عزَّ وجلَّ عنهم لمصالح لا يعلمونها.

إضافة إلى أنَّ أهل‌البيتβ لو أظهروا علمهم كاملاً لاختل النظام، وفي الحديث: "من الجهل أن تظهر كل ما تعلم"

فلذا أخفوا عن الناس بعض علومهم اليقينية ليتوقعوا الظهور في أي آن، وليعملوا بجدٍ واجتهاد، ولا يتكلوا على العلوم الغيبية فحسب.

وسنذكر بعضها:

١. ادعاء النبوة

روي عن رسول اللهﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ نَحْوٌ مِنْ سِتِّينَ كَذَّاباً كُلُّهُمْ يَقُولُونَ أَنَا نَبِيٌّ".[5]

وعن الإمام الصادقA: "لَا يَخْرُجُ الْقَائِمُ حَتَّى يَخْرُجَ اثْنَا عَشَرَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ كُلُّهُمْ

---

١. نفس المصدر، ص٤٣٢

٢. الغيبة للطوسي، ص٤٣٥

٣. نفس المصدر، ص٤٥٢

٤. نفس المصدر، ص٤٥٣

٥. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٠٩

www.noormags.ir

يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ".[١]

وهذا لأنَّ الفساد يستشري ويُبعد الناس بالزمن عن النبوة والإمامة فيغربوا ويمحصوا ويميزوا، ويخرج الخبيث من الطيب.

٢. الموت الأحمر والأبيض

عن سليمان بن خالد قال: "سمعت أبا عبد اللهA: "قُدَّامَ الْقَائِمِA مَوْتَانِ مَوْتٌ أَحْمَرُ، وَمَوْتٌ أَبْيَضُ، حَتَّى يَذْهَبَ مِنْ كُلِّ سَبْعَةٍ خَمْسَةٌ، فَالْمَوْتُ الْأَحْمَرُ السَّيْفُ، وَالْمَوْتُ الْأَبْيَضُ الطَّاعُونُ".[٢]

وعن أبي بصير ومحمد بن مسلم قالا: سمعنا أبا عبد اللهA يقول: "لَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَذْهَبَ ثُلُثَا النَّاسِ، فَقِيلَ لَهُ: فَإِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا النَّاسِ فَمَا يَبْقَى؟ فَقَالَA: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا الثُّلُثَ الْبَاقِيَ".[٣]

وهذه الروايات تؤكّد مصير الناس، بل قد يقال بحتميتها، إذ أنَّ الإمامA لا بدُّ أن يطهر الأرض من الفساد، بإمدادٍ إلهي، سواء كان من الخسف بالأعداء، أو إلقاء الرعب في قلوبهم؛ لأنَّه A منصورٌ بالرعب.

فإذا بقي المفسدون فسيكون إسلامهم بالقهر وقوة السيف، وسيبقى النفاق متغلغلاً في القلوب، ولن تقهر القلوب الغرقى بالظلم والظلام، إلَّا بدحر الشرك والكفر والنفاق، حتى تنقذ وتنعم البقية بالرفاه والسعادة والطمأنينة ورغد العيش.

٣. خسوف القمر وكسوف الشمس في غير وقتهما

ورد عن أبي جعفرA أنَّه قال: "آيَتَانِ بَيْنَ يَدَيْ هَذَا الْأَمْرِ، خُسُوفُ الْقَمَرِ لِخَمْسٍ، وَكُسُوفُ الشَّمْسِ لِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْذُ هَبَطَ آدَمُA إِلَى الْأَرْضِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ سَقَطَ حِسَابُ الْمُنَجِّمِينَ".[٤]

وعن الإمام الصادقA: "علامة خروج المهدي كسوف الشمس في شهر رمضان ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة منه".[٥]

وعن الإمام الباقرA: "آيتان تكونان قبل القائم لم تكونا منذ هبط آدمA إلى الأرض، تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان، والقمر في آخره".[٦]

---

١. المصدر السابق،٣٠٩

٢. المصدر السابق، ٣٠٧

٣. المصدر السابق،٣٠٧

٤. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٠٧

٥. موسوعة الإمام المنتظر، ج٤، ص١٤٣

٦. المصدر السابق

www.noormags.ir

فقال الرجل: يا بن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر، والقمر في النصف؟ فقال أبو جعفرA: "إني لأعلم بما تقول، ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدمA".[١]

ولعلَّ تغير النظام الكوني متعلق بنظام العالم، إذ هناك علم النجوم الذي يعتمد عليه في معرفة بعض الحوادث والأمور الحياتية أو المستقبلية، فلذا ليسلب الله تعالى علوم بعض الكهنة أو السحرة أو المنجمين ... فإنَّه يُغيِّر الحالة السائدة إلى أحوال تتبدل بها علومهم بتغير الفلك والعالم العلوي والسفلي.

٤. طلوع الشمس من مغربها

عدَّت بعض الروايات أنَّ طلوع الشمس من مغربها هي من العلامات الحتمية، فعن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبد اللهA: إنَّ أبا جعفرA كان يقول: "خُرُوجُ السُّفْيَانِيِ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَالنِّدَاءُ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ مِنَ الْمَحْتُوم...".[٢]

والروايات في هذا المضمار كثيرة، ولعلَّه لنفس السبب في الكسوف والخسوف وتغيير النظام الكوني، وتبيين الآيات في الآفاق والأنفس، فلعلَّ في ذلك يرعوي الطغاة عن غيِّهم، فيستكينوا لربهم بالتضرع والخوف، فيؤمن من في قلبه زيغ، وتذهب ريبة الشك والزيغ عن قلوبهم، بانجلاء آيات الله تعالى.

٥. مسخ طائفة على صورة القردة والخنازير

من الأحاديث الواردة أنَّه قبل قيام القائم تظهر الناس على حقيقتها وواقعيتها، بصورتها الإنسانية أو الحيوانية، ويكشف الغطاء عن البصر ويروا بعين البصيرة، ولعلَّ ذلك إتماماً للحجة، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وأما الذين في قلوبهم مرض فلعلَّها تكون آخر آية منذرة لهم، لعلَّهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً.

فعن أبي بصير قال: "قلت لأبي عبد اللهA قوله عزَّ وجلَّ (عذاب الخزي في الحياة الدنيا)[٣] ما هو عذاب خزي الدنيا؟ قال: وأي خزي يا أبا بصير من أن يكون الرجل في بيته وحجاله وعلى إخوانه وسط عياله، إذ شقَّ أهله الجيوب عليه وصرخوا، فيقول الناس: ما هذا؟ فيقول الناس: مُسخ فلانٌ الساعة، فقلت: قبل قيام القائم أم

---

١. المصدر السابق
٢. الغيبة للطوسي، ص٤٣٥، ح:٤٢٥
٣. فصلت: ١٦

www.noormags.ir

بعده؟ قال: لا، بل قبله".[1]

وعن أبي بصير قال: "سئل أبو جعفر الباقرA عن تفسير قوله عزَّ وجلَّ: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنَّه الحق، قال: يريهم في أنفسهم المسخ، ويريهم في الآفاق انتفاض الآفاق عليهم، فيرون قدرة الله في أنفسهم"،[2] وقال الشيخ المفيد: "ومسخ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قردةً وخنازير".[3]

هذا ليخزيهم الله ويذلهم ويهينهم في الدنيا،وأمام أتباعهم قبل حلول القيامة والعذاب الأخروي،كما تقتضي المصالح الإلهية، فلعلَّ ذلك يكون بمثابة عَبرة وعِبرة للناس، ليكبتهم فلا يحاولون بعد ذلك القيام على الإمام القائمA.

---

١. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٤١

٢. المصدر السابق.

٣. الإمام المهدي وظهوره، ص٢٢٢، نقلاً عن: الإرشاد للمفيد

www.noormags.ir

دولة الإمام المهدي(ع) في السياق الحضاري: العدالة ونهاية التاريخ

الدكتور محمد شقير[1]

يدور البحث حول دولة الإمام المهدي(ع) في بعدها الحضاري، وكيف نعي هذه الدولة في سياق حركة التاريخ وفلسفته ونهاياته، ليضحى فهم هذه الدولة في سياق حضاري متكامل يشتمل على مختلف تلك الأبعاد الاجتماعية التي تتصل بالإنسان ومصيره، ومجمل قضاياه على هذ البسيطة.

ومن هنا، سوف نبحث إشكالية العلاقة بين دولة الامام المهدي(ع) والعدالة في إطار الأزمة الحضارية التي تعاني منها البشرية (أزمة العدالة)، وفي سياق التراكم التاريخي الذي سوف يوصل إلى تلك المرحلة _ نهاية التاريخ _ ، والتي تتمثّل بثورة الإمام المهدي(ع) ودولته وظهوره وإصلاحه.

لكن نجد من المبرّر منهجياً بدايةً أن يطرح أكثر من سؤال حول فلسفة المهدوية ومختلف أبعادها، وكيف يجب أن يُنظر إليها في إطار الرؤية الكونية الإيمانية، وفهمنا لحركة التاريخ وغائيته، وعلاقة كل ذلك بإشكالية العدالة ومحوريتها في الرسالات الالهية، والمسعى إلى إقامتها في الاجتماع البشري، وإخفاق التجربة البشرية عن إقامة حضارة العدالة، نتيجة لإعراضها عن رسالة العدالة، المتمثلة في الأطروحة الإلهية، وبيانها لجميع ما يتصل بتلك العدالة وقضاياها، والذهاب مقابل ذلك إلى تسطير تجربة تقوم على الإعراض عن تلك الأطروحة، مما أدى إلى تكريس نظام عالمي من اللاعدالة، وإلى عولمة اللاعدالة، وتكريس ثقافتها، وما نتج عن ذلك من اختلالات بنيوية، وأزمات، وحروب، ومآسٍ، وأضرار أصابت الاجتماع الإنساني بأسره.

سوف نحاول في هذا السياق التعمّق في فلسفة المهدوية من حيث ارتباطها

---

١. أستاذ جامعة اللبنانية.

www.noormags.ir

بقضية العدالة، ومحوريتها في الفكر الديني، وكونها امتداداً لمشروع الإمامة القائم على إقامة القسط والدين (في تفسيره الحضاري المتمحّور حول العدالة)، لتُفهم الغيبة في فلسفتها، والمنهج المعتمد في تحليلها في إطار السياق الحضاري لمسار البشرية، وصراعاتها، ونهاية تاريخها، والذي ينبغي أن ينظر إليه في إطار الهندسة الإلهية لحركة التاريخ وغائيته.

من هنا، فقد أردنا في هذا البحث تناول هذه الإشكالية، وجملة العناوين والموضوعات التي ترتبط بها، على أن نبدأ بقضية العدالة وصلتها بالفلسفة المهدوية.

إشكالية العدالة في الفكر الديني والتجربة البشرية

إن جوهر ما جاء به الدين في رسالاته السماوية، هو ثنائي الإيمان والعدل. الإيمان في المفهوم الديني، ليس مقولة تجريدية، أو مجرد فردية. بل هو مقولة عملية، ذات أبعاد مختلفة فردية، واجتماعية. هو ارتباط بالله تعالى، ذي الكمال المطلق، وصفات الجمال والجلال، بما فيها صفة العدل. والعدل هو من أهم تجلّيات الإيمان بالله تعالى والقرب منه، في المجالين الفردي والاجتماعي. فمن كان مؤمناً بالله تعالى حقيقة الإيمان، لا يمكن إلّا أن يكون عادلاً في سلوكه الفردي والاجتماعي. ومن يفعل عدلاً، لا يمكن لفعله هذا، إلّا أن يكون ذا قيمة دينية مهمّة، وسبب قرب من الله تعالى، أو قرب من تقواه ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.[١]

لكن، في الوقت الذي تُستمد فيه مقولتا الإيمان والعدالة من حقيقة واحدة، وتنطويان على علاقة جدلية في غاية العمق والجمالية؛ توجد بينهما مفارقة جوهرية،

وهي أن مقولة الإيمان (والكفر) تدخل في إطار الاختيار الفردي، أي في الشأن الخاص: ﴿مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.[٢] حيث: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.[٣] أمّا مقولة العدل والظلم ببعدها العام، فلا تدخل في الاختيار الفردي، ليس بمعنى الجبر وسلب الاختيار، بل بمعنى أنها ليست أمراً قابلاً لأن يحبس في الشأن الفردي، ولا يصح فيها القول: (لا إكراه في العدل)، بل هنا يجب أن تفرض العدالة، في حين لا يصح فرض الإيمان. هنا يجب إقامة العدل، سواء على من قبل به أم لم يقبل، في حين لا يمكن فرض الإيمان على من لم يعتقد به.

---

١. سورة المائدة، الآية ٨.
٢. سورة الكهف، الآية ٢٩.
٣. سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

www.noormags.ir

صحيح إنّ القرآن ربط ما بين فلسفة الخلق والعبادة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾،[1] لكنه صحيح أيضاً أنه ربط ما بين فلسفة الرسالة الإلهية، وما بين العدالة: ﴿لقد أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾،[2] حيث بيّن أن القسط وإقامة العدل، هو هدف أساس وجوهري لرسالة الأنبياء، على مدار التاريخ.

هذا من ناحية النص الديني، ودلالاته الأصيلة، ومعانيه الصافية؛ لكن ماذا لو أتينا إلى الواقع الديني وتجربة الاجتماع الإنساني، فما الذي يمكن أن نجده في هذا السياق؟

للأسف لا بدّ من القول، إنّ أكثر من خطاب ديني يطمس مقولة العدالة، ويقتصر على مقولة الإيمان. بل لعلّ أكثر من فهم ديني، لم يدرك جوهرية العلاقة بين العدل والإيمان، وتجلّياتها المجتمعية والاقتصادية والتربوية والثقافية... لذلك تراه ينجح (بمعنى ما) في صياغة مشروع ذي مضمون عبادي-إيماني، ولكنه يفشل في صوغ مشروع يحقّق مقولة العدالة الشاملة والبنيوية، في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ينجح في سوق الناس إلى المساجد، لكنّه يفشل في توزيع الثروة وتحقيق التنمية بشكل عادل.

إنّ أكثر من جماعة دينية قد نجحت في إقامة الصلاة، لكنها فشلت في إقامة العدالة في أكثر من ميدان. مع إنّ حقيقة الصلاة تكمن في إقامة العدالة، بل لم يقم الصلاة من يكسل في إقامة العدالة. أو قد يحصل أن تنجح تلك الجماعة في إقامة شعائرها وتقاليدها الدينية، لكنها تفشل في تسييل مقولة العدالة بشكل فاعل في مختلف المجالات العملية، فضلاً عن حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية لمجتمعاتها.

ولعلّ من أسباب ما تقدّم، إنّ فهم تلك الجماعة للعبادة التي تؤدّيها، قد جنح بها إلى نوع من الطقوسية، التي أخرجت عبادتها عن حقيقتها، وحرفتها عن أهدافها، وأفرغتها من مضمونها، والتي هي (أي العبادة) في جوهرها إقامة العدل، لأن السجود للعادل المطلق (الله تعالى)، لا تعني إلّا إقامة العدل في هذه البسيطة، وبين الناس.

كما إنّ تلك الجماعات قد تجنح الى البعد الدعوي في فهمها للدين وتطبيقها له، مع أن ذلك في مجمله _ كما يمارس _ ينضوي في الفعل الاستقطابي واللفظي ليس إلّا، في حين أنها تتكفىء عن إقامة العدل، حيث تختبر حقيقة إيمانها، وصحة فهمها

---

١. سورة الذاريات، الآية ٥٦.

٢. سورة الحديد، الآية ٢٥.

www.noormags.ir

للدين، ومدى التزامها به، وبقيمه الأخلاقية والإيمانية.

ما ينبغي قوله هنا، هو إنّ هذه الإشكالية ليست خاصة بالاجتماع الديني، بل هي إشكالية ذات بعد عالمي. بمعنى أن كل الأطروحات الفكرية تحمل بشكل أو آخر عنوان العدالة، لكنها تفشل في تحقيقها في الميدان الاجتماعي والاقتصادي. إما لخلل في الرؤية الفكرية، أو لقصور في دراية جوهر الرسالة الإلهية (للمتديّنين)، أو لعجز عن فهم الواقع ومتطلّباته،أو لأسباب وعوامل أخرى ليس هنا محل ذكرها.

في المحصلة قد يستوي الجميع في العجز عن تحقيق ذلك الهدف، سواء العلماني أو الديني (بعض الإسلاميين، تجربة الكنيسة في القرون الوسطى...). في الإطار العلماني يمكن الحديث في الرأسمالية، التي قدمت الحرية على العدالة في رؤيتها الفكرية، وأطاحت بها نظرياً، قبل أن تطيح بها عملياً. الاشتراكية في صورتها الأولى، أرادت أن تنتصر لعدالة فئة، فظلمت أخرى. الكنيسة في القرون الوسطى، تحالفت مع الاقطاع والسلطة السياسية. فساهمت في ظلم عموم الشعب، وحرمانه من حقوقه. فضلاً عن كثير من التجارب البشرية الأخرى، التي لم تكن العدالة فيها جزءاً محورياً من مخزونها الفكري، أو لم تكن هدفاً أساسياً في مشروعها الاجتماعي والاقتصادي. وهو ما أدّى إلى إيصال قافلة البشرية إلى إرهاصات مرحلة الانسداد الحضاري، أو بداياتها. تلك المرحلة التي تنمّ عن خلو جعبة البشرية من كل الأطروحات الفكرية، التي يمكن أن تشكل خشبة خلاص لها، من ذلك الانسداد الذي وصلت إليه. وهو ما يدل على فشلها في تحقيق خلاصها الحضاري، بمعزل عن الهداية الإلهية الحقّة (المهدوية).

في التاريخ الإسلامي، لم يكن الأمر أفضل حالاً (عدا مرحلة التطبيق النبوي والمعصوم للعدالة)، حيث يغلب على كتب السير والتاريخ الحديث عن أحوال السلاطين، وفتوحاتهم وبطولاتهم. لكن في المقلب الآخر، كم استطاعت هذه الدولة أو تلك أن تقيم العدالة، وكم كانت نسبة الفقراء لديها، وكيف كانت توزع ثرواتها، وهل كانت تستخدم تلك الثروات لتحقيق مصالح عموم الناس، أم لمصالح السلطان وأعوانه...؟

إنّ الأسئلة الأخرى التي لا يصح طمسها، ينبغي أن تدور حول العدالة الاقتصادية، والعدالة الاجتماعية، والعدالة في السياسات الضرائبية، وفي الأعطيات (الأجور)، وفي توزيع الثروات، وإيجاد الفرص، وتحقيق التنمية العادلة في مختلف المجالات الاجتماعية... .

إنّ هذا الأمر ليس مقتصراً على تاريخنا المعاصر، أو هذا التاريخ وذاك، بل يشمل مجمل مراحل التاريخ البشري، حيث استطاعت البشرية اكتشاف قوانين المادة، وتقدمت في مدنيتها، وحقّقت تنمية ما... لكنها فشلت في تحقيق العدالة،

www.noormags.ir

وتسبّبت فئاتها المتحكمة بالمال والسلطة (المترفون) بكثير من المآسي، والمظالم، والحروب، والويلات، والمجاعات، والفقر، لكثير من أبناء البشر ومجتمعاتهم.

وهكذا كلّما كانت تتقدم البشرية في عمرها، فالذي كان يحصل، مزيد من العلم، ومزيد من القدرة، ومزيد من الرفاهية. لكن في المقابل، قليل من العدالة، وقليل من القسط، وقليل من القيم الأخلاقية والإنسانية. أي كثيرٌ من الظلم، والجور، والفقر، والجوع، والأمية، والمرض، واحتكار الثروات، والفوارق المالية _ الاجتماعية، وزيادة الهوّة بين قلّة من الأغنياء المترفين، وكثير من الفقراء المستضعفين.

تاريخياً، وفي الواقع المعاصر، لم تكن المشكلة لدى المجتمع البشري اقتصادياً واجتماعياً في قلة الموارد، بل كانت في لا عدالة التوزيع. ولعلّ العامل الأساس، الذي أدّى ويؤدّي الى الوقوع في تلك المشكلة، هو البعد القيمي والأخلاقي، في الأنانيات المجتمعية على اختلافها، وفي مدى القدرة على لجم نوازع النفس البشرية الى الاستئثار، والطمع، والجشع، وحب الاستزادة. فضلاً عن الأطروحة الفكرية، التي يجب أن ترتكز عليها مقولة العدالة، ومدى قدرة هذه الأطروحة على إنتاج معايير واقعية وشفافة وواضحة لإقامة العدالة، وفي القدرة على تسييل قيمها في الاستراتيجيات الاقتصادية، والرؤى الاجتماعية، وفي السياسات، والقوانين، والقرارات ذات الصلة.

إذن هذه هي الأزمة الأساس التي يعاني منها الاجتماع البشري في مجمل مراحله التاريخية، وهي الأزمة التي يعاني منها اجتماعنا المعاصر، والتي تنتج مجمل الأزمات الأخرى. إنها أزمة اللاعدالة التي انتشرت وتحكّمت، ولم تبق مجرد فعل سلطة يحكي نهمها وتغوّلها، أو تراث سلطاني أنتجه فقهاء السلطان، أو مجرد وعي سياسي عُمل على إفساده، أو ثقافة مجتمعية عُمل على تشويهها، أو فكر عقيم ينظّر للطغيان واللاعدالة؛ بل تحولت تلك الأزمة الى نظام عالمي يتحكّم بالعالم بأسره، وبجميع مرافقه ومجالاته، إنه نظام من اللاعدالة، الذي يتحكم بالاقتصاد، والمال، والسياسة، والثروات، والوعي، وبكل شيء يمكن أن يصل إليه سلطانه.

إنّ ما هو قائم في هذا العالم هو نظام بنيوي من اللاعدالة. أزمة اللاعدالة أصبحت أزمة بنيوية. لقد عُمل على عولمة اللاعدالة، وإحكام سلطانها على هذا العالم. إن بنيوية اللاعدالة واختلالاتها المفرطة، قد شملت جميع أوجه الحياة البشرية على هذه البسيطة.

هذه هي الأزمة التي تريد المهدوية التغلّب عليها، واستئصالها، وعلاج تداعياتها، وهدم سلطانها، وكنس جميع آثارها. بل هي الأزمة التي لا يمكن تجاوزها إلّا بالمهدوية ومشروعها.

المهدوية في فلسفتها مشروع لهدم بنية اللاعدالة ونظامها المعوْلَم، بهدف إعادة

www.noormags.ir

تشكيل بنية عالمية، تقوم على العدالة وقيمها في الثقافة، والسلوك، والاقتصاد، والسياسة، والحقوق، وفي جميع مظاهر الحياة البشرية على هذه البسيطة.

ومن هنا يمكن القول إنّ المهدوية هي مشروع تغيير إلى العدالة في بنى الاقتصاد والمال والسياسة، وفي منظومات الوعي والفكر والثقافة، وفي أكثر من فهم سائد ينسب إلى الدين، بل في معايير صناعة الهويات والانتماء، وفي طبيعة الانقسامات الأممية والمجتمعية وتمايزها.[1]

وبناءً على هذه الثقافة المهدوية يمكن القول إنه، إذا كانت الشعارات السابقة التي رفعت، تدور بين "يا عمّال العالم اتحدوا" أو "يا رأسماليي العالم تحالفوا"؛ فإنّ نداء المهدوية هو: يا مظلومي العالم اتحدوا، وتعاونوا على رفع الظلم عن كاهل البشرية، لأن الإرادة الالهية ستكون حليفتكم ومعكم، وأنّه سيخرج قائد إلهي (المهدي)، ليقود جموع المظلومين والمستضعفين، لتحقيق العدل على هذه الأرض، بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً.

في المهدوية و فلسفة الغيبة

إنّ القراءة الدينية (الإسلامية) لمسيرة البشرية لا تقوم على أساس أن الفعل البشري فعلٌ جبري، كما لا تقوم على أساس أن مسير البشرية يتحرك بشكل عشوائي بعيداً عن التدبير الإلهي، ذلك التدبير الذي يهدف عند نهاية التاريخ إلى تحقيق الأطروحة الإلهية على هذه الأرض، وإلى تحقيق "نظرية الاستخلاف" بأوسع معانيها، بما يشمل جميع أرجاء المعمورة.

ويمكن القول بتعبير ثانٍ، إنّ الاعتقاد الدّيني يرى بأن رحلة قافلة البشريّة قد بدأت من محلٍ ما، وسوف تنتهي في محلٍ آخر. إنّ بداية ذلك المسير كانت آدميّة،

---

١. إنّ بناء النظام العالمي على أساس من العدالة، وإقامتها في أعلى مستوياتها وأبعد مدياتها، بعد فشل جميع الأطروحات البشرية في تحقيقها، حتى لا يبقى أحد يدّعي امتلاكه القدرة على فعل العدالة وإقامتها إلّا جرّب ما لديه، وأخفق في تحقيق ذلك الخلاص الإنساني؛ إنّ هذا الأمر يستفاد من العديد من الروايات التي وردت عن أئمة أهل‌البيت(ع)، والتي تحوي فلسفة ذات مضمون حضاري وتاريخي غاية في العمق للمهدوية والغيبة وفلسفتها ومقاصدها، حيث ينبغي تفسير مجمل نصوص المهدوية مندكّة في تلك الروايات ومن خلالها. حيث ورد عن الإمام الباقر(ع): «دولتنا آخر الدول، ولن يبقى أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا، لئلّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجلّ (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)» (الطوسي، الغيبة، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ١٤١١ هـ ق، ط ١، ص٤٧٢).
وعن الإمام الصادق(ع): «لا يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلّا قد ولّوا على الناس، حتى لا يقول قائل: إنّا لو ولينا لعدلنا، ثمّ يقوم القائم بالحق والعدل» (النعماني، الغيبة، منشورات أنوار الهدى، قم، ١٤٢٢ هـ ق، ط ١، ص٢٨٢).
حيث من الواضح إنّ هذه النصوص تقدم تفسيراً لنهايةٍ عدالية للتاريخ، ترتبط بالانسداد الحضاري، وفشل جميع الأطروحات الوضعية في تحقيق العدالة، ليفهم المشروع المهدوي على أساس من محورية العدالة تلك، وكونها ختم التاريخ في حركته وغايته.

www.noormags.ir

وسوف تكون النّهاية مهدويّة. فلم تكن البداية صدفويّة، كما إنّ الخاتمة لن تكون عبثيّة. بل هناك تقدير إلهي لتلك القافلة ومسيرها، يقوم على الهداية وتوفير أسبابها من جهة، وعلى الاختيار البشري وقيام الحياة البشريّة على البلاء من جهة أخرى.

وكما إنّ بداية الحياة البشريّة كانت إبتلائيّة، فإنّ نهايتها سوف تكون إبتلائيّة، وكذلك الوصل ما بين البداية والنّهاية هو من طبيعتهما. يقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيّكُمْ أَحْسَن عَمَلاً﴾.[1]

البلاء هنا بمعنى توفير الفرصة للإنسان للتّكامل وصناعة إنسانيّته وكمالاته المعنويّة، والقرب من الله تعالى، حيث يوفّر الله تعالى للإنسان كل العوامل التي تساعده على حسن الاستفادة من هذه الفرص للتّكامل إليه. أي إنّ الابتلاء يقوم على الهداية الإلهيّة بأفضل مراتبها، كتعبير عن رحمة الله تعالى، وحكمته، وجميل صنعه بالإنسان ومصيره.

وهذا يعني وجود الهادي (الحجّة)، الذي تتوفّر لديه القدرة على القيام بوظائف الهداية الإلهيّة، بتعليم من الله تعالى وعصمته، حيث لا يمكن لهذه العصمة أن يشوبها خطأ أو شك، وإلّا سوف تنقلب إلى ضدّها، وتُفقد الثّقة بها، وقد لا تختلف كثيراً عمّا في أيدي البشر.

ومن هنا، كان في كل عصر من يختاره الله تعالى لهداية تلك القافلة، وبيان حقائق الدين وحقائق الكتاب، وجميع ما يتّصل بمعاني العدل وقضاياه، دون خطأٍ أو زلل، حتى لا يقولنّ أحد بأن الله تعالى أوقعه في الخطأ، عندما لم يوفر له أسباب الهداية كاملة في عصره وزمانه[2]. لكن هذا البيان إنّما هو من أجل أن يُعمل به، وليُبنى الاجتماع الانساني على تعاليمه. أمّا إن عمل على رفضه وصدّه والإعراض عنه، فإنّ نتيجة ذلك سوف تتبدّى في إيكال ذلك الاجتماع إلى نفسه وتيهه.

ومن هنا يمكن القول إنّ وجود هذا الحُجّة والهادي إلى الله تعالى، والمبيّن لحقائق الدين؛ إنّما هو من أجل إقامة الأطروحة الدينية في هذه البسيطة وفي جوهرها العدل، حيث يمكن القول إن فعل الايجاد وعملية الخلق في المعتقد الديني ليست عملية عبثية، أو خالية من الحكمة. وإنّ الشأن الديني ليس شأناً ما ورائياً بحتاً، بل هو أيضاً شأن دنيوي، يتمظهر في مختلف مجالات الحياة بهدف تحقيق عبودية الإنسان للّه تعالى، لأن كنه هذه العبودية للّه تعالى يعني تعالي الإنسان باللّه

---

١. سورة المُلك، الآية ٢.

٢. راجع في هذا الموضوع: شقير، محمد، فلسفة الإمامة في الفكر الشيعي الإثني عشري، دار المعارف الحكمية، بيروت، ٢٠١٧م، ط١، صص ٢١-٤٠؛ المازندراني، شرح أصول الكافي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٨م، ط٢، ج٥، صص ٧٥-١٠٧ و صص١٢١-١٢٩.

www.noormags.ir

تعالى، وتساميه به، وتحقيقه لإنسانيته، بينما خضوع الإنسان لميوله المنحطة يعني تسافل الإنسان، وإن تمظهر هذا الخضوع بمظهر الحرية، أو أي مظهر آخر.

لكن عندما يحصل أن يعرض الاجتماع البشري عن الله تعالى، ويعبّر عن ذلك برفض الأطروحة الإلهية، فسوف تقتضي الحكمة الإلهية عندها أن يختبر الإنسان إعراضه ذاك، ورفضه لتلك الأطروحة الإلهية في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والقانونية... لتدرك البشرية بالتجربة والوجدان، عدم قدرتها على الوصول إلى خلاصها الحضاري، طالما بقيت بعيدة عن التمسك بالعبودية للّه تعالى في مختلف المجالات، وطالما بقيت تتعامل مع الأطروحة الإلهية معاملة نديّة، تقوم على الإعراض عنها، والرفض لها.

إنّ التاريخ الديني تاريخ قائم على أساس عدم انقطاع التوجيه الإلهي لقافلة البشرية، وذلك من خلال فعل النبوة وحركة الأولياء والأوصياء. وهنا عندما نتحدث عن التوجيه الإلهي (أو الهداية الإلهية) فهو ليس شأناً وعظياً بحتاً، بل إنّ هذا التوجيه قائم على أساس فعل الاستخلاف، الذي يعني تمثّل الإرادة الإلهية في مختلف المجالات الحياتية وشؤون الإنسان. لكن الذي كان يحصل في التاريخ البشري كلّه، أنه كلما كانت الأطروحة الإلهية ترتقي في جملة مضامينها ومدياتها، كان يتعاظم الرفض لها من قبل مجتمع المترفين وغيرهم، هذا الرفض الذي تتطلب في نهاية المطاف حرمان البشرية من ذلك الوجود العصموي الظاهر، أي من وجود تلك الأطروحة في مرتبتها العصموية، ومن تطبيقها الواسع والشامل بتلك المرتبة.

هذا وإنّ فلسفة الغيبة _ غيبة الإمام المهدي(عج) _ تعني _ فيما تعنيه _ تجميد ظرفي للأطروحة الإلهية في مرتبتها المعصومة، ومداها الشامل، وفي بعض وظائفها، بسبب رفض البشرية لهذه الأطروحة في شكلها النقي، وجوهرها الأصيل، في مقابل أخذها بأكثر من أطروحة وضعية؛ في تدبير إلهي يهدف إلى اختبار البشرية لتعاليها أمام اللّه تعالى، والرّسالات الإلهيّة على مدار التّاريخ.

ونستطيع أن نقول من جهة أخرى، إنّ هذا الرفض لتلك الأطروحة في مرتبة الوجود الظاهر للإمام المعصوم أدّى في الواقع إلى حرمان البشرية منها، لكن غياب ممثل تلك الأطروحة، إنّما يعني بحسب الفهم الديني إجراءً اختبارياً لتعالي الإنسان، يهدف إلى تمهيد الظروف الموضوعية لعودة تلك الأطروحة بأعلى مراتبها، بعد أن تكتشف البشرية فشلها في إقامة العدالة، وعدم قدرتها على إدارة نفسها بمعزل عن الهداية الإلهية.

ومن هنا كانت غيبة الإمام المهدي(عج) إجراءً اختبارياً وهادفاً في الآن نفسه، أي إن غيبة الإمام(ع) تهدف إلى القول للبشرية إنّه إذا كنت ترفضين الهداية الإلهية المتمثّلة في شخص الإمام، فما عليك إلّا أن تختبري أطروحتك الوضعية، باعتبار

www.noormags.ir

إنّ فشل هذه الأطروحة في تحقيق أهداف الإنسان، وما يؤدي إليه هذا الفشل من ويلات، ودمار، وآلام، وحروب، وظلم، وقتل، وخراب، وصولاً إلى بلوغ مرحلة الانسداد الحضاري... كل ذلك سوف يفتح قلوب البشر، ويوجه آمالهم إلى رجائهم الأخير. وهو ما سوف يهيء الظروف الموضوعيّة لمشروع الظهور، وأهدافه الواسعة في عودة البشرية إلى الهداية الإلهية بأرقى مراتبها، وتقبّلها لرسالة العدالة ومعانيها.

أمّا لماذا ينبغي للتاريخ البشري أن تطول أيامه قبل أن يعود عن تنكّبه ويستفيق من كبوته تلك؛ فقد يصح القول: أولاً، لا بدّ أن تصل البشرية إلى مستوى تقرّ بفشلها وعجزها، وتالياً حاجتها إلى تبيّن الهداية الإلهية الحقة، عندما تصل الى مرحلة الانسداد الحضاري. وثانياً، لا بدّ أن تصل العولمة الثقافية والمعرفية والإعلامية إلى مستوى، تصبح فيه مفاهيم الدين وقيمه الأصيلة ومعارفه الحقة في متناول جميع المجتمعات البشرية. وثالثاً أن يصبح التقدم المعرفي والعلمي والتكنولوجي إلى حدٍ، يتحوّل فيه العالم بأسره إلى قرية كونية، حيث يمكن لجميع تلك المجتمعات البشرية أن تعاين ذلك الحدث المهدوي، وتتفاعل معه، وتلتقي بوظائفه، وتلاقي تجلياته.

الغيبة وفعل الإيكال الحضاري

يرتكز البحث في قضيّة الايكال الحضاري على مقدمة مفادها، إنّ المشروع الحضاري الإلهي، والإسلامي تحديداً، يختزن هذه الرؤية، إنّ الهداية الإلهيّة، لا بدّ أن تستمر بأرقي تجلياتها وأكملها، في تصويب المسيرة البشريّة، وهو ما يقتضي بيان المعاني الدّينيّة الحقّة بشكل دائم، بياناً لا خطأ فيه، ولا مجافاة لديه لما هو حقٌ من الدين.

وهو ما يستلزم _ كما ذكرنا _ وجود من يبيّن _ في بعض وظائفه _ معاني الدّين بشكل صحيح، وهو الرّسول(ص) في زمانه، والإمام بعد زمان الرّسول(ص)، وهو ما يصطلح عليه بالحجّة، حيث يكون الحجّة عالماً بالمعارف الإلهيّة، بطريقة لا يشوبها شكٌ أو خطأٌ، بتعليمٍ من الله تعالى والإلهامٍ منه. وليعرّفه للنّاس، ويكون حجّته عليهم.

وعليه يطرح هذا السؤال، إنه إذا كانت فلسفة وجود الحجّة فلسفة وظائفيّة، تقتضي قيام الحجّة _ وهو الإمام المعصوم هنا _ بوظائف بيان الدّين الحقّ، ومن ثمّ إقامته Γلِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِΦ،[1] فلماذا كانت تلك الغيبة للإمام المهدي(عج)؟ ألا

١. سورة الحديد، الآية ٢٥.

www.noormags.ir

يتنافى هذا الأمر مع مبرّرات قيام الحجّة بتلك الوظائف المذكورة آنفاً؟

للإجابة على هذا السّؤال، لا بدّ من مقدّمة مفادها، إنّ بيان الّدين والأطروحة الإلهيّة، هو من أجل أن تعمل بها الناس، وأن يأخذ الاجتماع البشري بمعانيها الحقّة. وهو ما يوصل إلى تحقيق الأهداف التي يتوخّاها الدّين، من تحقيق العدل وإقامة القسط؛ لكن ماذا لو أعرض الاجتماع البشري عن ذلك البيان، وعن الأخذ بتلك الأطروحة الإلهيّة، على مستوى هداية مسيرته وتصويبها؟ وماذا لو وصلت درجة الرّفض لهذه الأطروحة إلى حدّ الكفر بها، والعدوان على من يقوم بها، وهم _ في العصر الذي نتحدث فيه _ الأئمّة المعصومون من أهلبيت محمّد(ص). وصولاً إلى الإمام المهدي(عج)؟

هنا، سوف يحرم ذلك الاجتماع البشري من تلك الأطروحة في مرتبتها المعصومة (المتمثّلة بالإمام المهدي(عج) وحضوره)، ليتمّ إعمال سنّة الإيكال الحضاري، ومفادها: إنّ هذه البشريّة لا تريد أن تأخذ بأسباب الهداية الإلهيّة، وأن تعمل بتلك الأطروحة الإلهيّة الحقّة المتمثلة في شخص الإمام الحجّة(عج)، بل وتمادت في رفضها لتلك الأطروحة والعدوان عليها؛ إذن، سوف يُعمل على تغييب تلك الأطروحة في تلك المرتبة. وسوف يتمّ إيكال مسيرة قافلة البشريّة وهدايتها إلى البشر أنفسهم، ليختبروا كل ما لديهم من معرفة وقدرة، وما وصلوا إليه من علوم وخبرة، وليجربوا كل ما في جعبتهم من رؤى حضارية في قيادة مسيرتهم وهدايتها، بمعزل عن الهداية الإلهيّة ومعانيها الحقّة.

إنّ ما ينبغي قوله هو إنّ توفير أسباب الهداية الإلهية، ووجود الحجّة بين النّاس، هو من أجل أن تأخذ البشريّة بأسباب الهداية تلك، وتعمل بها؛ أما إن كفرت البشريّة بتلك الهداية، وأعرضت عنها، وتحديداً عندما تكون تلك المرحلة هي مرحلة خاتمة النبوات، أي النّبي محمّد(ص) والأئمّة من ذريّته، وصولاً إلى خاتم الأئمّة، أي الإمام المهدي(عج)؛ فإن السُنّة الإلهية، التي سوف تأخذ مجراها، هي سنة الإيكال الحضاري، والتي تعني أن توكل تلك المسيرة البشرية الى أطروحتها الوضعية ورؤاها، بعيداً عن الهداية الإلهية ومعانيها.

لقد كفرت البشريّة بتلك الأطروحة الإلهيّة. إذن، فلتحرم منها، ولتوكل إلى نفسها، ولتجرب ما لديها. لأنّ تلك الأطروحة هي من أهم النعم الإلهية، التي يجب أن تشكر. وما شكرها إلا بالعمل بها. أما الكفر بها، فلن يؤدي إلا إلى الحرمان منها. وهو ما قد حصل.

وبتعبيرٍ آخر، عندما أعرضت البشريّة عن مشروع الهداية الإلهيّة، وكفرت بها؛ كان أن حرمت من أسباب تلك الهداية، وأوكلت إلى نفسها، لتجرّب مسيرها بمعزل

www.noormags.ir

عنها. وذلك من أجل أن تَجري سُنّة الإيكال الحضاري بأرقى مستوياتها، زيادة في الابتلاء، وكنتيجة لذلك الإعراض عن تلك الهداية، حتى تستنفذ قافلة البشريّة جميع ما في جعبتها، من أطروحات فكريّة وحضاريّة، لتصل بعد مسيرٍ من التّخبّط والضّياع، إلى فشل جميع تلك الأطروحات، في إقامة العدل وإلى حالة من الانسداد الحضاري، التي تدرك معها، أنّها لن تستطيع أن تقيم العدل بمعزل عن تلك الهداية الإلهية، واستجابتها لأسبابها (الحجّة، الهادي).

وهذا الإيكال له بعدان: بعدٌ عقابي، نتيجة لهذا الكفر بتلك الأطروحة، والعدوان عليها وعلى أئمّتها؛ وبعد وظيفي، يتمثل في تهيئة الظّروف الموضوعيّة لعودة الأطروحة الإلهيّة بأرقى مراتبها، وأقوى قوتها، وأوسع مدى لها، لتُملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.

إذن، إنّ الذي دفع إلى إعمال سنّة الإيكال الحضاري، أنّ البشريّة قد رفضت مشروع الهداية الإلهيّة، ومدرسة الأنبياء والرّسل. بل ومارست العدوان عليها، فكانت غيبة الإمام المهدي(عج) لتقول للإجتماع البشري: إن هذا التّكبّر على الأطروحة الإلهيّة والعدوان عليها، سوف يؤدّي إلى حرمانك منها، وإيكال أمرك إلى نفسك، لتختبر ما الذي سوف تصل إليه، عندما تعرض عن تلك الأطروحة، وتسعى إلى خوض صناعتك الحضاريّة بمعزلٍ عنها.

الانسداد الحضاري: مؤدّى الغيبة ومقدمة الظهور

لقد ذكرنا أنّ الهدف من إعمال سنة الإيكال الحضاري هذه، هو أن تستنفذ البشريّة كلّ ما لديها من رؤى حضاريّة، لتكتشف فشل تلك الرّؤى، في تحقيق مصالح البشريّة وقيمها الحقّة، في بسط العدل وكنس الظّلم؛ وفي إقامة القسط وإزالة الجور، وإيصال مجتمعاتها إلى سعادتها، إذا ما فارقت الهداية الإلهيّة تلك.

لقد رفضت البشريّة الهداية الإلهيّة، إذن فلتجرّب طريقها من دونها. حيث ستكتشف قيمة تلك الهداية، عندما تحرم منها. وتعرف أهميّتها، عندما تختبر نفسها من دونها. وتتبيّن مدى حاجتها إليها، عندما تفتقدها، وتعجز عن التغلب على مشاكلها وأزماتها الحضارية. ويتّضح لها أنّها لا تستغني عنها، عندما تغرق في بحور من الظّلم والفساد، نتيجة لإعراضها وتكبّرها، واغترارها بنفسها، والكفر بتلك الهداية، والعدوان عليها وعلى أئمّتها. لقد أُعملت سنة الإيكال الحضاري، لأنّه لم يعد من وسيلة لتدرك البشريّة حاجتها إلى تلك الهداية، إلّا بالحرمان منها.

هنا يصبح الحرمان من الهداية بذاك المستوى (حضور المعصوم)، الوسيلة المثلى للإعداد لقبول الهداية، وتهيئة ظروفها المؤاتية. إذا لم تعرف البشريّة قيمة الهداية

www.noormags.ir

تلك، من خلال وجودها (حضورها) بذاك المستوى؛ فلتعرف قيمتها من خلال فقدها. أي إنّ الفقدان هنا يضحى سبيلاً إلى الوجدان، أي أن تجد أهميّتها، وتدرك أهمية العمل بها. هنا تكون الغيبة، كفقد جرم الشّمس، إذ جلّلها السّحاب في زمن ظلمةٍ وضياع، فيصبح فقده سبباً للشّوق إليه، والتّوق إلى عوده، واللّهف إلى استحضاره، عندما تشتدّ الحاجة إليه، وإلى انبلاج نوره.

إنّ البشرية لن تدرك هذا المعنى، ولن تصل إلى تلك الحقيقة، إلّا بعد أن تستنفذ جميع ما في جعبتها الحضارية من رؤى، وتختبر مختلف أطروحاتها الوضعية، لتصل من خلال ذلك إلى حالة من الانسداد الحضاري، الذي سوف تقف عنده عاجزة أمام ما يواجهها، وما أوصلت إليه نفسها.

إنّ هذا الانسداد الحضاري الذي يتبدّى في الاجتماع المعاصر، هو نتيجة خيارات هذا الاجتماع وبفعل إرادته، حيث كانت الغيبة في جانبٍ منها نتيجة لذلك، ومن جانبٍ آخر قد ترقى تلك الغيبة إلى أن تكون عاملاً مساعداً للوصول بذلك الاجتماع إلى غاياته ونهاياته، التي يراد فيها توجيه هذا الانسداد الحضاري وتثميره، ليخدم فعل الظهور المهدوي، ومشروعه، والإعداد لظروفه.

وبيان ذلك بالقول إنّ تحقيق المشروع المهدوي وفي جوهره العدل، لا يتأتّى إلّا من خلال تقبّل الاجتماع البشري في مجمله لهذا المشروع. وهذا التقبّل لا يتهيأ إلّا عندما يصل ذلك الاجتماع إلى مرحلة الانسداد الحضاري، التي تنعدم فيها خياراته الحضارية. وعندها يجد نفسه معنياً بالعودة إلى الهداية الإلهية متمثلة بالمشروع المهدوي آنذاك.

ومن هنا كانت الغيبة في دلالاتها وآثارها، وفي أبعادها الإعجازية والماورائية، وفي مجمل النتائج، التي تترتب عليها في السياق الحضاري وحركة التاريخ؛ إنّما تهدف إلى التأسيس لفعل الظهور، وإنجاح مشروعه، وتحقيق الأهداف التي يتضمّنها، ويعنى بالوصول اليها.

وعندما يكون من أهداف تلك الغيبة، أن تدرك البشريّة مدى حاجتها إلى تلك الهداية وأهميّتها؛ يكون من المطلوب بيان فشل المشاريع الحضارية الأخرى، والعمل على اجتراح مشروع حضاري ديني، يحاكي المعاني الحقيقيّة للدّين وقيمه الحقّة وفي جوهرها العدل، وصولاً إلى إمكانيّة تقديم نموذجٍ ما، يكون قادراً على التّعبير عن سموّ تلك المعاني والقيم في الاجتماع البشري، وفي الوعي الإنساني العام.

فلسفة وظائفية الغيبة، وجدلية العلاقة بين الغيبة والظهور

لقد ذكرنا أنّه عندما أمعنت البشريّة في إعراضها عن تلك الهداية الإلهية، كان

www.noormags.ir

التّشديد في الابتلاء، وكانت غيبة الإمام المعصوم(عج) لتجرّب البشريّة ما لديها، ولتكتشف مدى حاجتها إلى الهداية تلك، وعدم قدرتها على الاستغناء عنها في مسيرها الحضاري ذاك؛ ومن هنا تصبح فلسفة الغيبة بشكل أساس فلسفة وظائفيّة، هدفها إعداد جميع الظّروف الموضوعيّة لعصر الظّهور، والمشروع المهدوي وعدله.

إنّ هذه الفلسفة الوظائفيّة للغيبة، تؤسّس لمشروع وظائفي لمرحلة الغيبة، يعمد إلى الاستفادة من جميع ظروف ومعطيات مرحلة الغيبة للتأسيس لعصر الظّهور، والإعداد له، والتّمهيد لتحقيقه، حيث لا يكون فهم تلك العلاقة ما بين مرحلتي الغيبة والظّهور فهماً انقطاعيّاً، بحيث يُنظر إلى تلكما المرحلتين على أنه تسود بينهما القطيعة الكاملة، بل ينبغي أن يكون فهم تلك العلاقة على إنّها علاقة تفاعليّة، تقوم على التّمهيد والاستلهام.

أي إنّ مرحلة الغيبة صحيح أنّها نتيجة لما أسلفناه من أسبابٍ وعلل، لكنّها مرحلة التّمهيد والإعداد لمرحلة الظّهور، وهذه المرحلة (الظّهور) هي نتاج وامتداد لمرحلة الغيبة. وهي تمثّل عامل إلهام لها، وحافزاً قويّاً لبعث الرّوح والأمل فيها، وتحفيز كلّ الطّاقات للعمل والكدح لتحقيق أهدافها، لأن المستقبل لن يكون إلّا للعدل وأهله ومشروعه.

إنّ فهم مشروع الظهور وأهدافه بناءً على المنهج الحضاري، ومديات الأطروحة الدينية، وجوهرها القائم على محورية العدالة؛ كل ذلك سوف يصبغ فهمنا لمرحلة الغيبة، ويترك آثاره عليها، حيث لن تبقى هذه المرحلة مرحلة منفصمة عن دلالات مرحلة الظهور ومشروعه، ولن تكون عندها مرحلة جمود أو قعود، أو سقوطٍ للتكاليف التي تتّصل بالتمهيد لمرحلة الظهور وأهدافه، ولن يكون فهمنا لمرحلة التمهيد إلّا بشكلٍ متكامل ومتفاعل مع مرحلة الظهور ومقاصده.

هنا سوف يكون التمهيد للعدالة بالعدالة نفسها، في البيان الحقّ لها، وفي تخصيب علومها، وصناعة معارفها، وتسييل فكرها، ونشر ثقافتها، وممارسة نوعٍ من التمهيد المعرفي والثقافي لقيمها، والسعي إلى إعلاء كلمتها، وتقديم النموذج المجتمعي المعبّر عنها، وفي إيصال صوتها ومعانيها إلى جميع بني الإنسان، ليبقى الأمل يحدوهم بحتمية انتصارها وقادم أيامها.

إنّ إدراكنا لمشروع الظهور على أنه مشروع إصلاح بنيوي وجذري، يهدف إلى نقل مسيرة الاجتماع البشري من حضارة اللاعدالة إلى حضارة العدالة؛ كل ذلك يجعلنا ندرك سياقاً لمرحلة الغيبة، وتصوراً لوظيفتها، ووعياً لمشروعها، يقوم على الوصل مع مرحلة الظهور، والتكامل معها، والاستلهام منها، والتمهيد لها، والعمل بموجب غاياتها ومؤدّياتها.

www.noormags.ir

الغيبة وبعدها الماورائي، ودوره في مشروع الظهور

إنّ من يقرأ نص الظهور ومشروعه - بحسب ما ورد عن أئمة أهل‌البيت(ع) - يجد بأن هذا المشروع وحركته يتضمنان العديد من العناصر الماورائية، والتي سوف يكون لديها دور أساس ومهم في إنجاح ذلك المشروع، ووصوله إلى غاياته. ومن الواضح إنّ العامل الغيبي كان حاضراً بقوة في مسيرة الأنبياء والرسل وأوصيائهم. وقد ساهم ذلك العامل بفعالية في نجاح تلك المسيرة، وتحقّق أهدافها. وكلّما كان المشروع الإلهي أشدّ تحدّياً، وأكثر بعداً في أهدافه ومداه؛ كان العامل الماورائي أكثر حضوراً لتحقيق تلك الأهداف، وبلوغ ذلك المدى.

وبما إنّ الإمام المهدي(ع) هو خاتم مسيرة الأنبياء والرسل والأوصياء على مدار التاريخ، ومن خلاله سوف يتحقّق الوعد الإلهي بإقامة العدل في الأرض كلّها، ومحو الظلم منها - أي إنّ مشروعه هو مشروع عالمي إنساني، يشمل العالم كله، وهو ليس مشروعاً إقليمياً، أو قارياً، أو فئوياً، أو طائفياً...-؛ فهذا يتطلّب أن يكون حضور العامل الماورائي حضوراً نوعياً، وأن يكون مستوى الإشباع في وجود ذلك البعد الغيبي الماورائي كبيراً جداً، إلى حدٍّ يساعد على تحقيق ذلك المشروع العالمي ونجاح أهدافه.

إنّ ما تعنيه الغيبة هو وجود الإمام المهدي(ع)، على أن لا يكون وجوده وجوداً ظاهراً، بل وجوداً مستوراً، حاله حال العديد من الأنبياء أو الأولياء، الذين غابوا عن الاجتماع العام، وميدان عملهم الرسالي، أو الذين غابوا عن الاجتماع البشري، بحيث لم يعودوا بمرأى أو مسمع من عموم الناس، بغض النظر عن الأسباب الداعية إلى هذه الغيبة أو تلك، أو مدّة غيبة هذا النبي أو ذاك الولي، وجملة المتعلقات الأخرى. كل ما في الأمر، إنّ أصل الغيبة وجوهرها هو أمر موجود وممارس في التاريخ الديني، وتاريخ الأنبياء والرسل والأولياء، وأنه ليس عزيزاً أو نادراً في وجوده في ذاك التاريخ.

الإمام المهدي(ع) هو واحد من أولئك الحجج الإلهيين، الذين كانت لهم غيبتهم، وإن كانت هذه الغيبة تختلف في جملة من مفرداتها، تبعاً لاختلاف أهدافها، وأسبابها، وجملة مقاصدها. والتي تتّصل بالمشروع المهدوي الهادف إلى أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

ومن هنا لا بدّ من الإلفات إلى أمرين في هذا السياق

الأول: إنّ مشروع الإمام المهدي هو مشروع يهدف إلى تغيير البنية الحضارية على مستوى العالم، بما هي بنية تقوم على أساس من الظلم واللاعدالة

www.noormags.ir

في إدارة الاجتماع الانساني في مختلف مجالاته، وفي توزيع الثروات وتوظيفها، وإدارتها، واستثمارها، وفي توظيف السلطة وإدارتها. بل أيضاً اللاعدالة في توظيف واستثمار جميع الإمكانيات، والعلوم، والخبرات البشرية في شتى المجالات. وهو ما يتطلّب إعادة بناء أنماط حضارية، وسياسات، وثقافات، تقوم على أساس من تلك العدالة وقيمها.

الثاني: إن حضور العنصر الغيبي والعامل الماورائي يجب أن يكون بمستوى ذلك المشروع ومداه. ومن هنا أكدّت النصوص الدينية ذات الصلة بحدث الظهور ومشروعه، على جملة من تلك العناصر والعوامل. واحدة من تلك العوامل هو حصول الغيبة وإطالتها، وما يؤدّي إليه ذلك من إشباع ماورائي، يفي حاجة ذلك المشروع إلى ذاك المستوى من التصعيد الماورائي، مع ما يترتب على ذلك من حيث:

أولاً: وجود الإمام، لكن وجوده يكون وجوداً غير ظاهر.

ثانياً: طول مدة غيبته، وما يعنيه ذلك من بُعدٍ إعجازي ماورائي.

ثالثاً: طبيعة ومستوى الانجذاب النفسي، والانشداد المعنوي إلى شخصية الإمام (الآداب

والمفاهيم والقيم ذات الصلة)، والارتباط الفعّال به، باعتبار كونه موجوداً، وإن كان غائباً.

رابعاً: شمول العناية الإلهية، والرعاية الربانية للاجتماع البشري ومسيره، من خلال وجود

الإمام، وصلته القوية بمسير ذلك الاجتماع البشري على هذه البسيطة رغم غيبته.

خامساً: تقوية الوجدان الغيبي، وتعزيز الحسّ الغيبي من خلال غيبة الإمام، والإيمان به في غيبته.

سادساً: إيجاد سيكولوجية انتظار فاعلة ونشطة لحدث قد يكون قريباً، من خلال تعزيز الوعي بوجود الإمام الغائب، وعدم انقطاعه عن مجريات الواقع وشؤونه.

إنّ ما تقدم قد يفضي إلى القول بأن مستوى الإشباع الغيبي، وحضور العامل الماورائي بأرقى مراتبه، إنما يتحقّق من خلال وجود الإمام غائباً، وغيبته المديدة عن الحضور الظاهر، أكثر ممّا يتحقّق من خلال أية صيغة أخرى، لا تتضمن تلك الأبعاد، ولا تترتّب عليها تلك الآثار والنتائج، التي ذكرناها آنفاً. أي إنّ غياب الإمام كان غياباً في ظاهره، لكنّه كان حضوراً في مقصده، لأنه يستبطن الظهور في

www.noormags.ir

مشروعه، ولأنّه لم تغب في غيبته جملة من وظائفه[١]، ولأنّه كان للغيبة نفسها نتائجها وآثارها التي لا تتحصّل إلّا بغيبته.

ولذلك عندما نقول بأنّ غيبة الإمام كانت غيبة إعجازية، وكذلك عودته سوف تكون عودة إعجازية، فإنما يُراد من ذلك عودة الجذوة الدينية الأصيلة إلى الواقع الإنساني بقوة وبأعلى مراتبها، بل لا بدّ أن تكون عودة الحس الديني الهادف أمراً متقدماً على عملية الظهور، باعتبار أن عودة ذلك الحس الديني هي من أهم الأمور، التي سوف تساعد على تحقيق فعل الاستخلاف بأرقى مراتبه على هذه البسيطة.

وخلاصة القول، إنّ ممّا تهدف إليه فلسفة الغيبة، هو تصعيد العامل الماورائي في الطرح المهدوي، بمعنى إنّ اشتمال ذلك الطرح على وجود شخصية ذات بعد غيبي، قداسوي (الإمام المهدي(ع))، هي خاتمة سلسلة الأنبياء والرسل، وأوصيائهم، بهدف تحقيق مشروعهم في إقامة العدل في الأرض، وغياب تلك الشخصية لدهرٍ من الزمن، وطول مدة الغيبة تلك؛ كل ذلك سوف يؤدّي إلى الإسهام بقوة في إنجاح مشروع الظهور وأهدافه، من خلال الاستفادة من العامل الماورائي بأقصى مراتبه، باعتبار إنّ الطبيعة البشرية تتأثر إلى حدٍّ بعيدٍ بذاك العامل الماورائي، وتتفاعل معه لجهة الإعداد النفسي لتقبّل ذلك المشروع المهدوي، وإيجاد البيئة النفسية المساعدة على التفاعل البنّاء معه ومع أهدافه، وخاصة عندما يكون حدث الظهور مسبوقاً بذاك المستوى من البيان النبؤاتي، والفعل الإعجازي _ غياب المهدي(ع) لمدة طويلة _، ممّا يساعد على صدقيّة الطرح، وقوة المشروع، وتحقّق مقاصده.

وإنّ وجود الإمام المهدي(ع) غائباً، وضرورة الإيمان به وبغيبته، يسهم في تقوية الحسّ الغيبي، والأخذ به إلى مستويات بعيدة، وخصوصاً عندما تكون هناك منظومة من القيم والمفاهيم، التي تعمل على بناء ذلك الحسّ الغيبي وتعزيزه، بما يؤدّي إلى تنمية إطار من الوعي الغيبي الهادف، والقادر على تحمّل جميع الأزمات، وتجاوز جميع التحديات، والإصرار على المضي قُدماً في حمل ذلك المشروع والتمهيد له. وخاصةً عندما يكون كل ذلك ممهّداً له، من خلال عملٍ فكري، وثقافي، وتربوي، وديني، عابرٍ للملل والنحل، ولجميع الطوائف والمذاهب، وهادف إلى بناء الوعي

---

١. نحن لا نقول إنّ غيبة الإمام تعني قعوده عن القيام بجملة من وظائف الإمامة، وإنما نقول بأنه فرق بين قيام الإمام بمجمل وظائفه وهو في مقام الظهور، وبين قيامه بجملة من تلك الوظائف من خلف ستار غيبته، إذ إنّ وجوده خلف ستار الغيبة، لن يحول دون القيام بجملة من تلك الوظائف. وهذا القرآن الكريم يحدثنا في قصة العبد الصالح الذي قصده موسى(ع) ليتعلم منه رشداً (سورة الكهف الآيات ٦٦-٨٢)، فكانت دروسه التطبيقية ذات دلالات، منها بأنه كان يقوم بأكثر من دورٍ وعمل، رغم إنّه كان موجوداً خلف ستار الغيبة. وكذلك المهدي(ع) فإنه لن تحول غيبته دون قيامه بما يقوم به من وظائفه، ولن يعيقه استتاره عن فعله.

www.noormags.ir

المهدوي، بما هو وعي يقوم على فكرة حتمية انتصار العدل، وضرورة الخلاص الإنساني من الظلم والجور، وعلى محورية الأمل المفعم بالمستقبل، بأنه لن يكون إلّا للمستضعفين والعاملين في سبيل ذلك الخلاص العدالتي، وعلى أن العدالة يجب أن تكون محور ذلك الإيمان، وعنوان ذلك الدّين، وشعار تلك الدعوة، ومضمون ذلك الفكر، الذي يجب أن تلجأ إليه شعوب الأرض، وتؤمن به جميع الأمم، وتسعى إلى تحقيقه جميع الملل، لأنه القادم إليها بفعل المهدي(ع)، الحاضر بينها ومعها -رغم غيبته-. وهو ما يجب أن تلاقيه بجهدٍ منها، من خلال التمهيد للعدل بالعدل، وثقافته، ووعيه، وفكره، وقيمه. بما هو فكرة إنسانية قيمية، قد يجتمع حولها، ويؤمن بها جميع بني الإنسان.

المهدوية: في الدلالات ونهاية التاريخ

لقد تحدّثت أكثر من أطروحة فكرية في نهاية التاريخ ووصوله إلى غاياته النهائية. بل نجد أنّ بعض منظري الرأسمالية تحدث في تلك النهاية، ومارس أدلجة تعسفية في قراءة التاريخ وحركته ونهايته، رغم إنّ أطروحته الفكرية لا ترتكز إلى أي بعد ديني أو ماورائي، يساعد على تلك الأدلجة.[1]

نعم في الرؤية الدينية هناك نهاية للتاريخ، وهذه الرؤية تتخذ معالمها الواضحة عندما نتلمسها كما وردت في مدرسة أهل‌البيت(ع)، لكن هذه النهاية ليست نهاية رأسمالية، بل هي نهاية مهدوية. وهذه النهاية لا تحمل نتيجة انتصار الرأسمالية في توحّشها وجورها، بل تحمل نتيجة انتصار العدالة في مقاصدها وقيمها، كما عبّرت عنها الرسالات الإلهية، وكما سوف تتمظهر في المشروع المهدوي وحركته.

هنا يصح القول بأن هذا الفهم أو ذاك يرتبط بالفلسفة التي نعتقد بها للتاريخ، حيث يوجد أكثر من فلسفة في هذا الشأن، ولعل اختلاف الرؤية إلى التاريخ ناشيء من اختلاف الرؤية الكونية، والتي سوف يتأثّر بها حكماً فهمنا لفلسفة التاريخ، بل هو يقوم عليها.

توجد رؤية تعتقد بعشوائية التاريخ في حركته، وعبثيته في غايته. وهذه الرؤية تتبناها أكثر من فلسفة وضعية أو أيدولوجيا مادية. وفي المقابل توجد رؤية ترى

---

١. يذهب الكاتب الأمريكي فرنسيس فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ والإنسان الأخير)، والذي صدر لأول مرة عام ١٩٩٢م، باللغة الإنجليزية، إلى هذه النتيجة، إنّه هناك نهاية للتاريخ، ولكن هذه النهاية تحمل انتصار القيم الديمقراطية والليبرالية الاقتصادية وسيادة هذه القيم في العالم؛ وهنا لابد من القول بأنّه ليس من المستبعد أن يكون التنظير الذي خلص إليه هذا الكاتب، قد جاء متأثراً بالمناخات التي أثارها انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، وتفكّك الاتحاد السوفياتي آنذاك.

www.noormags.ir

التاريخ على أنه حركة تسير في انتظامٍ ما للوصول إلى غايةٍ ما، على أن يكون لسكان التاريخ حريتهم في إطار هذا الانتظام وتلك الغاية.

وهذا أشبه ما يكون بقوم من الناس قد ركبوا قطاراً وهذا القطار يتحرّك ضمن مسارٍ ما، وللوصول إلى محطة ما في خط النهاية. هنا وإن كان راكبو القطار يمارسون حريتهم في اختيار المقصورة وجملة تصرفاتهم وأفعالهم داخل القطار، لكن كل ذلك لا يتنافى مع استمرار القطار في مسيرهِ ذاك، ووصوله إلى تلك الغاية المقدّرة له.

إنّ الرؤية الكونية الدينية تؤسس لفلسفة خاصة في التاريخ، ترقى به عن العبثية في الغاية، وتربأ به عن العشوائية في الحركة. وهذا ما يُفهم من مجمل النصوص الدينية ذات الصلة بهذا الشأن، بما فيها النصوص المهدوية. بل هذا ما يفهم من جملة المقدمات الكلامية التي تنظر إلى المنظومة الكونية، وتالياً إلى التاريخ في فلسفته على أساس من حكمة الخالق في الخلق والفعل والغاية.

بل ربما يمكن الذهاب إلى إيجاد نوع من المقاربة بين هندسة الطبيعة وهندسة التاريخ، من حيث إنّ فهمنا لحكمة الصنع في الطبيعة وهدفه، سوف يساعد على فهمنا لحكمة الفعل في التاريخ وغايته، لأنّ الصانع في كليهما واحد، والحكيم في خلقهما غير متعدّد، وهما صفحتان في كتاب واحد، لكاتب واحد، ومقدمة واحدة، وخاتمة واحدة.[١]

وعلى ما تقدّم، فإن التاريخ البشري كما بدأ على هذه البسيطة بشكل حكيمٍ وهادف، فسوف ينتهي أيضاً بشكلٍ حكيمٍ وهادف، فهو لن يستمر إلى ما لا نهاية، كما لن ينتهي بشكل عبثي أو عشوائي، أو نتيجةً لخطأ بشري، بل إنّ هذه البسيطة التي (أوكلت) للإنسان الظلوم الجهول، لا بدّ من عودتها في نهاية المطاف إلى الإنسان المستخلَف، أي إلى الهداية الإلهية، والولاية الإلهية، وإلى تطبيق الأطروحة الإلهية بمرتبتها المعصومة، ومداها الشامل، أي إلى المشروع المهدوي، الذي سوف «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً».[٢]

وهذه العودة ليست عودة تُفقد الإنسانَ عنصر الاختيار، بل هي عودة تتراكم فيها بعض العناصر الإعجازية (علامات الظهور)، في فعلٍ تمهيدي للمشروع التغييري والإصلاحي للإمام المهدي(ع).

---

١. لا يقتصر القول بغائية التاريخ وانتظامه على الفكر الديني والإسلامي؛ إنّما نجد أن بعضاً من الفلاسفة الغربيين يذهب إلى الرأي نفسه في هذا الموضوع، من حيث إنّ الله تعالى كما هو موجود في الطبيعة هو أيضاً موجود في التاريخ، وإنّ الله تعالى قد نظم التاريخ تنظيماً دقيقاً ليكون هذا التاريخ مظهراً لوجود الله، كما الطبيعة. (عطيات محمد أبو السعود، فلسفة التاريخ عند جامباتيستافيكو، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٦ م، ص٢١٢).

٢. الصدوق، الخصال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٣ هـ ق، ص٣٩٦.

www.noormags.ir

أمّا لماذا يكون الظهور بمعية عودة المسيح(ع) فيبدو أنّه فعل تقريب بين العالمين الإسلامي والمسيحي، بل توحيدٍ لهما على مشروع العدالة وقيمها، خصوصاً إذا ما التفتنا إلى أن طبيعة التربية الدينية المسيحية تدفع باتجاه عدم التعالي أمام اللّه تعالى Γذٰلِكَ ..... وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَΦ[1]. أمّا الخلاف الاعتقادي في موضوع النبي عيسى(ع)، فسوف تنتهي مبرّراته مع مجيء الشخص المختلَف فيه، لأنّه مهما كانت التراكمات الاعتقادية تدفع باتجاه الاختلاف في شأنه، فإنّ بيان الشخص عن نفسه، وهو الأعرف بحقيقته، سوف يحسم مادة الخلاف.

في فلسفة المهدوية وصناعة الأمل

لقد ذكرنا أنّ المهدويّة تعني أنّ نهاية العالم هي نهاية إلهية، كما كانت بدايته إلهية. وأنها نهاية هادفة، تخضع للتقدير الإلهي، وليست خارجة عنه. فكما كانت بداية الحياة البشرية آدمية، فإنّ نهايتها لن تكون إلّا مهدويّة.

ومن هنا فإنّ المهدويّة تعني حتمية انتصار العدالة والخير والإصلاح في مسيرة البشرية، وأن مشروع الفساد والظلم لا بدّ له في حياة البشر من نهاية، في يوم كان قدراً مقدوراً.

إنّها تعني أنّه يجب أن يكون لدينا كل الأمل، بأنّ المستقبل لن يكون إلّا لأهل العدل والخير، وأنّ قادم الأيام لن يحمل إلا سيادة العدالة، في أرجاء المعمورة، ما بين مشرقيها.

هي تعني أن يكون لدينا كل الثقة باللّه تعالى، أنه لن يترك قافلة البشرية تسير إلى الأبد في ظلام الظلم والفساد، وأنه لا مكان لليأس في مسيرة الكدح من أجل انتصار العدل والقسط، وزوال الظلم والجور.

---

١. سورة المائدة، الآية ٨٢.

هذا ويلحظ المدقق أكثر من وصل بين البعد المحمدي (نسبة إلى محمد(ص)) والبعد العيسوي (نسبة إلى عيسى(ع)) في شخص المهدي(ع) ومشروعه. واحد من تجليات ذلك الوصل يظهر فيما ذكرناه من العودة الإعجازية للمسيح(ع) مع الظهور المهدوي.

وثانية تلك التجليات كون المهدي(ع) من نسل محمد(ص) من ابنته فاطمة الزهراء(ع) من جهة، وكونه من نسل الحواريين من جهة أخرى. وقد التفت إلى هذه الدلالة الكاتب الفرنسي (يان ريشار)، في كتابه بالفرنسية (الإسلام الشيعي: عقائد وأيدولوجيات) عندما ذكر ما نصّه: "إن أم الإمام الثاني عشر كانت، فيما يقولون لدى الإماميين، أمة بيزنطية،... وأنها ربما كانت ابنة للامبراطور البيزنطي، إذن فهي من نسل سيمون بيير Simon Pierre أي أول رئيس للكنيسة... وهكذا فإن ابنها كان يصل بين الدورتين الروحيتين: دورة عيسى(ع)، ودورة محمد(ص)" (ترجمة حافظ الجمالي، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦م، ط١، ص٦٩). أما في معجم أحاديث الإمام المهدي(ع)، الموسوعة التي تتعلق بالإمام المهدي(ع)، والتي تحتوي على سبعة مجلدات، والتي عمل عليها عشرون محققاً لمدة أربع سنوات كاملة، والتي تم استخراج أحاديثها من نحو ألف مجلد، كما جاء في مقدمة ذلك المعجم؛ فقد أفرد في المجلد الخامس منها عنوانٌ هذا نصه "أم الإمام المهدي(ع) من نسل الحواريين" (تأليف ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤٢٨هـ، ط٢، صص٥١٣-٥٢٠).

www.noormags.ir

إنّ الفشل الأكبر في مشروع العدل يبدأ من غلبة اليأس، وفقدان الأمل، بإمكانية زوال الظلم والفساد. فالمهدوية تعني ديمومة الأمل. وديمومة الأمل تهدي إلى بقاء العمل. ودوام العمل بإيمان وعزيمة يوصل إلى حتمية انتصار العدالة، وإبقاء جذوتها إلى يوم الخروج. أمّا غلبة اليأس، فإنّها تدعو إلى الاستسلام للظلم والفساد، والانصياع الكامل للظالمين والمفسدين، والانكفاء عن طريق الكدح لإحلال القسط في الأرض.

إنّ المحرّك الأعظم لمشروع العدل هو الثقة بانتصاره. وإنّ الباعث الأكبر على إقامةِ القسط هو الأمل بغلبته. إنّ نداء المهدوية هو أن لا تهنوا، لأن المستقبل لكم. ولا تستسلموا، لأنّ النصر طوع إيمانكم. ولا تزولوا عن مقارعة الظلم، لأنّه زائل. ولا تتوانوا عن نصرة العدل، لأنّه قريباً تظهر رايته.

إنّ المهدوية هي النبع الفوّار للأمل المفعم والدائم بالمستقبل، أنه لن يكون إلا لعشّاق العدل ومشروع القسط، وأنّ الظلم ومشروعه لا بدّ زائل، وقريباً تُكسر رايته.

من هنا، فإنّ المهدوية تعني الانتظار المفعم بالأمل والعمل، لأنّ المستقبل هو للعدل، وليس للظلم. وهي تعني حتمية قيام العدالة، تلك التي عجز عنها البشر، وأنّ العدالة بأوسع تجلياتها وأبعدها، لا تتحقّق بمعزل عن الهداية الإلهية الحقّة. وأنّ اللاعدالة في المجتمع البشري، لن تترك تصول وتجول إلى ما لا نهاية، وأنّ الأمل بالعدالة على هذه البسيطة، ينبغي أن لا تنطفئ جذوته، وأنّ مستقبل الأيام ليس لمحتكري الثروات في العالم وللمترفين، بل هو للمستضعفين، والمظلومين، وضحايا اللاعدالة الكونية. وأنّه ليس صحيحاً لهؤلاء أن يرضخوا لناهبي ثرواتهم، ومستغلي أقواتهم، وأنّ الإرادة الالهية قد وعدتهم بتحقيق العدل، وأنّ عليهم أن يشكلوا قوة دفع لتغيير عالمهم من اللاعدالة إلى العدالة.

إنّ روح المهدوية تعني الأمل الدائم بالانتصار المحتّم للعدالة على اللاعدالة، وأنّ مسار البشرية ليس أمراً خارجاً عن الرعاية الإلهية، وأنّ نهاية الحياة البشرية على هذه البسيطة، يجب أن تكون مسبوقة بإقامة العدل، وكنس الجور، وهدم بنية النظام العالمي الجديد، القائم على احتكار الثروات، ونهب الشعوب، والمزيد من الظلم، والاضطهاد، والعبودية المقنّعة، المشبعة بكثير من النفاق المعولم.

المهدوية تعني الاستعداد الدائم والدؤوب، لذاك اليوم الذي تشرق فيه الأرض بنور المهدي(ع). أمّا لماذا الكدح للعدل، فلأنّ الغد هو ثمرة اليوم، ولأنّ عدالة المهدي لا تنفصم عن التمهيد لها بالعدالة نفسها. فلا تمهيد للعدل إلا بالعدل نفسه. ولا يغيبنّ عنّا جدل التمهيد والتصعيد، أي تصعيد الأمل بانتصار العدل، والعمل بقوة الأمل لغلبة القسط، وتكامل تصعيد الأمل وتنمية العمل. لأن فلسفة المهدوية

www.noormags.ir

تعني التمهيد للعدل، بالكدح لغلبة العدل، وإعداد مجتمع العدل، بالتربية على العدل، والصناعة الدائمة للأمل، بمستقبل العدالة وانتصارها.

المهدوية وصناعة الوعي بالمسؤولية

قد يحلو للبعض أن يقدم فلسفة ما للمهدوية، توصل الى التواكل، والتحلّل من المسؤولية. من قبيل إنّ الإمام يخرج عند انتشار الظلم، فلندع الأمور على غاربها، حتى تتهيأ الظروف لخروجه. أو إنّ الأمر يرتبط بشخص الامام، أو بحضوره فقط، بحيث لا يمكن الحديث عن مسؤولية ما في السعي لإقامة العدل، أو التمهيد له، أو الإصلاح في غيبته.

وهذا الفهم هو فهمٌ خاطئ، لأنّ فلسفة المهدوية، لا تؤدّي إلا إلى تصعيد الشعور بالمسؤولية والوعي بها، لإقامة العدل، والتغيير للأفضل، ومواجهة الظلم.

و بيان ذلك

إنّ المشروع المهدوي هو مشروع جمعي أممي، وليس مشروعاً فردياً أو شخصياً.

يهدف هذا المشروع إلى التغيير في الأرض، أي هو مشروع عالمي ذو مضمون حضاري، وليس مشروعاً فئوياً.

صحيح إنّ مرحلة غيبة الإمام، تعني مرحلة الانحدار إلى الظلم، لكن هذا بما كسبت أيدي الناس. وهذا لا يعني الركون لهذا الظلم أو السكوت عنه.

يمارس البعض خلطاً بين منطق التوصيف ومنطق التكليف، بمعنى أنّ توصيف نهاية التاريخ بأنها غارقة في الظلم والجور قد يفهم منه أنّ عليه أن يتنصّل من مسؤولياته وتكاليفه، ليدع الأمور تصل إلى ما ينطبق عليه ذلك التوصيف. وهذا فهم ينطوي على تجاوز منطق التكليف بمنطق التوصيف، لأنّ وصف تلك النهاية بما جاء في النصوص الدينية، لا يعني إغفال منطق التكليف بضرورة مواجهة الظلم، والعمل على استئصال شأفته، وهدم سلطانه.

ضرورة الفهم الموضوعي للنصوص المهدوية، وعدم فصلها منهجياً عن مجمل منظومة النصوص الدينية الإسلامية. وهذا يتطلب أن تؤخذ بعين الاعتبار نصوص التمهيد لمشروع الظهور، ومجمل النصوص الدالة على تلك التكاليف ذات الصلة.

وعليه، فإنّ الإعداد للظهور، والتمهيد لإقامة العدل المهدوي؛ لا يؤدّيان إلا إلى المزيد من العمل، الذي يجب أن يرقى إلى مستوى ذلك المشروع، وأهدافه

www.noormags.ir

الإنسانية الكبيرة. إذ إنّ مشروعاً بذاك المستوى، يحتاج الى عمل، وتمهيد بمستواه. حتى تتهيأ الظروف لخروج الإمام. وهذا الفهم لا ينتج إلا المزيد من الوعي بالمسؤولية، وتخصيبها، وتحمّلها.

النظريات المفسّرة لغيبة الإمام المهدي(ع): قراءة في المنهج

قد يكون من المفيد أن نعرض إلى ذلك المنهج الذي نعتقد بمطلوبية اعتماده في معالجة النصوص الدينية ذات الصلة بالمهدوية، وذلك بهدف التأسيس للإجابة على بعض الأسئلة التي قد تطرح في هذا الشأن.

وهنا لا بدّ من القول إنّ نظريات عديدة قد عُنيتْ بتفسير غيبة الإمام المهدي(ع) وفلسفتها، حيث نجد أنّ بعضاً منها تناول البعد الشخصي لهذا الحدث، في حين إنّ نظريات أخرى ركّزت على بعده الاجتماعيّ والعام. وهذا الاختلاف في التفسير يرجع إلى طبيعة المنهج المعتمد في قراءة نصوص الغيبة وفلسفتها. حيث يجب الإشارة هنا إلى أنّ النصوص الدينية قد أخذت الدور الأساس في توليد تلك النظريات المفسّرة للغيبة.

بداية لا بدّ من أن نشير إلى أهم تلك النظريات، ومن ثم نحاول الإلفات إلى المنهج المناسب في بنائها وفهم النصوص التي ارتكزت عليها، في محاولة لتقديم رؤية شاملة وموضوعية، تأخذ بعين الاعتبار الأسس الكلاميّة والدينيّة، التي ترتكز عليها تلك الغيبة.

يمكن تقسيم تلك النظريات إلى قسمين: نظريّات شخصيّة ونظريّات اجتماعيّة.

النظريات الشخصية

والمراد منها تلك النظريات التي تفسّر الغيبة بالاستناد إلى شخص الإمام المهدي(ع)، وهي نظريات متعددة، يمكن استفادتها من الروايات الواردة عن أهل‌البيت(ع)، وأهمها:

نظرية الخوف: تذهب هذه النظرية إلى أن الإمام(ع) قد غاب خوفاً على نفسه من القتل أو الذبح، وبالتالي، فإنّ حماية شخص الإمام قد اقتضت غيبته، منعاً من تعرضه للقتل. يقول الإمام الصادق(ع): «يا زرارة لا بدّ للقائم من غيبة، قلت: ولِمَ؟ قال: يخاف على نفسه _ وأومأ بيده إلى بطنه _ ».[١]

نظرية البيعة: أي إنّ الإمام(ع) قد غاب حتى لا يبايع أحداً من الظالمين؛ لأنه لو بقي ظاهراً، فسوف يضطر إلى البيعة. رُويَ عن الإمام الصادق(ع): «صاحب هذا

١. الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، (لاط)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥هـ‌ق، ص٤٨١.

www.noormags.ir

الأمر تغيب ولادته عن هذا الخلق، لئلا يكون لأحدٍ في عنقه بيعة إذا خرج».[1]

نظرية الاعتزال: ومفادها إنّ اللّه تعالى يكره لأوليائه مجاورة الظالمين، ولذلك غاب الإمام(ع) كرهاً لأفعالهم، وكتعبيرٍ عن رفض ظلمهم وفسادهم. ورد عن أبي جعفر(ع): «إنّ اللّه تعالى إذا كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم».[2]

هذه أبرز النظريات التي يمكن تصنيفها في تفسير البعد الشخصيّ لقضية الغيبة.

النظريات الاجتماعيّة

وهنا يمكن أن نعرض لبعضٍ من تلك النظريات، وهي:

أ) نظرية التمحيص: حيث أكدت بعض الروايات على أنّ الهدف من الغيبة هو تمحيص المؤمنين واختبارهم؛ لأنّ فلسفة الحياة قائمة على أساس الابتلاء، ومن أبلغ الابتلاءات ضرورة الإيمان بالقائم(ع) وهو في غيبته، بل وتحقيق جملة تلك الغايات والنتائج التي تترتب على الابتلاء بالغيبة، حيث ورد عن الإمام الصادق(ع) «إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد إياس، لا واللّه حتى تُمَيَّزُوا، لا واللّه حتى تُمَحَّصُوا، لا واللّه حتى يشقى من يشقى، ويسعد من يسعد».[3]

ب) نظرية النصرة: أي إنّ الإمام(ع) قد غاب لعدم وجود الناصر، وهو ما يُستفاد من بعض الروايات، باعتبار إنّ الأمور تجري بأسبابها؛ ومن أسباب النصر وجود الناصر، ولذلك غاب الإمام لعدم وجود الناصر.

ج) نظرية الامتحان: والمراد بها امتحان النظريات الوضعيّة واللادينيّة التي أريد لها أن تكون بديلاً عن الأطروحة الإلهية، فكان تغييب الإمام بمثابة تعطيل مرحليّ للأطروحة الإلهيّة في مرتبتها المعصومة، إفساحاً في المجال أمام تلك النظريات الوضعيّة حتى تختبر صحتها، وصولاً إلى مرحلة الإنسداد الحضاري، واكتشاف عدم قدرة تلك النظريات على علاج جميع مشاكل الإنسان، وإيصاله إلى سعادته الحقيقيّة.

د) نظرية الإعداد: والمراد بها انتظار جميع الظروف الموضوعيّة، والإعداد لها للقيام بعملية التغيير الشاملة، وتمكين الدّين، وإحقاق العدل في جميع الأرض.[4]

---

١. المجلسي، بحارالأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م، ط٣ ج٥٢، ص٩٦.

٢. الصدوق، علل الشرائع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٨م، ط١، ج١، ص٢٨٥.

٣. الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ.ش، ج١، ص٣٧٠.

٤. في علل الغيبة ونظرياتها راجع (عدا عما ذكرنا من مصادر): الصدوق، علل الشرائع، م.س، صص ٢٨٤-٢٨٨؛ خراساني، محمد جواد، مهدي منتظر، بُنياد بزوهشهاى علمي فرهنكى نور الأصفياء، قم، ١٣٨٠هـ ش، جاب دوم، ص٧٢- ٨٨.

www.noormags.ir

وبناءً على ما تقدّم، كيف يمكن الجمع بين كل تلك النظريات؟ وما هو المنهج الذي يجب أن يعتمد في قراءة النصوص المفسّرة لحدث الغيبة، باعتبار إنّ تحديد المنهج والمقدمات التي يمكن أن يرتكز عليها في تلك القراءة؛ كل ذلك يؤثر حكماً في النتائج التي يُنتهى إليها؟

لذا لا بدّ من الإشارة إلى جملة من النقاط المُهِمَّة في هذا الموضوع:

١. إنّ تحديد المنهج المستخدم في قراءة نصوص الغيبة هو عمل سابق منهجياً على قراءة النصوص نفسها، ولذا يجب أن يُقدّم عليها.

٢. إنّ المنهج الذي يجب استخدامه هو المنهج الموضوعي وليس الموضعي، باعتبار إنّ وظيفة الإمامة _ المعصومة _ يتداخل فيها المعرفيّ مع الدينيّ والسياسيّ والاجتماعيّ والحضاري...؛ ولذا يجب أن يكون المنهج مستوعباً لكل العوامل الدخيلة في الموضوع.

٣. بناءً على ما تقدّم، قد يصحّ القول بأن المنهج الذي يجب أن يستخدم هو (المنهج الحضاري). بمعنى أنّ الفهم الحضاري للدّين _ والذي تندمج فيه الرؤية الكونية، مع رؤيتنا لفلسفة التاريخ وغائيته، مع فهمنا لموسوعية الدين وعالميته _ هو الذي ينبغي أن يستند إليه في فهمنا للمهدوية، وغيبة المهدي(ع)، وفلسفة تلك الغيبة.

٤. يجب أن تُقرأ كل الروايات قراءة موضوعية، باعتبار إنّ كل رواية أو مجموعة روايات، ربما تكون ناظرة إلى جهةٍ من جهات الغيبة. وبالتالي لا يصح اختزال فلسفة الغيبة في هذه الجهة فقط، لأنّ تحديد سببٍ ما، أو حكمةٍ ما للغيبة، لا ينافي وجود سببٍ آخر أو حكمةٍ أخرى.

٥. إنّ النصوص التي قد يُفهم منها البعد الشخصيّ في حدث الغيبة لم تتناول الإمام المهدي(ع) بلحاظ البعد الشخصيّ المحض لديه، إنما باعتبار الجانب الحقوقي في شخصيته، أي بما هو إمام. ولذلك يجب أن تدمج تلك النصوص ذات البعد الشخصيّ في الأبعاد العامة، والجوانب الاجتماعية، والنظريات ذات البعد الجمعي.

٦. يجب أن تُفهم تلك النصوص على أساس أهداف الدين، ووظائف الإمامة المعصومة، والخصوصيّة الوظيفيّة للإمامة الخاتمة على مستوى إلغاء كل الأطروحات الوضعية، وتحقيق نهاية للتاريخ، يسبقها تحقيق الخلافة الإلهية (سيادة العدالة) بأرقى مراتبها، وأوسع معانيها، وأبعد مدياتها.

يجب أن تُقرأ تلك النصوص والنظريات قراءةً تأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الكونية

www.noormags.ir

والعالمية لحركة الدين وأهدافه. ولذا ليس صحيحاً أن تُفهم المهدوية ومشروعها على إنها محصورة بفئة خاصة، أو جغرافية محددة، وإنّما يجب أن تُفهم على أنّها حركة عالمية شاملة. وهذا ما يُستنتج من مختلف النّصوص ذات الصّلة.

إنّ كل ما تقدم لا يلغي المعنى الذي يستفاد من بعض الروايات، وهو عدم إمكانية معرفة علّة الغيبة معرفة كاملة، تستوعب جميع تفاصيلها، إلا عند ظهور الإمام(ع) وخروجه.

وبناءً على جميع ما تقدم، يمكن لنا أن نقول بأن المحاولة التي سعينا إلى القيام بها في هذه المعالجة، هي محاولة تملك تبريرها المنهجي، وليست منفصمة عن مجمل النصوص الدينية ذات الصلة، وإنما هي ترتكز إليها، وقادرة على معالجة ما يبدو من اختلاف وتعارض بينها، إذ إنها ارتكزت منهجياً على المنهج الموضوعي، ذي الأبعاد الحضارية في فهم الخلق وغايته، والدين وجوهره، والتاريخ ونهايته، فكانت النتيجة في هذا الوصل ما بين فلسفة المهدوية، وجوهرية العدالة، ونهاية التاريخ.

وإنطلاقاً ممّا ذكرنا، نستطيع أن نعي ما جاء في تلك النصوص الدينية حول دولة الإمام المهدي(ع) ومعنى تلك الدولة ووظيفتها، إذ ليس في هذا المعنى نوعُ نهمٍ إلى السلطة، أو فعل تخيّلي يعوّض النقص في الوصول إليها. وإنّما يقوم فهم تلك الدولة وفلسفتها على تلك الرؤية للكون ومقصده، وللتاريخ ونهايته، رؤيةٌ تختزن نهايةً عدالتيةً للتاريخ، تتمثل في تلك الدولة ووظائفها، حيث يغدو التعبير ب "دولة الإمام المهدي(ع) " تعبيراً تتكثّف فيه جميع تلك المعاني، وتحتشد لديه مجمل تلك الدلالات، التي تحيل هذا المصطلح وذاك التعبير إلى مجاله القيمي، والإنساني، والكوني، والخلاصي. إنّها دولة العدالة، ودولة الخلاص الإنساني، ودولة الملاذ الأخير للإنسان في تيهه الحضاري، ودولة العودة بالإنسان إلى هدايته، وإنسانيته، ومقصده الحقّ.

إنّها تعني حتمية تلك النهاية لسلطة الظلم، ودولة الجور، وجميع مظاهر التوحّش على هذه البسيطة. وهي تعني الإنقلاب في مسير قافلة البشرية من الظلم إلى العدل، ومن الجور إلى القسط، ومن الضلال في صحاري المادية والفساد واللاعدالة إلى فعل الإصلاح، وإنسانية القيم، وهدي العدالة.

الخاتمة

إنّ المعنى الذي يريد هذا البحث الخلوص إليه هو إنّ فلسفة الخلق تقوم فيما تقوم

www.noormags.ir

عليه على العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾،[١] وتهدف فيما تهدف إليه إلى إقامة القسط في الأرض ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾،[٢] وهذا ما يوصل إلى النتيجة التالية؛ وهي أنّ عبادة الله بإقامة القسط، وأنّ من أشرف العبادة أن يقوم الناس بالعدل، ويقوم اجتماعهم على العدالة.

ومن هنا كان البيان الديني على مرّ التاريخ ليقدّم هذا الهدف، ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.[٣] ولكن الذي حصل انحدار متمادٍ في الظلم ومنهجه ونسقه، في إعراض عن ذلك البيان الديني وكفرٍ به، وإيغال في الطغيان والفساد.

وهذا الانحراف عن مسار العدالة الذي انساقت إليه قافلة البشرية في تاريخها لن يدوم إلى ما لا نهاية، وإنّما هناك نهاية للتاريخ، وهناك أمدٌ لمسار اللاعدالة هذا.

ولذا، فإنّ المهدوية تعني الانقلاب في مسيرة البشرية وقافلتها من مسار اللاعدالة إلى مسار العدالة. وهي تعني في مشروعها أهمّ تحولٍ سوف يشهده التاريخ البشري من انحدار في نسق اللاعدالة، إلى انتهاج العدالة في نسقها وقيمها وجميع معانيها. وهي تعني العودة إلى الفطرة الإنسانية السليمة من مجمل التشوّهات التي تعرّضت لها على مدار التاريخ بسببٍ من أكثر من تلبيسٍ فكري، أو فسادٍ معرفي، أو حتى تأويلٍ للدين جافى حقيقة جوهره الكامن في العدالة.

المهدوية هي المشروع الخلاصي للاجتماع البشري ممّا يصل إليه في مرحلة انسداد الأفق الحضاري أمام مسيره وفي نهايته. هي خشبة الخلاص الوحيدة التي سوف تتبدى في نهاية ذلك التيه الحضاري أمام ناظري قافلة البشرية، وتوقها الأخير إلى الخلاص المهدوي وظهوره.

هذا ويمكن إيجاز مجمل الموضوعات الواردة في البحث فيما يلي من نقاط:

١. إنّ المهدوية هي بمثابة مشروعٍ لهدم بنية اللاعدالة في العالم، وتفكيك النظام العالمي القائم على اللاعدالة في مختلف مجالات الاجتماع الإنساني، ليُبنى مكانه نظام جديد يقوم على العدالة وقيمها في مختلف ميادين ذاك الاجتماع.

٢. في المنظار التاريخي تعني المهدوية الانقلاب الجذري في مسيرة قافلة

---

١. سورة الذاريات، الآية ٥٦.

٢. سورة الحديد، الآية ٢٥.

٣. سورة الحديد، الآية ٢٥.

www.noormags.ir

البشرية من مسار اللاعدالة إلى مسار العدالة. لتكون خاتمة التاريخ البشري بسيادة العدالة وحدها على البسيطة كلّها. يقول تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾،[1] و ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.[2]

٣. إنّ اليوم المهدوي إنّما يأتي بعد مسارٍ تاريخي طويل من اللاعدالة، هذا المسار الذي يختزن فرصة أو فسحة حضارية للتجربة البشرية المتعالية على الهداية الإلهية، لتختبر خياراتها الحضارية بمعزل عن تلك الهداية، ولتستفرغ ما في جعبتها الوضعية من رؤى في هذا السياق.

٤. إنّ الهدف من ذاك الإمهال التاريخي هو إعمال سنة الإيكال الحضاري، والتي تعني أن يُوكل الاجتماع البشري إلى نفسه نتيجة لإعراضه عن الهداية الإلهية تلك، حتى يعاين فشل خياراته في إقامة العدل، ويصل في نهاية التاريخ إلى حالة الانغلاق الحضاري، التي تنعدم فيها خياراته الحضارية بمعزلٍ عن الهداية الإلهية، ليعود إليها، وليبحث فيها ومن خلالها عن خلاصهِ وعلاجهِ.

٥. لقد جاءت الغيبة في فلسفتها كتجلٍ لذاك الإيكال الحضاري، وكتعبيرٍ عنه. وهي تعني تجميد الأطروحة الإلهية في مرتبتها المعصومة في بعدها الظاهر، وتحديداً في بعض وظائفها، وليس في جميعها.

٦. يمكن القول إنّ الغيبة -كفلسفة- تقوم على الوجود الغائب، وما يعنيه هذا الوجود من معانٍ وآثار، وما له من وظائف ومهام، وما يستبطنه الغياب واللاحضور من معانٍ ونتائج، تعني في فلسفتها ومقاصدها إعمال سُنة الإيكال الحضاري تلك، للوصول به إلى غاياته ونهاياته.

٧. إنّ فلسفة المهدوية تعني بقاء شعلة الأمل متّقدة بانتصار العدالة وحتمية قدومها، وهي تعني تصعيد المسؤولية وتحمّلها لإقامة القسط، والتمهيد لمشروع العدل المهدوي، لأنّ التمهيد للعدل لا يكون إلا بالعدل نفسه ومن سِنخه.

٨. في الرؤية الدينية هناك نهاية للتاريخ، وهذه النهاية ليست عبثية، كما إنّ حركته ليست عشوائية، بل هي نهاية غائية، تتوّج حركةً تخدم تلك الغاية.

٩. ومن هنا يصح الحديث في هندسة إلهية للتاريخ ذات غاية مهدويّة، تقوم على

---

١. سورة القصص، الآية ٥.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥

www.noormags.ir

أنّ مسار التاريخ لن يترك في تيهه الحضاري إلى ما لا نهاية. بل سوف ينتهي بتسيّد العدالة، من خلال المشروع المهدوي وفعله.

١٠. بل يمكن القول إنّ هذا التيه البشري في اللاعدالة، فإنّه على مستوى مؤدّياته، سوف يخدم ذلك التحول الجذري في التاريخ البشري من اللاعدالة إلى العدالة.

١١. إنّ ما نعنيه بأنّ نهاية التاريخ سوف تحصل ببناء حضارة العدالة، هو أنّ هذه النهاية سوف تتضمن أمرين:

الأول: هدم ذلك النظام العالمي القائم على اللاعدالة في مختلف الميادين والمساحات.

الثاني: هو بناء نظام جديد يقوم على العدالة وقيمها في مختلف مجالات الاجتماع الإنساني وشؤونه.

١٢. بناءً على جميع ما تقدّم، يمكن أن نعي معنى (دولة الإمام المهدي(ع)) بأنّها تعني دولة العدالة، وحتمية قدومها في نهاية التاريخ، بعد أفولٍ لها بفعل إعراض البشرية عن الهداية الإلهية، وضياعها في تيهها الحضاري، ووصولها إلى ملاذها الأخير المتمثِّل في دولة العدل، وظهور الإمام محمدبن الحسن المهدي(ع).

www.noormags.ir

اثر الغيبة علي الإرث العلمي لعلماء الشيعة الإمامية في العراق من الغيبة (٢٦٠هـ) إلي نهاية العصر البويهي(٤٤٧هـ)

الدكتور عمار عبودي نصار[١]

المقدمة

والصلاة والسلام على اشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين...

واجه المجتمع الشيعي بعد غيبة الإمام الثاني عشر(عج) سنة (٢٦٠هـ) تمزقاً وحدوث خلافات شديدة، أدت نتائجها بالكثير من إتباع مذهب الإمامية الى التغير والانحراف، كما شجعت فرقاً أخرى كالمعتزلة والزيدية والاسماعيلية الى استغلال حالة التفرقة وغيبة الإمام المعصوم في توجيه الانتقاد الى الأسس العقائدية الخاصة بالشيعة الإمامية.

وفي ظل ذلك الوضع شمر علماء الشيعة الإمامية عن سواعدهم لدفاع عن مذهبهم وحقيقته، وتقديم تحليلات جديدة للأصول الاعتقادية الخاصة بالمذهب الإمامي، وذلك من خلال مصنفاتهم ومناظراتهم التي مثلت منجزهم العلمي والذي كان له أعظم الأثر في تلك الحقبة.

إن ما نرمي اليه في هذا البحث هو تسليط الضوء على اثر غيبة الإمام المهدي(عج) على المنجز العلمي لعلماء الشيعة الإمامية، وقد تضمن محورين:تناول المحور الأول اثر حادثة الغيبة على علماء الشيعة الإمامية وذكر التحديات التي

١. أستاذ كلية الآداب جامعة الكوفة (drammarnassar73@yahoo.com).

www.noormags.ir

واجهتهم في تلك الحقبة، إما المحور الثاني فقد تطرق الى الحراك العلمي الذي قام به علماء الشيعة الإمامية بعد غيبة الإمام.

إن إشكالية هذا البحث تقوم على أساس فهم طبيعة الأحوال التي عاشها علماء الإمامية بعد حادثة الغيبة والتي عكست بآثارها على منجزهم العلمي، وما مدى تأثير الدور الذي قاموا به على مذهب الإمامية خلال تلك الحقبة.

واعتمدت دراستنا هذه على المنهج التاريخي في محاولة وصف اثر الغيبة وبعدها التاريخي على طائفة الشيعة، مبينين دور علماء الإمامية واثر منجزهم العلمي في خضم تلك الاحداث، ومحاولين الوصول الى الأسباب التي دفعت بذلك العالم الى اصدار هذا المؤلف أو ذاك خلال تلك الحقبة.

المبحث الأول: اثر حادثة الغيبة على علماء الشيعة الأمامية

أثرت حالة الوفاة المفاجئة للإمام الحسن بن علي العسكري(ع) سنة (٢٦٠هـ)، الى ظهور التفرقة والخلافات في المجتمع الشيعي في العراق،[١] ثم تلا ذلك غيبة الإمام الثاني عشر الحجة المنتظر(عج)،[٢] فكانت هذه الفترة من أصعب الفترات التي مرت على الشيعة الأمامية،[٣] إذ أدت الى انسلاخ جماعات، ومن ثم تكتلها في فرق بلغ عددها أربع عشرة فرقة،[٤] او كما ذكرها المسعودي وزاد عليها بقوله: "افترقت الى عشرين فرقة".[٥]

أصاب الشك والاضطراب بعض الشيعة بعد غيبة الإمام المهدي(عج)، بل راح بعضهم ينكر وجود ولداً للامام الحسن العسكري (ع)، وأشار النعماني الى ذلك:" ومن الذي لا يأبه له كثير من الخلق ولا يصدقون بأمره، ولا يؤمنون بوجوده"،[٦] كما ادى ذلك الشك الى يرتد بعض من إتباع الامامية ويلتحقوا بالمذاهب الشيعية الاخرى، الذين اخذوا يعملون على استمالتهم.[٧]

فضلاً عن ذلك فقد شكل ادعاء جعفر الكذاب الإمامة إحدى المشاكل التي

---

١. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٤٩.

٢. للإمام الحجة المنتظر(عج) غيبتان، صغرى وكبرى، ويقال لهما قصرى وطولى، وقد اختلفت الروايات في تحديد تاريخ بدأ الغيبة الصغرى التي تنتهي بموت السفير الرابع سنة (٣٢٩هـ)، والتي تبدأ بعدها الغيبة الكبرى والمستمرة الى يومنا هذا، الطوسي، كتاب الغيبة، ص١٦٣؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٢، ص٤٦.

٣. مدرسي، تطور المباني الفكرية، ص٥.

٤. الأشعري، المقالات والفرق، ص١٠٢-١١٦؛ النوبختي، فرق الشيعة، ص١٥١-١٧١.

٥. المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١١٢.

٦. النعماني، الغيبة،، ص١٧٤.

٧. النعماني، مقدمة كتاب الغيبة، ص٢٩.

www.noormags.ir

واجهت الشيعة الأمامية وعلمائها في هذه الحقبة، فمن جهة انه شكل خطراً على حياة الإمام المهدي(عج) بتوجيه السلطة الى أماكن أقامته، سعياً منه للتخلص من الإمام،[1] ومن جهة أخرى قد ادعى انه الإمام بعد أخيه الإمام الحسن العسكري، وعندما فشل في التقرب من الشيعة الأمامية وإغرائهم بالمال، وكسبهم الى جانبه، وفقدان الأمل في إقناعهم بإمامته، عمل على اخذ التركة الإمام وحبس جواريه واعتقال حلائله، وشنع على أصحابه بانتظارهم ولده، فجرى عليهم بسببه كل عظيمة من اعتقال وحبس وتهديد،[2] فمال اليه الكثير من إتباع (الافطحية)[3] واعترفوا بإمامته، ومنهم متكلم الكوفة (علي بن الطاحي الخزاز)[4] الذي كان رئيسا لهذه الدعوى في الكوفة،[5] وكذلك الفقيه الكوفي (علي بن الحسن بن فضال)،[6] فضلاً عن بعض ممن اتبع الإمام الحسن العسكري(ع) ثم رفضوا إمامته تحت ذريعة ان الإمام ليس له ولد،[7] فأورد الصدوق ذلك قائلاً" قبض أبومحمد(ع) وتفرقت الشيعة وأنصاره، فمنهم من انتمى إلى جعفر، ومنهم من تاه، ومنهم من شك، ومنهم من وقف على تحيره، ومنهم من ثبت على دينه بتوفيق الله عز وجل".[8]

وفي مقابل كان من الشيعة الامامية وعلمائها من هو ثابت القدم في هذا الامتحان، قوي الإيمان، لم تؤثر فيه عواصف الفتن، وكان اعتقاده بمذهب الامامية عن دراية وعلم، فقيل فيهم:" ولم يبقى الا القليل النزر الذين ثبتوا على دين الله

---

١. الصدوق، كمال الدين ج٢، ص٥٠٠، ٥٠٣؛ علي، المهدي المنتظر، ص١٠٢.
٢. المفيد، الإرشاد،ج٢، ص٣٣٦؛ الأربلي، كشف الغمة، ج٣، ص٢١١.
٣. الافطحية: إحدى فرق الشيعة،والذين قالوا ان الأمامه بعد الإمام جعفر الصادق(ع) في ولده عبد الله الافطح؛ وذلك لأنه اكبر أولاده سناً، وكان يجلس مجلس أبيه، النوبختي، فرق الشيعة، ص١٢٦-١٢٧.
٤. علي بن الطاحي الخزاز من متكلمي الكوفة وكان أفطحياً، اذ ادعى هو وإتباعهم أنهم امتحنوا الامام الحسن العسكري (عليه‌السلام) فلم يجدوا عنده علما فأعتقدوا بامامة جعفر، النوبختي، فرق الشيعة، ص٨٢.
٥. النوبختي، فرق الشيعة، ص٨٢.
٦. علي بن الحسن بن علي بن فضال، من اكبر علماء الشيعة في الكوفة، ولد سنة (٢٠٦هـ)، فطحياً المذهب، واسع الرواية والإخبار، وصاحب تصانيف كثيرة، كان أول الأمر قريبا للأمامية الأثنى عشرية، لكنه اعترف بعد ذلك بإمامة جعفر الكذاب، النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٤٧؛ الطوسي، الفهرست، ص٩٢.
٧. مدرسي، تطور المباني الفكرية للتشيع، ص١٣٠-١٣١.
٨. الصدوق، كمال الدين، ج٢، ص٤٣٧.

www.noormags.ir

وتمسكوا بحبل الله ولم يحيدوا عن صراط الله المستقيم".[١]

الحراك العلمي لعلماء الأمامية بعد حادثة الغيبة

_ جهود علماء الشيعة الإمامية في التصدي لحالة التفرقة

بظهور الفرق الشيعية بعد غيبة الإمام المهدي(عج) بدأت جهود علماء الشيعة الأمامية العلمية في مواجهة تلك الفرق والرد عليها، فكانت لمؤلفاتهم ومصنفاتهم أعظم الأثر في دفع الكثير من الشبهات وأزالت الحجج التي احتج بها أصحاب تلك الفرق وانسلاخهم وتفرقهم عن مذهب الحق. فكان للحسن بن موسى النوبختي (ت٣١٠هـ) دوراً في الرد على الفرق الشيعية الأخرى، فقد عرف بحسن اعتقاده بمذهب الامامية، فصنف في هذا المجال العديد من الكتب منها كتاب(الرد على فرق الشيعة ما خلا الأمامية)،[٢] وكتاب (فرق الشيعة) وهو المؤلف الوحيد الذي وصل الينا من مؤلفاته، والذي ذكر فية تفصيل للفرق الشيعية وتفرقها منذُ زمن الإمام علي(ع) الى عصر غيبة الإمام المهدي(عج).[٣]

إما كتاب (الآراء والديانات) الذي لم يتمه،[٤] فقد وصفه النجاشي بالقول:"كتاب كبير يحتوي على علوم كثيرة قرأت هذا الكتاب"،[٥] فهو من الكتب المفقودة، ويبدو ان نسخة منه كانت موجودة لغاية القرن السابع الهجري، ويؤكد ذلك قول ابن طاووس:"هذا الكتاب المسمى(الآراء والديانات) عندنا ألان و وقفت على معرفته".[٦]

برز من العلماء ممن عاصر الحسن بن موسى النوبختي، المتكلم الأمامي (أبو الاحوص البصري)،[٧] والذي يعد من الثقات وقد اخذ عنه النوبختي،[٨] ومن ابرز

١. النعماني، الغيبة، ص٢٧-٢٨.
٢. النجاشي، رجال النجاشي، ص٦٣؛ الطهراني، الذريعة،ج١٧،ص٢٤٥.
٣. النوبختي، كتاب فرق الشيعة.
٤. الطوسي، الفهرست، ص٤٦.
٥. النجاشي، رجال النجاشي، ص٦٣.
٦. ابن طاووس، فرج المهموم، ص١٢١.
٧. أبو الاحوص داود بن أسد بن اعفر البصري، شيخاً جليلاً، وعالما وفقيهاً، ومن متكلمي الأمامية في القرن الثالث الهجري، وقد حدث خلط بين المصادر في لقبه فمنهم من ذكره(المصري)وآخرين قالوا(البصري)، ورجح ابن داود لقب(المصري)أكثر، النجاشي، رجال النجاشي، ص١٥٤؛ ابن شهر أشوب، معالم العلماء، ص١٧٣؛ ابن داود، رجال ابن داود، ص٢١٤.
٨. الطوسي، الفهرست، ص١٩٠.

www.noormags.ir

كتبه كتابه في (الأمامه) الذي رد فيه على سائر من خالفه من أصحاب المذهب الأخرى،[1] وكان له مجلس ومناظره مع الجبائي (ت٣٠٣هـ)[2] في الامامة،[3] وذكر الشيخ الطوسي:[4] إن أبوالاحوص والحسن بن موسى النوبختي قد التقيا واجتمعا عند زيارة (الحائر)[5] مرقد الإمام الحسين بن علي(عليهما السلام).

اما أبو سهل النوبختي(ت٣١١هـ) فقام بمواجهة التفرقة التي طرأت على مذهب الأمامية؛ وذلك بصد مخالفيهم، وبذل الجهود العلمية و واستخدام الادله العقلية، ومباحثه الكلامية، لتثبيت الأصول الدينية للمذهب الأمامي الأثنى عشري والمحافظة عليه، واثبات وجوب الأمامه وتقرير صفات الإمام، وصولاً بذلك الى إثبات إن الأمامه أصل من أصول الدين عند الأمامية،[6] فصنف في ذلك كتباً عديدة في الدفاع عن موضوع الأمامه، والرد على الغلاة، والواقفة، وأهل السنة.[7]

أصبحت كتب أبو سهل النوبختي(ت٣١١هـ) مرجعاً للمتكلمين الذين جاءوا بعده في القرنين الرابع والخامس الهجريين،[8] واستشهدوا بما شرحه ودونه في ردهم على خصومهم، حتى أرائهم في الأمامه والمسائل الكلامية تشبه الى حد كبير لأرائه،[9] فذكر الشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ) في رده على القاضي عبد الجبار المعتزلي في اقتناءه لكتب أبي سهل والاستشهاد بها بقوله: " وهذه كتب أبي محمد وأبي سهل رحمهما الله في الأمامه تشهد بما ذكرناه "،[10] فأصبحت لأبو سهل منزلة عظيمة في تاريخ المذهب، واستحق بجداره لقب(شيخ المتكلمين).[11]

---

١. النجاشي، رجال النجاشي، ص١٥٤؛ الطهراني، الذريعة، ج٢، ص٣٢٦.

٢. أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن زيد بن أبي سكن الجبائي، شيخ المعتزلة في زمانه ومن انتهت اليه رئاستهم، جاء لقبه نسبةً الى إحدى قرى البصرة، توفي سنة(٣٠٣هـ)، ينظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٥، ص٢٧١.

٣. ابن داود، رجال ابن داود، ص٢١٤.

٤. الطوسي، الفهرست، ص١٩٠.

٥. الحائر: وهو موضع قبر الإمام الحسين بن علي(ع)، وسمي بذلك لان الماء تحير فيه ورجع من أقصاه الى أدناه، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٨.

٦. إقبال، آل نوبخت، ص١٢٩-١٣١.

٧. النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٣.

٨. ومنهم ولده علي بن إسماعيل الذي اخذ العلم من ابيه، وعلي بن عبد الله بن وصيف الناشئ الصغير (ت٣٦٥هـ)، و ابوالجيش مظفر بن احمد البلخي(ت٣٦٧هـ) استاذ الشيخ المفيد، ومحمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، وعلي بن الحسين الشريف المرتضى علم الهدى (ت٤٣٦هـ)، و احمد بن عبد الله النجاشي(ت٤٥٠هـ)، و محمدبن الحسن الطوسي(ت ٤٦٠هـ) وغيرهم، ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٥٩، ٢٦٠، ٣٨١، ٣٨٥، ٤٠٤.

٩. إقبال، ال نوبخت، ص١٣٤.

١٠. الشريف المرتضي، الشافي في الإمامة، ج١، ص٩٨.

١١. إقبال، آل نوبخت، ص١٢٩.

www.noormags.ir

جاء رد أبي سهل النوبختي (ت٣١١هـ)على ابي العتاهيه في باب التوحيد، بمثابة الاعتراض الصريح على ما تفوه به من أفكار قد نظمها في شعره والتي لا تنسجم مع عقائد الشيعة، واخذ أهل السنة ينسبون عقائد أبو العتاهيه الجبرية الى الشيعة، ويتحاملوا عليهم بسببه، فكان رد أبي سهل هو لدحض نسبة تلك الأفكار للشيعة،[١] كما استخدمها وسيلة لمهاجمة(الحلاج)الذي كان يستند على شعر أبي العتاهيه في أفكاره.[٢]

امتاز القرن الرابع الهجري بظهور التيارات الفكرية في الأوساط الشيعية، فاستطاع الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) ان يفرض وجود الفكر الإمامي ومدرسة أهلالبيت (عليهمالسلام) على الأجواء العلمية،[٣] فتمكن من كهربة الجو العلمي بآثاره وندواته العلمية العامرة بالنقد والإبرام والنقاش الحر،[٤] "وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء ومن سائر الطوائف"،[٥] كما كان له موقف ضد الصوفية ومدعي التصوف، فألف كتاباً (الرد على أصحاب الحلاج)،[٦] فعد الشيخ المفيد من ابرز المتكلمين لما اشتهر به من كثرة الكلاميات في مصنفاته، فضلاً عن مناظراته و محاججاته في الرد على الخصوم، وقد كرس حياته لدعم عقيدة الشيعة والدفاع عنها، فأنقذت مناظراته الكثير من الخلائق من الظلال، واستقطبت الناس الى التشيع،[٧] وتمكن أيضاً في كتابه (المسائل الجارودية) من تحديد ما يجب اعتقاده لطائفة الشيعة الإمامية، مميزاً عقائدها عن ما اعتقدته (الفرقة الجارودية)[٨].[٩]

وفي سنة (٤٣٠هـ) الف زعيم الشيعة آنذاك الشريف المرتضى كتابه (الانتصار) في الفقه،[١٠] بطلب من الوزير (عميد الدين)[١١] لبيان المسائل الفقهية للشيعة

---

١. إقبال، آل نوبخت، ص١٥٠-١٥١.
٢. ماسنيون، الآم الحلاج، ترجمة الحسين حلاج، ط١، (بيروت: شركة قدمس، ٢٠٠٤م)، ص١٤٩.
٣. فرحان، حركة الاجتهاد عند الشيعة الأمامية، ص٢٥٨.
٤. مؤسسة آلالبيت(ع) لأحياء التراث، مقدمة تحقيق كتاب جامع المقاصد للشيخ الكركي، ج١، تكملة مقدمة التحقيق ص١٤-١٥.
٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩.
٦. النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٨٣؛ الطهراني، الذريعة، ج١٠، ص١٨٥.
٧. جعفريان، الشيعة في إيران، ص٢٨٥.
٨. الجارودية: هم أتباع أبي الجارود زياد بن أبي زياد، وقالوا بتفضيل الإمام علي(ع)، وزعموا إن من دفع علياً عن مكانه فهو كافر، وان ألامه قد كفرت وضلت في تركها بيعته واختيار أبو بكر، وجعلوا الأمامه من بعده في ولده الإمام الحسن(ع) ثم الإمام الحسين(ع) ثم تكون شورى بين أولاده، فمن خرج منهم مستحقاً للإمامة فهو الإمام. ينظر: النوبختي، فرق الشيعة، ص٥٦.
٩. الطهراني، الذريعة، ج٢٠، ص٣٥١.
١٠. الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج٥، ص٢٩٤.
١١. ذكر صاحب كتاب أعيان الشيعة ان الوزير هو عميد الجيوش أبي علي الحسن بن أستاذ هرمز

www.noormags.ir

الإمامية، والرد على شبهة من شنع عليهم بأنهم خالفوا الإجماع، فأثبت لهم إن أكثرها يوافق فيه الشيعة غيرهم من علماء و فقهاء المذاهب الإسلامية الأخرى، وان أدلتها واضحة ومأخوذة من الكتاب والسنة،[1] فعد كتاب (الانتصار) أول كتاب للشيعة في الفقه المقارن[2] فقال في مقدمته: "أما بعد: فإني ممتثل ما رسمته الحضرة السامية الوزيرية العميدية... من بيان المسائل الفقهية التي شنع بها على الشيعة الإمامية، وادعي عليهم مخالفة الإجماع وأكثرها موافق فيه الشيعة غيرهم من العلماء والفقهاء المتقدمين أو المتأخرين... وأن أبين ذلك وأفصله وأزيل الشبهة المعترضة فيه"،[3] كما أوضح أن تفرد الشيعة في في إحدى المسائل الفقهية ليس بدعةً، فكل مذهب لديه خصوصية يجب ان لا تستهجنها المذاهب الأخرى.[4]

_ موقف علماء الشيعة الامامية من حركة القرامطة

ازداد الضغط على علماء الشيعة الأمامية من قبل السلطة العباسية بعد ظهور (ثورة القرامطة)[5] سنة ٢٧٨هـ في الكوفة ومناطق جنوب العراق، وخصوصاً إن القرامطة كانوا من الشيعة، في حين أنهم من الشيعة الإسماعيلية، الذين يتعارضون في كثير من الاعتقادات مع مذهب الأمامية الأثنى عشرية،[6] لكن السلطة العباسية قد اتخذتها ذريعة لممارسة عملية القتل الاضطهاد ضد الشيعة الأمامية، وخاصةً بعد ارتكاب القرامطة جرائم القتل والاعتداء والسلب والنهب للأموال،[7] تولد أيضا

(ت٤٠١هـ) الذي تولى تدبير أمور العراق زمن السلطان البويهي بهاء الدولة، وان اسم عميد الدين لم يعثر على من لقب بهذا الاسم من الوزراء الشيعة في عصر الشريف المرتضى، وعميد الجيوش وان لم يذكر انه تولى الوزارة، لكن ظاهره كان يجري مجرى الوزراء، كذلك فهو يعد وزير حرب، ينظر: الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص١٨٨.

١. الطهراني، الذريعة، ج٢، ص٣٦٠.

٢. الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج٥، ص٢٩٢.

٣. الشريف المرتضى، مقدمة كتاب الانتصار، ص٧٥-٧٦.

٤. الشريف المرتضى، مقدمة كتاب الانتصار، ص٧٦.

٥. القرامطة:هم من فرقة الشيعة الإسماعيلية، التي قالت بإمامة محمد بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق، وقيل أنها سميت بهذا الاسم نسبة لرئيس كان لهم من أهل السواد في ناحية خورستان يلقب بـ (يقرمطويه)، ومن أفكارهم زعموا ان محمد بن إسماعيل لم يمت، وانه غائب ومتستر في بلاد الروم، وانه القائم المهدي، ويجب قتل من قال بإمامة موسى بن جعفر و ولده، كما استحلوا سفك الدماء، واخذ الأموال، وقد كثر عددهم وقويت شوكتهم سواء بالكوفة او اليمن او نواحي البحر واليمامة، وقد قاموا سنة (٣١٧هـ) بمهاجمة مكة، ونزعوا الحجر الأسود من الكعبة، وقاما بمهاجمة الحجاج المتوجهين من بغداد الى مكة، وقتل الكثير منهم وسلب أموالهم. الأشعري، كتاب المقالات والفرق، ص٨٣-٨٦؛ النوبختي، فرق الشيعة، ص١١٩-١٢٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٢٣-٢٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢، ص٢٨٨.

٦. الإسماعيلية: هي احدى فرق الشيعة، والتي زعمت ان الإمام بعد جعفر بن محمد الصادق(ع) هو ابنه إسماعيل،وأنكرت موته في حياة ابيه، وقالوا إنما ذلك تلبيس، وزعما ان إسماعيل سوف يملك الأرض، وانه هو القائم المهدي، الاشعري، المقالات والفرق، ص٨٠؛ النوبختي، فرق الشيعة، ص١١٤-١١٥.

٧. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٥٣؛ علي، المهدي المنتظر، ص١١٧.

www.noormags.ir

حالة العداء عند الأوساط الشعبية المؤيدة للسلطة العباسية، ضد طائفة الشيعة عموماً، والشيعة الأمامية بشكل خاص،[١] حتى أصبح الأمر عليهم حاداً والسيف يقطر دما.[٢]

لم يكن يرضى علماء الشيعة الأمامية إن يكونوا في عزلة عن الإحداث للنجاة بأنفسهم، ويقبلون ما شنع عن مذهبهم من اتهامات، فسعوا للتصدي لتلك التيارات المنحرفة بكل عزم، ونقد الفكر الاستلالي للقرامطة، بعد ان ازداد إتباعهم ونفوذهم بعدة مناطق في العراق.

قام الشيخ الكليني (ت٣٢٩هـ) المعاصر لتلك الحركة، بالرد على أفكارهم، ونقدهم بكل شجاعة في كتابه (الرد على القرامطة)،[٣] وعلى الرغم من كون الكتاب من المؤلفات المفقودة، لكن برزت أهميته من الجهة العقائدية بشكل كبير،[٤] إذ ان الشيخ الكليني قد أوضح من خلاله للأوساط الشعبية الاختلافات ما بين ما يعتقده القرامطة وبين معتقدات مذهب الشيعة الأمامية، ومن جهة أخرى فأنه قد قدم جهداً في كتابه هذا لطائفة الشيعة وإتباع مذهب أهلالبيت (عليهمالسلام) من أجل تحصينهم ضد الفكر القرمطي،[٥] وذكر حسيني:[٦] ان الكتاب بعنوانه قد حمل مسحه كلامية، الأمر الذي يدل على تضلع الشيخ الكليني بعلم الكلام.

قام علماء الشيعة الأمامية في مناطق أخرى بمواجهة الفكر القرمطي، فقد سبق للمتكلم الفقيه الأمامي الفضل بن شاذان النيسابوري[٧] (ت٢٦٠هـ) وهو احد إتباع الأئمة (عليهمالسلام)، ومن كبار العلماء الشيعة في خراسان، بمواجهة الاعتقادات التي تمسك بها القرامطة، والرد عليهم في مصنف بعنوان (الرد على القرامطة)،[٨] وصنف الفقيه (علي بن ابي سهل بن حاتم القزويني)[٩] احد مشايخ الصدوق كتاباً

---

١. علي، المهدي المنتظر، ص١١٧.
٢. الطوسي، كتاب الغيبة، ص٣٩٦؛ المجلسي، بحارالأنوار، ج٥١، ص٣١٧.
٣. الكليني، الكافي، ج١، ص٢٠؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٦١؛ الطوسي، الفهرست، ص١٣٥.
٤. حسيني، حياة الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، ص٢٩٢.
٥. السيد، تجارب العلماء في عصر الغيبة،، ج١، ص١٣٨.
٦. حسيني، حياة الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، ص٢٩٣.
٧. الفضل بن شاذان النيسابوري من كبار الفقهاء والمتكلمين الشيعة الامامية في خراسان، كان غزير العلم وصنف مائة وثمانين كتاباً، عاصر الإمام الرضا(ع) وروى عنه، وقد اثنى و ترحم عليه الإمام الحسن العسكري(ع)، توفي سنة (٢٦٠هـ)، النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٩٥؛ الطوسي، الفهرست، ص١٢٤.
٨. النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٩٥؛ ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص٩١.
٩. علي بن حاتم بن ابي سهل بن حاتم بن ابي حاتم القزويني، احد ثقات الشيعة، ومن مشايخ الشيخ الصدوق، له تصانيف كثيرة، وقيل انه يروي عن الضعفاء، كان حيا سنة ٣٥٠هـ النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٥٢؛ الطوسي، الفهرست، ص٩٨؛ الطهراني، طبقات اعلام الشيعة ق٤، ج١، ص١٧٦.

www.noormags.ir

(الرد على القرامطة) للتصدي لأفكارهم الاستلالية.[١]

صنف عدد من علماء الشيعة الأمامية[٢] كتباً في الرد على (فرقة الواقفة)،[٣] وتبدو أهمية تلك المصنفات مقابل المشاكل التي كانت طائفة الواقفة تثيرها والتي كانت بشكل وبأخر ذا تأثير كبير على طائفة الشيعة الإمامية،[٤] لكن للأسف الشديد ضاعت معظم هذه المصنفات ولم نعرف عنها سوى ما ورد من نقول من بعض الكتب المتأخرة، وقد عرف إتباع فرقة الواقفة بعنادهم وتعصبهم في الوقوف، حتى وان سمعوا أدلة وبراهين عن الإمام الحق،[٥] فأخذ علماء الشيعة الأمامية يفندون بالحجج والبراهين ما يعتقدون به إتباع هذه الفرقة، ويثبتون صواب تعاليم فرقة الأمامية الأثنى عشرية،[٦] القائلة بإمامة الإمام محمد بن الحسن(عج)، والقاطعة على حياته وبقائه الى وقت ظهوره وقيامه بالسيف.[٧]

_ الأسر العلمية الشيعية وأثرها في حقبة الغيبة الصغرى

منذُ نهاية القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع ازدادت مكانة آل نوبخت، اخذ نجمهم يلمع في البلاط العباسي، فقد كانوا أهل عقل وأمانة وثقة، ومحل تعظيم و أقدار عند الخلفاء،[٨] وبالأخص شيخ المتكلمين من الشيعة الأمامية، والبارز على نظرائه في زمانه، أبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي (ت٣١١هـ)، فوصل الى مناصب إدارية مهمة في ديوان الحكومة، حتى أصبح من بين الكتاب وقريباً لمنصب الوزراء،[٩] الأمر الذي انعكس على طائفة الشيعة الأمامية، بتوفر بعض

---

١. النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٥٢.

٢. من علماء الشيعة الأمامية الذين كان لهم مصنف في الرد على الواقفة هم: الحسن بن موسى النوبختي، وشيخ المتكلمين ابو سهل إسماعيل النوبختي، وجعفر بن اسحق البجلي الكوفي أستاذ محمد بن احمد بن قضاعة الصفواني، والحسن بن موسى الخشاب احد أصحاب الإمام الحسن العسكري، الحسين بن علي بن بابويه القمي أخ الشيخ الصدوق، الحسين بن علي بن سفيان البزوفري الذي قرأ عنه الشيخ النجاشي، ومحمد بن احمد بن قضاعة الصفواني تلميذ الشيخ الكليني، ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٣، ٤٢، ٦٣، ٦٧، ١٢٠، ٣٧٥؛ الطهراني، الذريعة، ص٢٣٤-٢٣٥.

٣. الواقفة:هم إحدى فرق الشيعة، واختلفت هذه التسمية في مقصدها، فهناك الواقفة على الإمام الحسين بن علي (عليه‌السلام)، والذين قالوا ان الإمامة انقطعت بعد استشهاده، بنظر: النوبختي، فرق الشيعة، ص٩٧، والواقفة الذين انكروا مقتل الإمام موسى بن جعفر(ع) وقالوا ان الله قد رفعه وسوف يرده في اخر الزمان، وانه هو الإمام القائم، ولم يأتموا بعده بأمام، ينظر: النوبختي، فرق الشيعة،ص١٣١، والواقفة على الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه‌السلام) وقالوا انه لم يمت وانه غائب وهو القائم، وانكروا ان له ولد، وقالوا لا يجوز ان يموت؛ لأن الارض لا تخلوا من حجه، النوبختي، فرق الشيعة، ص١٥٢.

٤. جعفريان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، ج٢، ص١٩٧.

٥. النجاشي، رجال النجاشي، ص٤١-٤٢؛ الطوسي، الفهرست، ص٩٢.

٦. فياض، تاريخ الأمامية وإسلافهم، ص٨٤.

٧. المفيد، الفصول المختارة، ص٣٢١؛ المجلسي، بحارالأنوار، ج٣٧،ص٢٣.

٨. المفيد، الفصول العشرة، ص٧٣.

٩. ابن النديم، فهرست، ص٢٢٥؛ النجاشي رجال النجاشي، ص٣٣؛ الطوسي، الفهرست، ص١٢.

www.noormags.ir

الأمان والعيش بعز، كما تطلعت الشيعة الأمامية للأسرة النوبختية، وعقدوا عليها الأمل في دحض المناوئين للمذهب الشيعي الأمامي، والرد على مخاليفيهم،[١] وكان لدعم الوزير(علي بن محمد بن فرات)[٢] لابي سهل النوبختي(ت٣١١هـ) والصداقة التي تربطهما دور في تيسير مهمة ابي سهل لدحض أفكار(الحلاج) ودعوته،[٣] وإفشاء كذبه في المجالس، وتنفير الجماعة عنه.[٤]

كما برز الحسن بن موسى النوبختي(ت٣١٠هـ)،[٥] العالم الأمامي المتكلم الفيلسوف، الذي أصبحت داره مكاناً يجتمع فيه العلماء والفضلاء ويتباحثون في المسائل العلمية المتنوعة،[٦] وكانت له مناظرات ومسائل مع معاصريه الذين كانوا من الفرق والمذاهب غير الأمامية،[٧] كما رد على الغلاة الذين كانوا يعتقدون بإلوهية الإمام علي بن أبي طالب(ع)،[٨] وقال الخطيب البغدادي في ذلك:" وقع إلي كتاب لأبي محمد الحسن بن يحيى النوبختي من تصنيفه في الرد على الغلاة وكان النوبختي هذا من متكلمي الشيعة الأمامية، فذكر أصناف مقالات الغلاة".[٩]

كما كانت لأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي(ت٣٢٢هـ)[١٠] مكانة في البلاط العباسي، اذ كان من ذوي الشأن النفوذ، والعاملين في الدواوين،[١١] وأصبح سنة(٣١٢هـ) كاتبا للوزير (أباالقاسم عبدالله الخاقاني)[١٢] ألا انه أقيل بعد ثمانية

---

١. اقبال، ال نوبخت، ص١٣٨.

٢. ابوالحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات، اول وابرز من تولى الوزارة من ال الفرات، كان رئيساً لديوان الخراج عند موت الخليفة المكتفي(٢٨٩- ٢٩٥هـ) وهو من اشار على وزير المكتفي(العباس بن الحسن) بان يأخذ البيعة للمقتدر، وتولى الوزارة ثلاث مرات زمن خلافة المقتدر(٢٩٥-٣٢٠هـ)، عرف بالتشيع، و علاقته بال نوبخت، قتل هو و ولده سنة (٣١٢هـ)، ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٦٥- ٢٦٦.

٣. اقبال، ال نوبخت، ص١٤٢.

٤. الطوسي، كتاب الغيبة، ص٤٠١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص٢٠٤.

٥. أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، عالما وفيلسوفا وأديبا، وهو ابن أخت أبي سهل النوبختي،وكان شيخ المتكلمين والمبرز على نظرائه قبل الثلاثمائة وبعدها، ذاع صيته وعلا كعبه، وله الكثير من المصنفات، لم تذكر سنة ولادته،توفي سنة(٣١٠هـ)،ينظر: ابن النديم، فهرست،،ص٢٢٥؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص٦٣؛ الطوسي، الفهرست، ص٤٦؛ ابن شهر اشوب، معالم العلماء، ص٦٨.

٦. ابن النديم، فهرست، ص٢٢٥؛ الطوسي، الفهرست، ص٤٦.

٧. النجاشي، رجال النجاشي، ص٦٣؛ الطوسي، الفهرست، ص٤٦.

٨. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج٧، ص٤١٠-٤١١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢، ص٤٠٥.

٩. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج٧، ص٤١٠.

١٠. هو ابن المتكلم الإمامي أبي سهل إسماعيل النوبختي، من أشهر الكتاب، ويعد من رجال آل نوبخت المشهورين لمكانته ومنزلته في الدولة، إقبال، آل نوبخت، ص٢١٧؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٣، ص٢٦٢.

١١. إقبال، آل نوبخت، ص٢٢٠.

١٢. ابوالقاسم عبدالله بن الوزير ابي محمدبن الوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان، وكان ذا لباقة في اللسان وبلاغة وآداب وجود وثروة، ولي وزارة المقتدر سنة(٣١٢هـ)، ثم قبض عليه بعد (٨) أشهر وعزل من

www.noormags.ir

أشهر وصودرت أمواله،[1] ويبدو انه كان من المتكلمين الشيعة البارزين، وعلى خطى أبيه ابي سهل النوبختي(ت٣١١هـ) في المناظرة والدفاع عن الدين والمذهب، فقد مدحه الشاعر البحتري(ت٢٨٤هـ) في قصيدة، واستشف إقبال[2] من خلالها ان أبا يعقوب إسحاق النوبختي استطاع ان يخلص الرعية في القلاع الواقعة مابين أراضي المسلمين والمناطق نفوذ النصارى من رجل معتدي، وان يجمع الناس بعد فرقتهم، ويغرس فيهم تعاليم مذهب أهل‌البيت (عليهم‌السلام) في العدل والإنصاف.

أصبح السفير الثالث للإمام المهدي(عج) أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي (ت٣٢٦هـ) محل احترام لدى الخليفة المقتدر(٢٩٥- ٣٢٠هـ) واسرته؛ وذلك لما رأوا منه من كرامات،[3] فكان لا احد يجرأ على التعرض اليه،[4] فضلاً عن نفوذه في البلاط العباسي، وله مكانه وتقدير عند الوزراء،[5] فكانت تصل اليه الأرزاق والأموال من ابن الفرات لمكانته وجلالة قدره عنده،[6] ويبدو ان هدف السفير الثالث من تدخله في المجال السياسي كان لترسيخ مذهب الأمامية سواء فكرياً أو علمياً في الدولة العباسية، التي كانت تتبع سياسة التهميش وممارسة الضغوطات للوجود الشيعي الامامي في الدولة، فضلاً عن مصادرتها للفكر الامامي ومحاربة انتشاره.

اختلفت أحوال الحسين بن روح مع الدولة العباسية بعد تولي (حامد بن العباس)[7] الوزارة، وانعكس الأمر تماماً، فقد أتهم بمكاتبته للقرامطة ليحاصروا بغداد، وان أموال الشيعة الأمامية تجبى اليه، وهو يفتي لهم ويفيدهم،[8] فقبض عليه مع انه دافع عن نفسه وقدم حججاً على برائته، وذكر الذهبي ذلك وقال:" قد تلطف في الذب عن

الوزارة، ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٧٤.

١. أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٤.

٢. إقبال، آل نوبخت، ص٢٢٠.

٣. ذكر الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة) بعض الكرامات للحسين بن روح النوبختي، وخاصة في قضيته مع الشلمغاني الذي انتهى به الأمر بالقتل والصلب، وكذلك نقل بعض كرامات الإمام المهدي(عج) التي خرجت على يده ومنها: جوابه الى علي بن الحسين بن بابوية(ت٣٢٩هـ) انه سوف يرزق بولدين فقهيين من جارية ديلمية، اذ ذكر له هذا الخبر قبل إن يتزوج تلك المرأة، فضلاً عن قصة سرور الاهوازي الذي كان اخرس في صباه، فأمر ان يخرج لزيارة الحائر الحسيني فنطق، للمزيد ينظر: الطوسي، كتاب الغيبة، ص٣٠٧-٣٠٩.

٤. الطوسي، كتاب الغيبة، ص٣٨٤.

٥. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٢، ص٢٨٣.

٦. الطوسي، كتاب الغيبة، ص٣٧٢؛ أبن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٢.

٧. حامد بن العباس وزير الخليفة المقتدر، رشح للوزارة من قبل خادم السيدة شغب(ام المقتدر) بعد نكبة ابن الفرات في وزارته الثانية، كان سفه اللسان، سريع الطيش، لكن كرمه غطى على عيوبه، حمل ابن الفرات مسؤولية موته مسموما سنة (٣١١هـ). ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص٢٢٨؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٦٨.

٨. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٤، ص١٩١؛ الصفدي،الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٢٢٧.

www.noormags.ir

نفسه بعبارات تدل على رزانته و وفور عقله ودهائه وعلمه"،[١] فسجن خمس أعوام، واخرج بعد انتهاء محاولة خلع الخليفة المقتدر الثانية سنة (٣١٧هـ)،[٢] اذ شاوروا الخليفة في أمره وقال:"دعوه فبخطيئته جرى علينا ما جرى".[٣]

صار للسفير الحسين بن روح النوبختي(ت٣٢٦هـ) منزله عظيمة في عهد الخليفة الراضي(٣٢٠- ٣٢٩هـ)، إذ أخذت الأنظار تتوجه إليه؛ بسبب كثرة الأموال التي كانت تأتي إليه من الشيعة، وكذلك المكانة التي يتمتع بها، وبما إن الدولة العباسية كانت تعاني من ضائقة ماليه، فبدأت تتقرب الى الشيعة والى أبي القاسم للحصول على الأموال، إذ قال الخلفية الراضي:"ان ثراء الحسين بن روح وإضرابه بأخذ أموال الأمامية أمر لا يسوؤني".[٤]

تولى علي بن العباس النوبختي[٥] (ت٣٢٤هـ) الذي اشتهر بالعلم والأدب و ولايته الأمام علي و ولده(عليهم السلام) مناصب إدارية في الدولة العباسية، إذ أصبح وكيلاً للخليفة المقتدر فيما يريد بيعه من الضياع بعد فشل محاولة خلع المقتدر الثانية سنة ٣١٧هـ، وقد اثبت ابوالحسين النوبختي(ت٣٢٤هـ) أمانته وإخلاصه في العمل، مما ولد الثقة عند الخليفة المقتدر ليجعله بعد ذلك على بيع الكسوة للجند المقاتلة على اثر نقص الأموال التي لم تعد تكفي لدفع الرواتب.[٦]

كان للميول المذهبي الذي يتبعه وزير بني العباس اثر كبير على إتباع ذلك المذهب، اذ كان يهيأ لهم متنفساً لممارسة شعائرهم الدينية؛ وذلك من خلال ما يتخذه من اجرءات، توفر لهم الحرية في وقت وزارته، فكان لتولي (علي بن محمد بن الفرات) ذات الميول الشيعي الوزارة زمن خلافة المقتدر(٢٩٥- ٣٢٠هـ) دوراً في منح بعض الأسر الشيعية التفوق على اقرأنهم، فاستطاعوا بدعمه ومؤازرته الوصول الى الوظائف الإدارية في الدولة.[٧]

دافع (ابن الفرات) عن إعطائه مناصب للشيعة وتعطيل بعض الكتاب، بأنهم أكفاء مخلصون، اذ قال: "يمتعضني الناس بتعطيلي مشايخ الكتاب وتفريقي الإعمال

١. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٤، ص١٩١.
٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٢٢٧؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٢، ص٢٨٣.
٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٤، ص١٩١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٢٢٧.
٤. إقبال، آل نوبخت، ص٢٥٦.
٥. أبوالحسين علي بن العباس النوبختي، اديباً وشاعراً، ومن مشايخ الكتاب في عصره، عاش طويلاً وعرف بمروءته، روى إخبار عن الشاعرين البحتري وابن الرومي بالمشاهدة، كما عاصر ابو سهل اسماعيل النوبختي الذي ينظر اليه بعين الاحترام وتربطهم علاقة واحدة،ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٣، ص٢٦٧؛ اقبال، ال نوبخت ص٢٣٠
٦. مسكوية، تجارب الامم، ج٥، ص٢٧٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١٣، ص٢٦٧.
٧. مدرسي، تطور المباني الفكرية للتشيع، ص٢٨٥.

www.noormags.ir

على ال بسطام وال نوبخت، والله لولا انه لا يحسن تعطيل نفر من العمال قد قلتهم، لما استعملت في الدنيا الا ال نوبخت دون غيرهم".[1]

بالرغم من أن تشيع آل الفرات و ولائهم الى آل علي (عليهم‌السلام) كان معلوماً لدى الجميع،[2] لكنهم اختلفوا عن تشيع الشيعة الأمامية الأثنى عشرية، إذ أيد والد الوزير علي بن محمد بن الفرات (محمد بن نصير النميري)[3] في دعوته الكاذبة والملحدة، وكان يرعى فرقته، ومنح لها الحماية، وقوى أسبابها وعاضدها[4] ومع هذا الاختلاف فقد لعب آل الفرات دورا هاماً في دعم الشيعة الأمامية ومساندتهم.

كان لأسرة آل بسطام رعاية خاصة أيضاً من قبل الوزير ابن الفرات، وابرز من اشتهر من هذه الأسرة الحسين بن بسطام بن سابور الرايات[5] وأخوه أبوعتاب عبدالله بن بسطام،[6] اللذان عاشا في عصر الغيبة الصغرى، وإلفا كتاب (طب الأئمة) وهو ما جمعوه وشرحوه من الموسوعة الذهبية الطبية المشهورة بطب الرضا (ع).[7]

ثبت آل بسطام على خط التشيع الى زمن السفير الثالث الحسين بن روح النوبختي، إذ ايدوا بعد ذلك محمد بن علي الشلمغاني[8] في صراعه مع الحسين بن روح،[9] وبقوا على تأييده حتى بعد مقتله، حتى صار ذكر هذه الاسرة مقترن بدعوة الشلمغاني.[10]

---

١. التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص٩١.

٢. مسكوية، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٩٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٠

٣. محمد بن نصير النميري البصري، كان احد أصحاب الإمام ابي الحسن العسكري(ع)، وتنتمي اليه الفرقة النصيرية، ادعى انه نبي رسول، وان الإمام علي بن محمد العسكري(ع) أرسله، وكان يغلو في الإمام ويقول فيه بالربوبية، وكان يقول بالتناسخ، واحل اباحة المحارم ونكاح الرجال لبعضهم، وادعى البابيه للإمام المهدي(عج) بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري (عليه‌السلام)، ففضحه الله بما ظهر منه من الحاد، ولعنه السفير الثاني أبي جعفر محمد بن عثمان وتبرء منه، للمزيد ينظر: النوبختي، فرق الشيعة، ص١٤٧-١٤٨؛ الطوسي، كتاب الغيبة، ص٣٩٨.

٤. النوبختي، فرق الشيعة، ص١٤٨؛ الطوسي، كتاب الغيبة، ص٣٩٨.

٥. النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٩.

٦. النجاشي، رجال النجاشي، ص٢١٨.

٧. الطهراني، الذريعة، ج١٠ ص٤٦.

٨. محمد بن علي بن أبي العزاقير الشلمغاني، كان عالماً مستقيما وموثوقاً عند الشيعة، وله مؤلفات كثيرة في أحاديث الأئمة (عليهم‌السلام)، ثم ظهرت منه مقالات منكره، وادعى السفارة للإمام المهدي(عج)، وبعدها نشر بدعة الحلول، وان الله سبحانه وتعالى قد حل فيه، واستطاع ان يؤثر في بعض الشخصيات الشيعية مثل آل بسطام في بغداد وال حمدان في الموصل، وقتل سنة (٣٢٢هـ) في عهد الخليفة الراضي، ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٦٢؛ الطوسي، كتاب الغيبة، ص٤٠٣-٤٠٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص٣٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٠٣.

٩. الطوسي، كتاب الغيبة، ص٤٠٥.

١٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٠٣.

www.noormags.ir

المبحث الثاني: اثر حادثة الغيبة على الارث العلمي لعلماء الشيعة الأمامية

كان للمنجز العلمي لعلماء الشيعة الأمامية اثر ملموس و واضح في الحقبة التي تلت حادثة الغيبة، إذ اكتسبوا من خلاله القدرة على البقاء في محيطهم السياسي المتعارض معهم، والفوز بشرعية الوجود والمحافظة على كيانهم وتثبيته.

شكلت الروايات المتواترة عن الرسول(ص) وأئمة أهلالبيت (عليهمالسلام) حول غيبة الإمام المهدي(عج) وظهوره، دافعا لدى علماء الشيعة الامامية للتأليف في موضوع الغيبة وقد ذكرت كتب الرجال أسماء من له مصنفات في الغيبة ولعل ابرزهم:

العباس بن هشام أبو الفضل الناشري الاسدي (ت٢٢٠هـ) والذي ذكره الطوسي في جملة أصحاب الإمام علي بن موسى الرضا (ع)،[١] إذ إن لمؤلفه أهمية خاصة كونه أحد الرواة المباشرين عن الإمام المعصوم كما ان وفاته قبيل الغيبة بنحو أربعين سنة . وكذلك الحسن بن محمد بن سماعة الذي توفي(٢٦٣هـ) بالكوفة وله كتاب الغيبة.[٢]

ولعبد الله بن جعفر أبو العباس القمي الذي قدم الكوفة سنة (٢٩٠هـ) كتاب (الغيبة والحيرة)[٣] ويظهر من اسم الكتاب قد شمل مواضيع من شأنها القضاء على حالة الشك والريبة التي انتابت المجتمع الشيعي عقب الغيبة .

وللشلمغاني كتاب (الغيبة) ويظهر إن تصنيفه جاء بعد وقوع الخلاف بينه وبين السفير أباالقاسم الحسين بن روح، اذ ذكره الشيخ الطوسي فقال:" وذكر محمد بن علي بن أبي العزاقر الشلمغاني في أول كتاب الغيبة الذي صنفه، وأما ما بيني وبين الرجل المذكور (زاد الله في توفيقه) فلا مدخل لي في ذلك إلا لمن أدخلته فيه، لان الجناية علي فإني وليها "،[٤] ومن عنوان الكتاب يبدوا انه قد اختص بغيبة الإمام المهدي(عج). ومن كتبه كتاب (الأوصياء)[٥] وقد صنفه ايام استقامته،[٦] وعنوان الكتاب يدل على انه قد اختص بأخبار الأئمة (عليهمالسلام)، وقد نقل الشيخ الطوسي خبر ولادة الإمام المهدي(عج) منه فقال:" روى محمدبن علي الشلمغاني

---

١. الطوسي،الرجال، ص٣٦٢.
٢. النجاشي، رجال النجاشي، ص٤٠.
٣. النجاشي، رجال النجاشي، ص٣١٩؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ص٣١٩.
٤. الطوسي، كتاب الغيبة، ص٣٩١.
٥. النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٦٢.
٦. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٥، ص٣١.

www.noormags.ir

في كتاب الأوصياء... لما ولد السيد (ع)[1] تباشر أهل الدار بذلك".[2]

وعندما سئل الشيخ أباالقاسم الحسين بن روح عن كتب (الشلمغاني) التي كانت تملء البيوت وقد خرج فيه لعن، فقال: "أقول فيها ما قاله أبومحمد الحسن بن علي صلوات الله عليهما وقد سئل عن كتب بني فضال فقالوا كيف نعمل بكتبهم وبيوتنا منها ملأى، فقال صلوات الله عليه: (خذوا بما رووا وذروا ما رأوا)".[3]

وتناول العالم الفقيه الشيخ الكليني(ت٣٢٩هـ) في كتابه (الكافي) موضوع الغيبة أيضاً، إذ افرد لإخبار القائم بن الحسن(عج) وغيبته ابواباً خاصة من كتابه.[4]

الغريب فيما كتبه الشيخ الكليني في كتابه(الكافي) عدم ذكر انه قد التقى بالسفراء الأربعة ابداً، وعندما ينقل عنهم، فأنه ينقل بواسطتين او أكثر،[5] مع انه سكن بغداد ومعاصراً لهم، كما انه يعد من كبار علماء الشيعة في تلك الحقبة، ويقول احد الباحثين: ان السبب يعود في ذلك الى نظرة مؤرخو الدين الاماميين لمنصب السفراء في انه لا يدخل ضمن العقيدة الدينية؛ بل إن منصب السفير جاء من متطلبات مرحلة الغيبة الصغرى وحاجة المجتمع الامامي للتنظيم،[6] قد يكون هذا الرأي ذا مقبوليه، لكن ذلك لا يتعارض مع اللقاء بهم ونقل الاخبار عنهم، كما فعل بعض علماء ومحدثي الامامية، وربما كان عدم لقائه بهم انطلاقاً من مبدأ التقيةً نظراً لوجود الضغوطات التي مارستها السلطة العباسية على علماء الامامية انذاك، فعندما ذكر اسم الإمام المهدي(عج) في كتابه (الكافي) ذكره متقطع.[7]

ومن علماء الامامية الذين كتبوا ايضاً في هذه الحقبة عن موضوع الغيبة (الحسن بن محمد العلوي المعروف بابن اخي طاهر)،[8] اذ ألف كتاب (الغيبة وذكر القائم(ع)،[9] وكذلك صنف المتكلم الشيعي (محمدبن القاسم البغدادي)[10] كتاباً في

---

١. يقصد بالسيد هوالإمام المهدي(عج).

٢. الطوسي، كتاب الغيبة، ص٢٤٥.

٣. الطوسي، كتاب الغيبة، ص٣٨٩-٣٩٠؛ المجلسي، بحارالأنوار، ج٥١، ص٣٥٨.

٤. الكليني، الكافي، ج١، ص٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٥.

٥. الكليني، الكافي، ج١، ص٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩.

٦. علي، المهدي المنتظر، ص٩٧.

٧. الكليني، الكافي، ج١، ص٣٨٧.

٨. أبومحمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن العلوي المعروف بابن أخي طاهر، اتهم بالكذب وصناعة الحديث، وانه روى عن المجاهيل، وذكره رجال غرباء لا يعرفون، ولا تطيب الأنفس من روايتهم، عدى ما يرويه عن جده يحيى بن الحسن من روايات وكتب، وكذلك ما يرويه عن علي بن محمد العقيقي، توفي سنة (٣٥٨هـ) ودفن في منزله بسوق العطش ببغداد، ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص٦٤

٩. الطهراني، الذريعة، ج١٦، ص٨٣.

١٠. ابوبكر محمدبن القاسم البغدادي، كان من مشاهير المتكلمين الشيعة الامامية، كان معاصراً لمحمد بن همام الاسكافي المتوفي سنة (٣٣٢هـ)، ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٦٥.

www.noormags.ir

موضوع الغيبة،[١] إضافة الى شيخ البصرة وصاحب التصانيف الكثيرة(عبد العزيز الجلودي)[٢] الذي له كتاب (إخبار المهدي(ع)).[٣]

وفي اواسط القرن الرابع الهجري انتهى ابن زينب النعماني(ت٣٦٠هـ) من تاليف كتابه عن الغيبة اذ صرح فيه انه مضى على الغيبة نيف و ثمانون سنة،[٤] وبذلك يكون تاريخ تأليف الكتاب بحدود سنة (٣٤٠هـ)، وتأتي أهمية الكتاب من التقارب الزمني بين مدة تأليفه وعهد الغيبة الصغرى، فضلاً عن ما رصده من مواقف للشيعة الامامية في مسالة الغيبة قد عكست بشكل واضح أوضاع المجتمع الشيعيفي تلك الحقبة.

كما روى عدد من علماء الشيعة الأمامية إخبار عن السفراء الأربعة، إذ كان منهم من عاصر فترة الغيبة الصغرى للإمام المهدي(عج)، أو ممن شهد الحادثة ورواها بدون واسطة، أمثال: أبو نصر هبة الله بن احمد بن محمد الكاتب المعروف بابن برنيه، والذي كان من جهة الأب حفيد لام كلثوم بنت أبي جعفر محمد بن عثمان العمري وقد سمع الكثير من الكلام منها وحدث به، وكان له كتاب في (الأمامه) وكتاب في (إخبار أبي عمر وأبي جعفر العمريين)،[٥] ومنهم أيضاً أبو العباس احمدبن علي بن نوح السيرافي(ت٤١٠هـ) نزيل البصرة، و صاحب كتاب (إخبار الوكلاء الأربعة)،[٦] ومنهم أيضاً أبو علي محمد بن همام الاسكافي(ت٣٣٦هـ) الذي كان قد نقل الكثير من الإخبار التي شهدها بنفسه.[٧]

كان للجوانب الاجتماعية حضوراً في مصنفات علماء الأمامية في هذه المرحلة، فقد تناولوا فيها المواضيع التي من شأنها ان تهون على عامة الشيعة ما يواجهوه من تحديات ومصاعب، فألف محمد بن همام الاسكافي(ت٣٣٦هـ) كتاب (التمحيص)[٨] في ذكر إخبار ابتلاء المؤمن وبيان موجبات تمحيص ذنوبه،[١] فذكر

---

١. النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٦٥؛ الطهراني، الذريعة، ج١٦،،ص٨٠.

٢. ابواحمد عبدالعزيز بن يحيى بن احمد الازدي البصري الجلودي، المؤرخ والأديب، ومن أكابر الشيعة الأمامية، و صاحب التصانيف الكثيرة في مختلف المجالات، توفي سنة(٣٣٢هـ)، للمزيد ينظر: ابن النديم، فهرست، ص١٢٨؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٣١؛ الطوسي، الفهرست، ص١١٩.

٣. النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٣٣؛ الطهراني، الذريعة، ج١، ص٣٥٢.

٤. النعماني، الغيبة، ص١٥٩.

٥. النجاشي، رجال النجاشي، ص٤٢١.

٦. النجاشي، رجال النجاشي، ص٨٤؛ الطوسي، الفهرست، ص٣٧.

٧. النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٦٣؛ الطوسي، الفهرست، ص١٤١.

٨. ورد شك عند بعض الفقهاء والمؤرخين ما بين نسبة كتاب (التمحيص) الى ابو علي محمد بن همام او الى ابو محمد الحسن بن شعبه الحراني صاحب كتاب (تحف العقول) والمعاصر لأبن همام، ويبدوان الكتاب قد ثبت في الأصل نسبته الى ابن همام، وانما الشك في ان الكتاب قد رواه من غير عنه، أي روايته بالواسطة، فيكون كآمالي لابن همام، ينظر الطهراني، الذريعة، ج٤، ص٤٣١-٤٣٢.

www.noormags.ir

أبن همام في مقدمة كتابه: "ولما رأيت ما شملني والعصابة المهتدية من الاختبار والـلاواء والتمحيص والابـتلاء فـي بـاب معيشـتها، وتصـرف أحـوال الـدنيا بهـا، والامتحان،... وعلمت بغمز ما قاله النبي والوصي والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) في هذا المعنى، وما ذكروه من أحوال شيعتهم، ومسارعة البلاء إليهم، تمحيصا عنهم وكفارات لذنوبهم، وما بشروهم به من حميد العواقب فيه، ونبهواعليه من تفضل الله عليهم بذلك منا منه ورحمة، علمت هذا الكتاب".[٢]

أستطاع علماء الإمامية وفي ظل سياسة الحرية الفكرية التي سادت عهد البويهيين المجاهرة بآرائهم ونشر عقائدهم بل ومناقشة أراء علماء الفرق الأخرى، فتركوا مبدأ التقية واخذوا يجرون المناظرات ويبثون تعاليم الإمامية علنا،[٣] فأدى ذلك إلى توسيع دائرة الثقافة للفكر الإمامي، وسطع نجم علماء الإمامية، فالتف حولهم طلاب العلم من الشيعة والسنة، وأصبحت مجالسهم أشبه بالمدرسة العلمية التي لمت شتات الكثير من الطلبة ومن مختلف المذاهب.

كما اتبع علماء الإمامية نمطاً جديداً في مصنفاتهم، تميز بالجرئه والشجاعة، إذ قاموا بذكر مجموعة من الأحاديث عن الأئمة (عليهم‌السلام) في إثبات صدق الغيبة وحقيقتها، إذ لقد وجد الشيخ المفيد في الحوادث التاريخية باباً مناسباً في طرح موضوع الإمامة وشرح جوانبه والدفاع عن منزلة الأئمة (عليهم‌السلام) بالأدلة العقيلة والنقليه، فاستطاع بواسطتها رسم صورة واضحة عن حياتهم والتأكيد على نص الإمامة، فجاء تأليف كتابي (الجمل) و (الإرشاد) لهذا الغرض.[٤]

و سعى الشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ) في جهوده العلمية إن يقدم مذهب الإمامية بصيغة جديدة، في ظل الحرية الفكرية التي اتبعها البويهيون، فعد كتاب (الشافي) بأنه مفتاح مذهب الإمامي، وباب الدخول لحقيقة عقائده،[٥] ولم يصنف مثله كتاب في موضوع الإمامة،[٦] إذ استطاع من خلال أدلة عقليه ونقل روايات صحيحة، ان يثبت شرعية الأمامه وضرورة وجودها واستمراريتها، كما رد على ما الصق من تهم وشبهات بطائفة الشيعة في تقديس الإمام وتقديمه على النبي(ص)، والنسب للإمام

---

١. طهراني، الذريعة، ج٤، ص٤٣١.
٢. الاسكافي، التمحيص، ص٢٨.
٣. فياض، تاريخ التربية عند الأمامية، ص٨٤.
٤. المفيد، مقدمة كتاب الجمل، تحقيق إبراهيم الأنصاري، ط٢،(بيروت: دارالمفيد، ١٩٩٣م)، ص١٨.
٥. الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج٥، ص٢٩٤.
٦. الطوسي، الفهرست، ص٩٩.

www.noormags.ir

العلم المطلق بالغيب وغيرها من الصفات التي تعبر عن المغالاة والجهل البعيدة عن حقيقة الفكر الإمامي.[١]

شغل موضوع غيبة الإمام المهدي(عج) اهتمام الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ)، فصنف كتاب (الغيبة) سنة ٤٤٧هـ، والذي يعد من أهم الكتب التي عالجت الجوانب المختلفة في مسالة الغيبة و إبعادها التاريخية، اذ تضمن حججاً وأدلة تؤكد غيبة الإمام المهدي(عج)،[٢] وقد ذكر ذلك في مقدمة كتاب(الغيبة) فقال: "إما بعد فإني مجيب إلى ما رسمه الشيخ الجليل، أطال الله بقاءه من إملاء كلام في غيبة صاحب الزمان، وسبب غيبته، والعلة التي لأجلها طالت غيبته، وامتداد استتاره".[٣]

الخاتمة

شكلت غيبة الإمام المهدي(عج) سنة (٢٦٠هـ) نقطة تحول في المنجز العلمي لعلماء الشيعة الإمامية؛ وذلك لافتراق الشيعة الى فرق ومذاهب عديدة، فأخذ علماء الإمامية على عاتقهم مهمة الدفاع عن مذهبهم، ودفع الشبهات عنه، وبيان أحقيته، فكان ذلك سبباً لزيادة نشاطاتهم العلمية وإنتاجاتهم الفكرية.

صنف علماء الامامية الكثير من المؤلفات الفقهية والعلمية والأدبية، كما كانت لهم مجالس وحلقات درس علمية ومناظرات ومناقشات مع علماء المذاهب الأخرى، فكان ذلك الإنتاج الفكري يهدف الى مواجهة المتغيرات والتحديات التي مرت بها مدرسة أهل‌البيت (عليهم‌السلام).

برز خلال تلك الحقبة زعماء وأساطين من علماء الشيعة الإمامية والذين تحملوا مسؤوليتهم في المحافظة على كيان مذهب الإمامية وتثبيت حضوره في الساحة الفكرية التي كانت على درجة من التوتر والتجاذب المذهبي، فقام علماء الشيعة الإمامية بالرد في مصنفاتهم على الفرق الشيعية الأخرى وخاصة الزيدية والجارودية والإسماعيلية والقرامطة، والتي كان لهم نشاطاً وجهوداً في المضمار الفكري والمذهبي، فأظهرت مؤلفاتهم علماء الشيعة الإمامية التي انتجت بعد حادثة الغيبة الفوارق والاختلافات فيما تعتقده تلك الفرق وبين معتقدات الشيعة الإمامية.

---

١. الشريف المرتضى، الشافي في الأمامة، ج١، ص٣٥ وما بعدها.
٢. جعفريان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، ج٢، ص٣١٨.
٣. الطوسي، مقدمة كتاب الغيبة، ص١.

www.noormags.ir

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير :علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠هـ)
- في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبدالله القاضي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)
- ابن الجوزي: عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد و مصطفى عبدالقادر عطا الله، ط١ (بيروت: دارالكتب العلمية،١٩٩٢م)
- ابن الطقطقي: محمد بن علي (ت٧٠٩هـ)
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (بيروت: دار صادر، بلا)
- ابن حجر العسقلاني: احمدبن علي (ت ٨٥٢هـ)
- لسان الميزان، ط٢ (بيروت :مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،١٩٧١م)
- ابن داود: الحسن بن علي (ت ٧٤٠هـ)
- رجال ابن داود، تحقيق محمدصادق بحرالعلوم (النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٧٢م)
- ابن شهر آشوب: محمدبن علي (ت٥٨٨هـ)
- معالم العلماء، تحقيق محمدصادق بحرالعلوم (بيروت: دار الأضواء، بلا)
- ابن طاووس: علي بن موسى (ت٦٦٤هـ)
- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم (قم:منشورات الرضي، ١٣٦٣هـ)
- ابن كثير: أبوالفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ)
- البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط١ (بيروت: دار أحياء التراث العربي،١٩٨٨م)
- الأربلي: علي بن عيسى (ت ٦٩٣هـ) كشف الغمة في معرفة الأئمة (بيروت: دارالأضواء، بلا)
- الأشعري: سعدبن عبدالله (ت٢٩٩هـ)، كتاب المقالات والفرق، علق عليه محمد جواد مشكور (مركز انتشارات الاعلمي،١٣٦٠هـ)
- إقبال: عباس، آل نوبخت، نقلة الى العربية على هاشم الاسدي، ط١ (مشهد: مجمع البحوث الإسلامية،١٤٢٥هـ)
- الأمين: السيدمحسن (ت ١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين (بيروت: دارالتعارف، ١٩٨٣م)
- الأمين: حسن (ت١٣٩٩هـ)، مستدركات أعيان الشيعة، (بيروت: دارالتعارف، ١٩٨٧م)

www.noormags.ir

- التنوخي: القاضي الحسن بن علي (ت٣٨٤هـ)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي (بيروت: دارصادر، ١٩٧١م)
- جعفريان: رسول، الحياة الفكرية والسياسية لائمة أهل‌البيت، ط١ (بيروت: منشورات دار الحق، ١٩٩٤م)
- الشيعة في ايران، تعريب علي هاشم الاسدي، ط٢ (مشهد: مجمع البحوث الاسلامية، ١٤٣٠هـ)
- الحر العاملي: محمدبن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق محمدرضا جلالي، ط٢ (قم: مؤسسة أهل‌البيت،١٤١٤هـ)
- حسيني: ثامر عميدي، حياة الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، ط١ (قم: دارالحديث، ١٣٨٧هـ)
- الخطيب البغدادي: احمدبن علي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط١ (بيروت: دارالغرب الاسلامي،٢٠٠١م)
- الذهبي: محمدبن احمد (ت ٧٤٨هـ)، سير إعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط، ط١١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م)
- السيد: كمال، تجارب العلماء في عصر الغيبة، ط١ (قم: مؤسسة أنصاريان، ٢٠٠٦م)
- الشريف المرتضى: علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ)
- مقدمة كتاب الانتصار، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي (قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٥هـ)
- الشافي في الأمامية، ط٢ (قم المقدسة: مؤسسة اسماعليان، ١٤١٠هـ)
- الصدوق: محمدبن علي (ت ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي‌اكبر الغفاري، ط٥ (قم المقدسة: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٩هـ)
- الطبري: محمدبن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقق أبوالفضل إبراهيم، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م)
- الطهراني: أغابزرك (ت١٣٨٩هـ)، الذريعة في تصانيف الشيعة (بيروت: دارالأضواء، بلا)
- طبقات أعلام الشيعة، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٩م)
- الطوسي: ابوجعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)
- الفهرست، صححه وعلق عليه محمد صادق بحرالعلوم (قم: منشورات الشريف الرضي، بلا)
- علي: جواد، المهدي المنتظر عند الشيعة الأمامية الأثنى عشرية، ط٢ (منشورات الجمل، ٢٠٠٧م)

www.noormags.ir

- فرحان: عدنان، حركة الاجتهاد عند الشيعة الأمامية، ط١ (قم: دارالمصطفى العالمية،٢٠٠٩م)
- فياض: عبدالله، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة منذ نشأة التشيع الى القرن الرابع الهجري، ط٢ (بيروت: مؤسسة الأعلمي،١٩٨١م)
- تاريخ التربية عند الأمامية وإسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي (بغداد: مطبعة اسعد، ١٩٧٢م)
- الكليني: محمدبن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، أصول الكافي، علق علية محمدبن جعفر شمس‌الدين (بيروت: دارصادر، بلا)
- ماسينيون: لويس، آلام الحلاج، ترجمه الحسين الحلاج، ط١ (بيروت: شركة قدمس، ٢٠٠٤م)
- المجلسي: محمدباقر (ت١١١١هـ)، بحارالأنوار الجامعة لدرر أخبار ألائمه الأطهار، ط٢ (بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م)
- مدرسي: حسين، تطور المباني الفكرية للتشيع في القرون الثلاثة الأولى، ط١ (بيروت: دارالهادي، ٢٠٠٨م)
- المسعودي: علي ابن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، وضع فهارسه يوسف داغر (قم المقدسة: دار الهجر،١٩٨٤م)
- مسكوية: احمدبن محمد (ت ٤٢١هـ)، تجارب الأمم، تحقيق أبوالقاسم إمامي، ط١ (طهران: دار سروش للنشر، ٢٠٠٠م)
- المفيد: محمدبن نعمان (ت ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجة الله العباد، تحقيق مؤسسة أل‌البيت، ط١ (بيروت: مؤسسة أل البيت، ١٩٩٥م)
- الفصول العشرة، تحقيق فارس الحسون، ط٢ (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر، ١٩٩٣م)
- الفصول المختارة،تحقيق علي ألشريفي، ط٢ (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر، ١٩٩٣م)
- النجاشي: احمدبن علي (ت ٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، ط١ (بيروت: شركة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١٠م)
- النعماني: محمدبن إبراهيم (ت٣٦٠هـ)، كتاب الغيبة، تحقيق فارس حسون، ط١ (قم: انوار الهدى، ١٤٢٢هـ)
- النوبختي :الحسن بن موسى (ت ٣١٠هـ)، - فرق الشيعة، ط١ (بيروت: منشورات الرضا(ع)، ٢٠١٢م)
- ياقوت الحموي: ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، بلا)

www.noormags.ir

- معجم الأدباء، ط٣ (بيروت: دار الفكر،١٩٨٠م)

www.noormags.ir

الاستكتاب التفصيلي للملتقي الخامس عشر: المهدويّة و التحدّيات

«اللّهُمّ إنّا نَشكُو إلَيكَ فَقدَ نَبيّنَا و غَيبَةَ وَلِيّنَا و شِدّةَ الزّمَانِ عَلَينَا و وقُوعَ الفِتَنِ بِنَا و تَظَاهُرَ الأعدَاءِ عَلَينَا و كَثرَةَ عَدُوّنَا و قِلّةَ عَدَدِنَا اللّهُمّ فَافرُج ذَلِكَ بِفَتحٍ مِنكَ تُعَجّلُهُ و نَصرٍ مِنكَ تُعِزُّهُ و إمَامِ عَدلٍ تُظهِرُه» (كمال الدين،ج٢، ص٥١٤)

«كذب الوقّاتون، و هلك المستعجلون، و نجا المسلّمون» (الكافي، ج١، ص٣٦٨)

تمثّل المهدويّة الحلم و الأمل السامي للشيعة و الأُمّة الإسلاميّة. و المسلك الحقيقي لهذه الفكرة هو إدارة الإنسان و العالم و تمهيد السبيل للانطلاق نحو تحقيق المجتمع القائم على العبوديّة للّه بقيادة إنسانٍ عالمٍ واعٍ لما يحيط به من البشر و الكون و منزّهٍ عن الأهواء و النوازع النفسيّة.

و في الوقت الذي تحظى فيه هذه الفكرة باهتمام الشيعة كافة، و تطلّعهم الشديد لها، و نظراً لأهمّيّتها الاستثنائيّة و مكانتها السامية لديهم، تعرّضت هذه الفكرة لأنواعٍ من التحدّيات و الآراء و التفاسير و التحليلات المختلفة، بل المتعارضة في بعض الأحيان.

كما أنّ طول فترة الغَيبة ـ تماماً كفكرة الغَيبة نفسها ـ هيّأ التربة الخصبة لبروز العديد من التحدّيات المختلفة التي شغلت الأفكار و استنزفت الطاقات و الإمكانات، و زادت من مصاعب و عقبات بلوغ الأهداف و تحقيق الأُمنيات.

و التحدّيات تبرز عند تشخيص الهدف و عند الحركة نحو ذلك الهدف، كما أنّ هذه التحدّيات يمكن أن يكون منشؤها خارجيّاً و من صنع الأعداء، و يمكن أن تنشأ داخليّاً و تنشب أنيابها بين الأفراد و في صفوف المجتمع.

و من المناسب هنا أن توضع هذه التحدّيات على طاولة النقد و البحث العلمي لإزالة العقبات التي تعترض طريق المفكّرين و المحقّقين لتمييز الصحيح عن الخاطئ. أمّا الخطوات اللازمة للبحث عن التحدّيات و توضيحها و مجابهتها فتتمثّل

بالخطوات التالية:

الخطوة الأولى: بيان ماهيّة المشكلة و التحدّي.

الخطوة الثانية: بيان جذور التحدّيات و منشئها و ظروفها، و ما يترتّب عليها من نتائج.

الخطوة الثالثة: تأشير سبل الوقاية و معالجة التحدّيات و مجابهتها.

المحور الأوّل: التحدّيات العقائديّة و الثقافيّة

١. الغفلة عن المبادئ و الأهداف

أي الغفلة عن المبادئ و الرؤى و القِيَم و الظروف و الفرص و القابليّات.

إنّ إقامة الدولة العالميّة التي تدور حول محور العبوديّة بقيادة المهديّ الموعود هي الأمل الذي تتطلّع إليه الأُمّة الإسلاميّة. و على المؤمنين أن يضعوا هذا الهدف السامي نصب أعينهم دوماً، و أن يواصلوا السعي في سبيل تحقيقه.

و ربما كان طول مدّة زمن الغيبة و التأخير في تحقّق مثل هذا الحلم سبباً في نسيانه أحياناً، الأمر الذي يؤول إلى غفلة الناس عن تحمّل المسؤوليّات التي يرتّبها هذا الحلم عليهم، فيضيّعون بذلك ما أمامهم من الفرص المتاحة و يهدرون إمكانيّاتهم.

«اللَّهُمَّ و لَا تَسْلُبْنَا الْيَقِينَ لِطُولِ الْأَمَدِ فِي غَيْبَتِهِ و انْقِطَاعِ خَبَرِهِ عَنَّا و لَا تُنْسِنَا ذِكْرَهُ و انْتِظَارَهُ و الْإِيمَانَ و قُوَّةَ الْيَقِينِ فِي ظُهُورِهِ و الدُّعَاءَ لَهُ و الصَّلَاةَ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يُقَنِّطَنَا طُولُ غَيْبَتِهِ مِنْ ظُهُورِهِ و قِيَامِهِ و يَكُونَ يَقِينُنَا فِي ذَلِكَ كَيَقِينِنَا فِي قِيَامِ رَسُولِكَ ص و مَا جَاءَ بِهِ مِنْ وَحْيِكَ و تَنْزِيلِكَ...» (كمال‌الدين و تمام‌النعمة، ج٢، ص٥١٣، ح٥، باب٤٥).

٢. الشكّ و التردّد

إنّ فقدان الرؤية العميقة للامام و غيبته، و غياب الفهم الصحيح للتطلّعات و مصاعبها، و النكسات التي تحصل في مسيرة الوصول إلى الهدف، كلّ ذلك يؤدّي إلى تهيئة الأرضيّة الخصبة لنموّ الشكوك و بروز التحدّيات.

و يمكن لهذه الشكوك أن تمتدّ بجذورها إلى أعماق قلب الإنسان و أحاسيسه و تصير سبباً في ارتيابه و اضطرابه. كما أنّ طول فترة الغيبة يؤدّي أحياناً إلى تعميق الشكّ و الارتياب و ترسيخ جذورهما في أعماق الإنسان حتّى يصل الأمر به إلى إنكار وعد اللّه بظهور المهدي الموعود.

«فَقُلْتُ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَ سُمِّيَ الْقَائِمَ قَالَ لِأَنَّهُ يَقُومُ بَعْدَ مَوْتِ ذِكْرِهِ و ارْتِدَادِ أَكْثَرِ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ فَقُلْتُ لَهُ و لِمَ سُمِّيَ الْمُنْتَظَرَ قَالَ لِأَنَّ لَهُ غَيْبَةً يَكْثُرُ أَيَّامُهَا و

يَطُولُ أَمَدُهَا فَيَنْتَظِرُ خُرُوجَهُ الْمُخْلِصُونَ و يُنْكِرُهُ الْمُرْتَابُونَ و يَسْتَهْزِئُ بِذِكْرِهِ الْجَاحِدُونَ و يَكْذِبُ فِيهَا الْوَقَّاتُونَ و يَهْلِكُ فِيهَا الْمُسْتَعْجِلُونَ و يَنْجُو فِيهَا الْمُسْلِمُونَ.» (كمال‌الدين و تمام‌النعمة، ج۲، ص۳۷۸، باب۳۶).

۳. أفول الدين و القِيَم

إنّ تبديل الدين إلى آدابٍ و أحكام جامدة، و الهبوط به إلى مستوى الأعراف، و انعدام تأثير الدين في حيويّة المجتمع، هي بعض مظاهر خمول الدين و جموده.

و قد يحصل في مرحلةٍ من مراحل تعاقب الأجيال أن يصير أحد هذه الأجيال ـ و نتيجة لتغاضيه عن المبادئ و القِيَم ـ سبباً في انقلابها، تاركاً خلفه قيماً نقيضة ليورّثها للجيل الذي يأتي بعده، فتصير هذه القيم النقيضة تحدّياً و تهديداً للأجيال القادمة.

و من أمثلة هذه القيم النقيضة: حبّ الدنيا و التعلّق بها، و اتّباع الشهوات، و الاستكبار و الأنانيّة.

مثال رواني :«اللهم و أعز به الدين بعد الخمول، و أطلع به الحق بعد الأفول...» (المزار الكبير (لابن المشهدي)، ص ۵۸۹).

«و رأيت مسلك الخير و طريقه خاليا لا يسلكه أحد...» (الكافي، ج۸، ص۴۰).

«... فَإِذَا رَأَيْتَ الْحَقَّ قَدْ مَاتَ و ذَهَبَ أَهْلُهُ و رَأَيْتَ الْجَوْرَ قَدْ شَمِلَ الْبِلَادَ و رَأَيْتَ الْقُرْآنَ قَدْ خَلَقَ و أُحْدِثَ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ و وَجِّهَ عَلَى الْأَهْوَاءِ و رَأَيْتَ الدِّينَ قَدِ انْكَفَأَ كَمَا يَنْكَفِئُ الْمَاءُ و رَأَيْتَ أَهْلَ الْبَاطِلِ قَدِ اسْتَعْلَوْا عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ و رَأَيْتَ الشَّرَّ ظَاهِراً لَا يُنْهَى عَنْهُ و يُعْذَرُ أَصْحَابُهُ و رَأَيْتَ الْفِسْقَ قَدْ ظَهَرَ و اكْتُفِيَ الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ و النِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ و رَأَيْتَ الْمُؤْمِنَ صَامِتاً لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ و رَأَيْتَ الْفَاسِقَ يَكْذِبُ و لَا يُرَدُّ عَلَيْهِ كَذِبُهُ و فِرْيَتُهُ و رَأَيْتَ الصَّغِيرَ يَسْتَحْقِرُ بِالْكَبِيرِ و رَأَيْتَ الْأَرْحَامَ قَدْ تَقَطَّعَتْ...» (الكافي، ج۸، ص۳۸).

٤. اليأس و القنوط

يحدث أحياناً أن يعقد الإنسان أمله على هدفٍ سامٍ و عظيم، و يكون الوصول إلى هذا الهدف متوقّفاً على قطع المسافات البعيدة، كما أنّه يتصوّر أنّ الوعود التي وعد بها و المتمثّلة بنيله ما يتطلّع إليه إنّما هي وعودٌ لا صلة لها بجهوده و لا تتوقّف على مدى ما يبذله من المساعي لقطع هذه المسافات؛ و هذا الأمر يصير سبباً في يأسه و قنوطه.

كما أ نّه يمكن أن يكون منشأ اليأس هو ما لديه من التصوّر المسبق عن وجوب حصول المقصود دون أيّ مشكلةٍ أو خسارة، في حين أنّ حصول المشقّات و

الخسائر هو من الأُمور الطبيعيّة عند قطع المسافات الطويلة و الصعبة، الامر الذي كان موجوداً أيضاً في حياة أولياء الله، امّا توقّع الوصول السريع دون مشاكل و لا نكبات فلا ينسجم مع الواقع: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ و لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ و الضَّرّاءُ و زُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ و الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» (سورة البقرة: أيه٢١٤).

«اللَّهُمَّ و لا تَسْلُبْنَا الْيَقِينَ... حَتّى لا يُقَنِّطَنَا طُولُ غَيْبَتِهِ مِنْ ظُهُورِهِ و قِيَامِهِ...» (كمال‌الدين و تمام‌النعمة، ج٢، ص٥١٣، باب ٤٥).

٥. النظرة السطحيّة

المهدويّة هي الهدف الأسمى للأُمّة الإسلاميّة نحو هداية الإنسان و المستقبل العالمي، و تحجيم هذه الفكرة و قصرها على إقامة حفلات الميلاد و الدعاء بالسلامة و التعجيل بالظهور مع الغفلة عن ما يجب أن تتركه من التأثير في ميادين السياسة و الاجتماع و التربية و الثقافة و غيرها من المجالات، فهو تحدّ آخر يهدّد سلامة هذه الفكرة.

٦. الاستنتاجات المنحرفة

و من الاستنتاجات المنحرفة التي تهدّد فكرة المهدويّة هو إيكال أمر الظهور إلى الله بصورةٍ تامّة، و عدم مقاومة الظلم و اللامبالاة تجاهه بحجّة أنّ الظلم هو شرط الظهور و علّة حصوله، و أمثال ذلك من المفاهيم الخاطئة المنحرفة.

٧. التطبيقات الخاطئة

تحفل المصادر الروائيّة بالروايات المتضمّنة لعلامات الظهور و الشروط اللازمة لحصوله، إلاّ أنّ اكتشاف مصاديق هذه العلامات و تطبيقاتها هو من الأعمال التي لا يمكن لعامّة الناس القيام بها، فهي من اختصاص العلماء؛ و ذلك لاحتياجها إلى الاطّلاع الوافي على مجموع الروايات و صحّة أسنادها مع الكفاءة و القابليّة على تشخيص دلالاتها و المراد منها.

و من الأخطار التي تهدّد فكرة المهدويّة هو التدخّل الخاطئ و غير العلمي و المتمثّل بإقدام غير المتخصّصين من عامّة الناس الذين يفتقرون إلى الصلاحيّة العلميّة الواجبة و تجرّؤهم على تطبيق علامات الظهور على الأفراد و الأمكنة و الحوادث دون إحراز معايير ذلك و موازينه الدقيقة.

امّا علّة هذه التطبيقات الخاطئة فقد يكون أحياناً بسبب شدّة الشوق إلى ظهور الإمام مع الجهل و عدم الالتفات إلى الآثار المخرّبة للتطبيقات الخاطئة، و قد يكون

مصدرها أحياناً أخرى هم المحتالون و الانتهازيّون الذين يستهدفون استغلال مشاعر البسطاء و الاستحواذ على ما في أيديهم عن طريق نشر مثل هذه التطبيقات و المبالغة فيها، كما قد يكون مصدرها حيناً آخر هو حقد الأعداء الذي يقودهم إلى تخريب عقائد المؤمنين.

٨. التوقيت / تعيين وقت الظهور

إنّ تحقّق حلم إقامة المجتمع المرتكز على محور العبوديّة و ظهور المهدي الموعود هو من الوعود الإلهيّة الحتميّة التي لا ريب فيها، إلاّ أنّه لم يتمّ تعيين زمان محدّد لقيام هذا المجتمع، بل اقتصر الأمر على بيان علامات هذا المجتمع فقط

و هناك مَن يحاول _ إمّا بسبب جهله، أو طمعاً في مكاسب معيّنة _ أن يعيّن وقتاً لهذا الظهور، و هذا العمل يشكّل تهديداً لحياة المؤمنين المعنويّة، و له آثاره السلبيّة الخطيرة.

«عن أبي بصير، عن أبي عبدالله(ع)، قال: "سألته عن القائم(ع)، فقال: كذب الوقاتون، إنا أهل‌بيت لا نوقت، ثم قال: أبى الله إلا أن يخلف وقت الموقتين"» (كتاب الغيبة (النعماني)، ص٣٠٤-٣٠٥).

٩. الاستعجال / استعجال ظهور وليّ اللّه دون تهيئة الأسباب و المقدّمات

لا إشكال في التسابق و المسارعة إلى الخيرات عند وجود الأرضيّة و المقدّمات، بل هو من الأمور المندوبة. و الدعاء لتعجيل الظهور هو من هذا الباب، إلاّ أنّ استعجال الظهور دون تهيئة أسبابه و مقدّماته هو الاستعجال المرفوض.

و الاستعجال يختلف عن السرعة، فإنّ هؤلاء الذين لا يحرّكون أنفسهم أو لا يتحرّكون بما ينسجم مع قدراتهم و ظروفهم، يطالبون اللّه بالتعجيل و الاستعجال.

إذن، فالاستعجال هو الطلب من اللّه أو من وليّه أن يسرع و يستعجل حتّى بدون وجود المقدّمات و توفّر الأسباب.

و مثال ذلك ما نجده في عصرنا الحالي الذي يمتاز بظروفه الصعبة جداً و تعرّض الكثير من المسلمين في أطراف الدنيا إلى موجات من هجمات الأعداء و مقتل أو تشريد العديد منهم يوميّاً، حيث يطالب البعض بتدخّل اللّه و تسريع الظهور، مطلقين ألسنتهم بالاعتراض و التساؤل عن سبب عدم تدخّل اللّه، و عن سبب عدم ظهور إمام العصر، و غير ذلك من الاعتراضات، في حين أنّهم يتناسون تقاعسهم عن القيام بما يقع على عاتقهم من الواجبات.

«عن عبدالرحمن بن كثير قال كنت عند ابى عبدالله(ع) ادخل عليه مهزم فقال له: جعلت فداك اخبرنى عن هذا الامر الذى ننتظر متى هو فقال يا مهزم كذّب

الوقّاتون و هلك المستعجلون و نجا المسلّمون» (الكافي، ج١، ص٣٦٨).

المحور الثاني: التحدّيات الاجتماعيّة و السياسيّة

١. الهروب من المسؤوليّة

إنّ الدوافع المغشوشة التي تفقد بريقها مع مرور الزمان، و عدم الاطّلاع الكافي على المسير و ما يشتمل عليه من المشاكل، و تصوّر قصر المسافة، و الميول و الرغبات التافهة التي تجعل الإنسان يغفل عن أهدافه السامية في منتصف الطريق، و عدم توفّر الاستعداد اللازم لمواصلة المسير؛ كلّ ذلك يبعث على التراخي و الهروب و عدم تحمّل المسؤوليّة.

«و لا تبتلنا في أمره بالسأمة و الكسل و الفترة و الفشل و اجعلنا ممن تنتصر به لدينك و تعز به نصر وليك و لا تستبدل بنا غيرنا فإن استبدالك بنا غيرنا عليك يسير و هو علينا كبير...» (جمال الأسبوع، ص٥١٧).

٢ـ الفتن

الفتنة بمعنى الامتحان تنتسب إلى اللّه، و هي أحد مقتضيات ربوبيّته. أمّا الفتن التي يُبتلى بها المؤمنون في عصر الغيبة فهي على قسمين:

١. الفتن التي يقوم الأعداء بالتخطيط لها و زرعها؛

٢. الفتن التي تبرز نتيجة انعدام الوعي و المتانة الفكريّة، و فقدان المعايير.

«الحسن بن محبوب، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا(عليهماالسلام). قال: قال لي: لا بد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل بطانة و وليجة و ذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي...» (الإمامة و التبصرة من الحيرة، النص، ص١١٤).

٣. المصاعب و النكسات

تقترن كلّ حركة ـ عندما تكون نحو أهدافٍ سامية ـ بالعداوات و المآزق و المشاكل و المصائب و العثرات. و إذا لم يكن هناك ما يناسبها من الوعي و العمق الكافي فإنّها تكون عرضةً لمختلف التهديدات و التحدّيات.

و في مقابل ذلك، فإنّ كلّ عملٍ عدائيّ ـ أو مشكلة أو نكسة ـ إذا جوبه بالطريقة الصحيحة يمكن أن يتحوّل إلى عاملٍ من عوامل القوّة و الهداية و الظفر.

«... فقال رسول اللّه(ص)... يابن مسعود يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه مثل القابض على الجمر بكفه فإن كان في ذلك الزمان ذنبا و إلا أكلته الذناب...» (مكارم الأخلاق، ص٤٤٦).

٤. اشتباهات المفكّرين و الخواصّ

و من المخاطر المهمّة الأُخرى التي تجابه الناس في عصر الغيبة هي غفلة العلماء و المفكّرين و الخواصّ عن رسالتهم و ما عليهم من الواجبات، و عدم معرفتهم الصحيحة بالظروف، و التشخيص الخاطئ للواجبات و المحذورات، و الخلاف بين العلماء، و السطحيّة في التفكير، و التعلّق بملاذّ الدنيا، مضافاً إلى ما يقعون فيه من الأخطاء و الاشتباهات.

«... و أبدى ما كان نبذه العلماء وراء ظهورهم فيما أخذ ميثاقهم على أن يبينوه للناس و لا يكتموه...» (مهج الدعوات و منهج العبادات، ص٦٣).

٥. انعدام الصلة بين العلماء و الناس

يحتاج الناس في عصر الغيبة إلى الصبر و التوجيه، فإذا كانت العلاقة بينهم و بين العلماء قويّة و متينة فإنّ ذلك سيخفّف من مصاعبهم و يجعلهم يواصلون المسير، و إذا أخطأ الناس كان هناك من يلجأون إليه لتجاوز هذه الأخطاء. و لكن إذا انقطعت الصلة بين العلماء و الناس حصل الانقسام في المجتمع و بدأ يواجه المخاطر و التحدّيات.

و هذا الانقسام يمكن أن يقع بسبب أنّ العلماء الأعلام يسيرون في حياتهم سيرةً تتّسم بالزهد و التقوى، و إنّ الناس عندما يظنّون أنّهم لا يستطيعون أن يكونوا هكذا، أو أنّهم يشعرون بأنّ تأسّيهم بهؤلاء العلماء سيكون سبباً في زيادة ثقل التكاليف التي ستقع على عاتقهم، فيبتعدون عنهم.

كما أنّ هذا الانقسام يمكن أن يقع أحياناً أُخرى بسبب تعالي العلماء و حبّهم و تعلّقهم بالدنيا و تكبّرهم و غرورهم الذي يدفعهم إلى توهّم أفضليّتهم على باقي الناس، فينعزلون عنهم.

و قد يحصل هذا الانقسام حيناً آخر بسبب عدم إدراك العلماء لظروف و مقتضيات العصر الذي يعيشون فيه، و عدم اطّلاعهم الكافي على التساؤلات التي تشغل أذهان الناس، الأمر الذي يحول دون تقديمهم للإجابات المقنعة المليّة لحاجاتهم.

و أخيراً _ و في الكثير من الأحيان _ يكون ابتعاد الناس عن العلماء واحداً من الثمار المسمومة لدعايات السوء و تخريب سمعة العلماء من قبل الأعداء.

«... و رأيت الفقيه يتفقه لغير الدين يطلب الدنيا و الرئاسة.... و رأيت المنابر يؤمر عليها بالتقوى و لا يعمل القائل بما يأمر...» (الكافي، ج٨، ص٤٠-٤١).

«قال النبي(ص) سيأتي زمان على أمتي لا يعرفون العلماء إلا بثوب حسن...»

(جامع‌الأخبار، ص ١٣٠).

٦ـ زيادة الخلافات

لا يجد المتأمّل ضيراً في اختلاف أذواق الناس و تصرّفاتهم إذا كان الجميع يراعون وحدة الاتّجاه و الأهداف، أمّا حين يكون الاختلاف نابعاً من الغموض و الجهل و تجاهل الأهداف أو التنازل عن بعضها أو العدول عن المعايير، فهو حين ذاك يمثّل تهديداً يجب التفكير في طريقةٍ لعلاجه.

«عن أبان بن تغلب قال قال أبوعبدالله(ع) كيف أنت إذا وقعت البطشة بين المسجدين ـ فيارز العلم كما تارز الحية في جحرها و اختلفت الشيعة و سمى بعضهم بعضا كذابين و تفل بعضهم في وجوه بعض قلت جعلت فداك ما عند ذلك من خير فقال لي الخير كله عند ذلك ثلاثا» (الكافي ،ج١، ص٣٤٠).

٧. المدّعون الدجّالون

إنّ هدف المهدويّة السامي يمتاز بجاذبيّةٍ كبيرة، و الإمام الموعود لهذه المهدويّة له نفوذه العميق في عقول الناس و قلوبهم. و هذا الأمر يدفع بطلاّب الجاه و المناصب إلى ادّعاء المهدويّة أو ما يرتبط بها من قبيل النيابة و الصلة و الرؤية، و هي ادّعاءات تمثّل تهديداً للمؤمنين يزيد من صعوبة مواصلة مسيرتهم.

٨. استنكار النشاطات السياسيّة و تأسيس الحكومة

و من التحدّيات المهمّة الأُخرى التي تجابه الناس في عصر الغيبة هو استنكار و رفض أيّ حركة أو ثورة أو سلطة قبل ظهور إمام الزمان عجّل اللّه تعالى فرجه و إقامة حكومته، و ذلك بدلاً من محاربة الظلم و الثورة عليه و السعي لاستلام السلطة باعتباره واحداً من الضرورات العقليّة و الدينيّة.

أمّا أسباب هذا الخطر الذي يهدّد المهدويّة فهي عديدة، منها المشكلات التي يكون منشؤها الأعداء الأجانب، أو تكون ثمرة من ثمار غفلة الخواصّ و حبّهم للدنيا، و تكون سبباً في إثارة الشكوك و إلقاء الشبهات، أو توهّم عدم كفاءة الدين في إدارة المجتمع.

«ففي رواية عن الإمام الصادق(ع) قال في هذا الصدد: رحم الله عمّى زيداً، لو ظفر لوفى انّما دعا الى الرضا مِن آل محمدٍ و أنا الرضا» (عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٤٩).

٩. تكاثر الأعداء

كلّما اتّضح طريق الحقّ و قويت شكيمته، كلّما زاد الأعداء من اعتداءاتهم. و

اشتداد اعتداءات الأعداء و مساعيهم يجعل المؤمنين عرضةً لمخاطر كثيرة و يضع العقبات التي تعيق مواصلة مسيرهم.

و هذه المشكلة إنّما تتطوّر و تتحوّل إلى تحدٍّ يهدّد المجتمع بالخطر عندما يكون ذلك المجتمع و وجهانه غافلين عن هذه المشكلة و غير مستعدّين لها.

مثال ذلك ما كان عليه الحال في الأيّام الأُولى لانتصار الثورة الإسلاميّة حيث كان البعض يعتقد بأنّ الشاه سيذهب و سترحل معه كافّة المشاكل، في حين أنّه بمجرّد انتصار الثورة بدأ العداء الأمريكي و غيره، فلو لم يكن رجال الثورة واعين لهذه المسألة و مستعدّين لها الاستعداد الكافي، لكانت النتيجة أنذاك هي تحوّل هذا الأمر إلى تهديدٍ خطير و تحدٍّ كبير يهدّد مستقبل الثورة.

«اللهم! إني أفتتح الثناء... اللهم انا نشكو إليك فقد نبينا صلواتك عليه و آله و غيبة امامنا و كثرة عدونا، و شدة الفتن بنا و تظاهر الزمان علينا...» (مصباح المتهجد (الشيخ الطوسي)، دعاء الافتتاح، ص٥٧٧).